الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعـــــة الحاج لخضر بـــاتنـــــــة

كلية الآداب والعلوم الإنسانية قسم التاريخ وعلم الآثار

ثورة واحة العامري وعلاقتها بالمقاومة الشعبية بمنطقة الزيبان في القرن التاسع عشر

بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير

في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر

تخصص تاريخ الأوراس

إعـــداد الطالبــة: إشــراف الدكتور:

شهرزاد شلبي علي آجقو

لجنة المناقشـــــــــــة :

الاسم واللقـــب	الرتبـــــــــة	الجامعـــــــــــــة	الصفــــــة
أحمد صاري	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة	رئيســـــا
علي آجقو	أستاذ التعليم العالي	جامعة بسكرة	مشرفا ومقـــررا
صالح لميش	أستاذ محاضـــــــر	جامعة مسيلة	عضوا مناقشـــا
حفظ الله بوبكر	أستاذ محاضـــــــر	جامعة باتنة	عضوا مناقشـــا

السنـــة الجامعيـــة2008/2009

!

﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ﴾

سورة الأحزاب الآية:23

إهداء

إلى الذين زرعوا بذرة الحرية

وسقوها بدمائهم

شهداء ثورة واحة العامري

شكر و عرفان

قد يقف المرء عاجزا على رد الجميل لذوي الفضل، وقد لا تطاوعه أساليب التعبير ليعبر عن معاني الشكر والتقدير، الشكر لله أولا وأخيرا، ومن باب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ من لا يشكر الناس لا يشكر الله ﴾

أتوجه بالشكر الجزيل و وافر الامتنان و العرفان إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد، لإنجاز هذا العمل المتواضع وأخص بالذكر.

الأستاذ المشرف علي أجقو الذي كان لي نبراسا ومرشدا ونورا أنار طريقي لأخر لحظة من إنجاز هذه المذكرة .

وإلى جميع أساتذة قسم التاريخ جامعة باتنة .

تحية شكر وتقدير وأرجو من المولى أن يجزيهم عني أحسن الجزاء.

لقد كان الغزو الفرنسي للجزائر سنه 1830جزءا من التحرك الاستعماري الأوروبي ، الذي نشط خلال القرن التاسع عشر وبرزت فيه حمى التسابق في الحصول على المستعمرات كل دولة حسب مطامعها ، و مصالحها فكان بالتالي التوجه الفرنسي نحو الجزائر.

وقد تعددت الأسباب التي ساقتها فرنسا لتبرير غزوها للجزائر ، فتراوحت هذه الذرائع بين حماية شرف فرنسا الذي أهين من قبل الداي ، والقضاء على حركة الجهاد البحري التي كانت تتزعمها الجزائر في حوض البحر الأبيض المتوسط ، مع محاولة فرنسا إبراز جهودها وتفانيها في خدمة المسيحية أمام الدول الأوروبية .

و بتاريخ 14جوان 1830 نزلت القوات البحرية الفرنسية في شبه جزيرة سيدي فرج بالقرب من الجزائر العاصمة ، وقد انتصر الجيش الفرنسي على الجيش الجزائري في معركة سطاوالي، وبرج الحسن بن عزوز، كما أجبر الداي حسين على توقيع معاهدة الاستسلام في 05 جويلية 1830 .

ومما ساعد على نجاح الحملة الفرنسية الضعف الذي ظهر وبشكل واضح على القوات الجزائرية ، وذلك نظرا لفارق التسليح والإمكانيات ، فتمكنت القوات الفرنسية من احتلال جل المناطق الساحلية (الجزائر ،عنابه ،وهران) ، وهذا ما شجع المستعمر على المواصلة في زحفه معتقدا أن الطريق أصبح معبدا أمامه ، إلا أن الجيوش الفرنسية لاقت صعوبة كبيرة أثناء توغلها في المناطق الداخلية حيث ولدت الحملة الفرنسية في الجزائر شعورا قويا بالمقاومة بمجرد أن أدرك الشعب الجزائري نوايا فرنسا الاستعمارية ، فاضطر العدو لمواجهة نوعين من المقاومة السياسية والعسكرية :

1. **المقاومة السياسية :** قامت بها طبقة التجار والعلماء والأعيان.
2. **المقاومة المسلحة :** والتي قادها زعماء دينيون. وهي بدورها يقسمها المؤرخون إلى نوعين :

- **المقاومة المسلحة المنظمة :**ومثلها الأمير عبد القادر في الغرب ووسط الجزائر، وانتهت باستسلامه في 23 ديسمبر 1847 ، وفرار أتباعه إلى الصحراء لمواصلة الجهاد ، والحاج أحمد باي في الشرق والتي انتهت، باتصال القائد أحمد باي بسان جرمان **Saint**

German طالبا الأمان ، فاقتيد إلى بسكرة ومنها إلى قسنطينة حيث مكث فيها ثلاثة أيام ، ليرحل بعدها إلى الجزائر في انتظار السماح له بالسفر إلى البلاد المقدسة ، ولكن فرنسا لم تف بوعدها وبقي ينتظر في هذا الوهم الكاذب ، إلى أن توفى في شهر أوت 1850، بسبب كبر سنه وتمكن المرض منه .

- **المقاومة الشعبية غير المنظمة :** وتطلق على تلك الانتفاضات التي امتدت من النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى بدايات القرن العشرين ، وبلغت حوالي 160 انتفاضة ، وقد شملت كافة أنحاء الوطن وكانت في الغالب تتتابع في المكان والزمان ، كما أن زعماءها كانوا شيوخا لطرق صوفية ، وجماهيرها كانت مدفوعة بفكرة الجهاد ، وقد امتدت هذه الانتفاضات إلى الجنوب ، الذي شهد مقاومة أهالي الزيبان، التي صمد أهلها وشكلوا مقاومة عنيفة ، رغم قلة العدد والعدة التي يملكونها ،وهذا ما سبب إحباطا للقادة الفرنسيين ، الذين تكبدوا خسائر فادحة في عدة معارك ، لعل أهمها معركة واد براز سنة 1849 التي قتل فيها الرائد سان جرمان**Saint German** .

دوافـــــع اختيار البحث

تمثل هذه الثورات محطة هامة في مقاومة سكان المنطقة بصفة خاصة والشعب الجزائري بصفة عامة للاحتلال الفرنسي ،إلا أنها تكاد تكون مجهولة لدى الكثير من الباحثين والطلبة ، إضافة إلى قلة اهتمام الباحثين بهذه الثورات ، وعدم إعطائهم لها ما تستحق من الدراسة وهذا ما سبب نقصا في المراجع حول الموضوع، باستثناء بعض الكتابات الفرنسية ، ولعل هذا ما دفعني لتسليط الضوء على جوانب منه قصد إعطاء صورة واضحة حول ثورة العامري وعلاقتها بالمقاومة الشعبية بمنطقة الزيبان في القرن التاسع عشر ، ولم يكن الهدف من هذه الدراسة التجزئة ،وإنما اختياري لمنطقة الزيبان بهدف الانطلاق من الجزء إلى الكل ، إضافة إلى تناولي لموضوع المقاومة الشعبية في منطقة الزيبان في القرن التاسع عشر في مذكرة ليسانس ، دفعني للتوسع في البحث لإدراك خباياه ، كما رأيت أن هذه المنطقة جديرة بالدراسة قصد إبراز مدى الكفاح المرير الذي قاده الشعب الجزائري ومنه سكان منطقة الزيبان ضد المستعمر الفرنسي .

الإشكـــاليـــة

إن هذا البحث يتعرض لتاريخ منطقة الزيبان التي مازالت مجهولة عند الدارسين ، وعليه سنحاول معرفة مدى مساهمة هذه المنطقة في المقاومة الشعبية ، وخاصة ثورة واحة العامري من خلال الإجابة عن التساؤلات التالية :

- **ماهي الدوافع الحقيقية للاستعمار الفرنسي عند احتلال عاصمة الزيبان ؟**
- **كيف كان رد فعل السكان على هذا الاحتلال ؟**
- **ماهي نتائج هذه الثورات ؟**
- **كيف تعامل القادة الفرنسيون مع رموزها ؟**
- **هل هذه الثورات كانت امتدادا لثورات سابقة أم أنها مجرد ردة فعل على الاحتلال وسياسته الاستعمارية ؟**

منهـــــج البحث

نظرا لطبيعة الموضوع ، ومن أجل الوصول إلى الهدف المنشود ، وللإجابة عن كل هذه التساؤلات والإلمام بجوانب الموضوع ، اعتمدت على بعض المناهج وأذكر منها:

- **المنهج التحليلي النقدي** : وذلك بتحليل بعض الحقائق قدر الإمكان أو نقد بعض ما قيل فيها ، اعتمادا على المصادر الأخرى ، إضافة إلى ربطها بمسبباتها والتعرف على تطوراتها .
- **المنهج المقارن:** و اعتمدت عليه في المقارنة بين أسباب ونتائج المقاومة للوصول إلى تحديد العلاقة بينها.
- **المنهج الوصفي** : في سرد الأحداث بطريقة وصفية كرونولوجية ، في محاولة لدراسة الأحداث التاريخية بالتسلسل .

دراسة المراجــــع

أما المراجع التي اعتمدت عليها في هذا البحث فيمكن تصنيفها من حيث الأهمية كما يلي:

* **محتوى أرشيف مدينة بسكرة** ، الذي يعتبر من أهم مصادر البحث وقد تم الاعتماد عليه بشكل كبير في دراسة أوضاع المنطقة قبل ثورة العامري ، إضافة إلى بعض الوثائق المتعلقة بنتائج هذه الثورة .

أما الوثائق التي حظيت بالدراسة فهي:

- نص البلاغ الحربي : الذي أرسله عبد الحفيظ الخنقي إلى السيد محمد الخيراني، و استفادت منه الدراسة في تحديد عدد شهداء معركة واد براز ، وتحديد مصير عبد الحفيظ الخنقي .

- وثيقة حول إعادة إسكان البوازيد في واحة العامري عام 1890 ، وتضمنت قرار العفو الذي استفاد منه البوازيد ، وكيف تعاملت الإدارة الفرنسية مع أملاكهم بعد عودتهم .

* **الرواية الشفوية**

– شهادة إبراهيم جغابة : حيث تم الاستماع إلى شهادته في شريط مسجل له ، بمناسبة الذكرى المئوية لثورة العامري 1976 .

– شهادة بوزيدي إسماعيل: (حفيد بوزيدي عبد الله : أحد مجاهدي ثورة العامري)

– شهادة بن عيسى سعيد : (نقلا عن السيدة بن عيسى يمينه عمته ، إحدى سكان واحة الزعاطشة 1849).

واعتمدت في الدراسة على بعض المراجع ، من بينها كتاب شارل روبيير أجرون **Les Algériens Musulmans et la France 1871 *1919** الذي يعتبر من المراجع الهامة التي لا يستغني عنها الباحث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر و يتكون هذا المرجع من جزأين ، و وقد اعتمد صاحب الدراسة فيه على الوثائق الأرشيفية بعد زيارته لمنطقة سيدي بلعباس سنة 1947، وتمكنه من الإطلاع على الأرشيف قبل نقله إلى فرنسا ، فتحدث بكل موضوعية عن مصير الجزائريين المسلمين ، كما انفرد هذا المرجع بذكر مقاومة العامري ،حيث قام المؤلف بدراسة أسباب الثورة ، إلا أنه لم يذكر أي تفاصيل عن مراحلها

كما اعتمدت على كتاب عبد الحميد وزو:

L AURES AU TEMPS DE LA France COLONIALE EVOLUTION POLITIQUE ECONOMIQUE ET SOCIALE 1837*1939 , ، ويعد هذا الكتاب من

أشهر مؤلفاته ، حيث قام بدراسة منطقة لأوراس دراسة تفصيلية ، كما أنه قام بذكر أحداث لا توجد في مراجع أخرى ، لأن الكثير من الأخبار الواردة فيه تعد مفسرة ومكملة لبعض المراجع ، ومما زاد من قيمة الكتاب هو اعتماد المؤلف على المصادر الأرشيفية لدراسة المنطقة وقد اعتمدت على هذا المصدر في مختلف فصول الرسالة ، فقدم لي معلومات تاريخية مفصلة عن مقاومة الزعاطشة وعبد الحفيظ الخنقي ، إلا أنه أهمل ثورة العامري .

كما اعتمدت في الدراسة على المجلة الإفريقية **(Revue Africaine)** ، التي بدأت في الصدور سنة 1856 ، وتضم 105عدد ،وتكمن أهمية هذا المرجع في احتوائه على بعض التقارير للضباط الفرنسيين ، واعتمدت عليها في دراسة الاهتمام الفرنسي بمنطقة الزيبان بالإضافة إلى حديثها عن المقاومة الشعبية بالمنطقة .

أما الرسائل الجامعية فقد اعتمدت على البعض ومن ذلك :

- محمد أوجرتي " **أسرة بن قانة ومكانتها السياسية و الاجتماعية خلال العهد العثماني**" .
- معاذ عمراني" **أسرة بني جلاب في منطقة وادي ريغ خلال القرنين 19و20م** "

أما الدوريات فاعتمادي عليها كان بشكل كبير، ونذكر منها :

الأصالة التي تصدرها وزارة الشؤون الدينية .

مجلة الثقافة التي تصدرها وزارة الإعلام و الثقافة .

كما تم الاعتماد على بعض **الملتقيات الدولية والوطنية** التي لها علاقة بموضوع الدراسة

صعوبـــات البحث

أما عن الصعوبات التي واجهتني في هذا البحث فيعرفها كل من عنى بدراسة المقاومة الشعبية في القرن التاسع عشر ، فالبحث في تاريخ منطقة الزيبان في هذه الفترة الزمنية لم يكن سهلا وميسورا للأسباب التالية:

- قلة المراجع التاريخية التي تطرقت للموضوع ، وكل ما وجد منها لا يعدوا إلا إشارات مقتضبة وردت في دراسات عامة أو في مقالات وهذه القلة اضطرتني إلى قبول الشهادة الشفوية ، ولكن بعد إخضاعها لعملية التمحيص .

- إضافة إلى التضارب في المعلومات في هذه المراجع ، وتداخل الأحداث و الاختلاف في التواريخ والإحصاءات فيما بينها ، مما صعب في كثير من الأحيان عملية التخلص من ظاهرة التكرار.
- إن البحث في هذا الموضوع يحتاج إلى الإطلاع على الأرشيف الفرنسي خاصة وأن الدراسات العربية قليلة إن لم أقل نادرة .

ولكن الرغبة في إخراج تاريخ المنطقة إلى حيز الوجود ، جعلني أقوم بهذا المجهود المتواضع علني أستطيع تنوير الدارسين والمهتمين ولو بشكل يسسير ، بتاريخ المنطقة وتراثها .

خطة البحث

قمت بتقسيم العمل إلى أربعة فصول : بالإضافة إلى تمهيد وخاتمة ، وقد تناولت في التمهيد أصل تسمية الزاب و الحدود الجغرافية لبلاد الزاب ، كما تحدثت فيه وبإيجاز عن الاهتمامات الفرنسية بالصحراء الجزائرية بصفة عامة ومنطقة الزيبان بصفة خاصة .

أما الفصل الأول فتطرقت فيه إلى الاحتلال الفرنسي للزيبان سنة 1844 ، و الذي بدء التخطيط له مع سقوط قسنطينة سنة1837 ، وفرار أحمد باي إلى المنطقة ، وقد بدأت بذكر أوضاع الزيبان قبل الاحتلال الفرنسي ، وما ميزها من الصراعات العائلية حول المشيخة بين (بن قانة وأولاد بوعكاز) ، والتي تطورت إلى حد التحالف مع العدو ثم تحدثت عن سقوط بسكرة في يد الفرنسيين يوم 4 مارس سنة 1844 ، وفيه توضيح للحملة الفرنسية ، بقيادة العقيد بوتافاكو **BUTTAFACO** ، كما تعرضت لردود الأفعال الأولية حول احتلال عاصمة الزيبان ، والمتمل في معركة مشونش في 15 مارس **سنة** 1844 بقيادة الشيخ الصادق بن الحاج ، ثم معركة بسكرة في ماي 1844 ، بقيادة محمد الصغير بن أحمد بلحاج خليفة الأمير عبد القادر.

أما الفصل الثاني فخصص لدراسة المقاومة الشعبية بمنطقة الزيبان في الفترة الممتدة بين (1844،1859) ، وقد بدأت بالحديث عن ثورة الزعاطشة سنة 1849 و أسباب هذه الثورة مع التركيز على الأسباب السياسية ، بغرض تكذيب الإدعاءات الفرنسية على أن أسبابها اقتصادية ، ثم تطرقت إلى الاستعدادات التي قام بها الثوار لتفجيرها ، والمراحل الثلاث التي مرت بها بدءا بمرحلة التفوق ووصولا إلى مرحلة التراجع ، وفي الأخير تم الحديث عن القمع الفرنسي لهذه الثورة ، بالتركيز على إعطاء أمثلة حقيقية لإبراز شدة هذا القمع .

ثم درست مقاومة الزاب الشرقي التي تم تقسيمها إلى قسمين : القسم الأول والمتعلق بثورة عبد الحفيظ الخنقي (1849،1850) هذه الثورة التي كانت رمزا قويا لروح التضحية والصمود ، وأهم مراحلها هي معركة واد براز 17 سبتمبر1849 بسريانة . و التي كان من نتائجها مقتل الرائد سان جرمان **Saint Germain** ، أما القسم الثاني فتحدثت فيه عن انتفاضة الصادق بن الحاج سنة 1859 ، مع عرض أهم المحطات التاريخية التي قادها الشيخ قبل تفجير الانتفاضة الكبرى سنة 1858 ، والمتمثلة في مساندته لواحة الزعاطشة 1849 ، وأخيرا تم التطرق إلى الانتفاضة الكبرى من حيث الأسباب والمراحل والنتائج ، والتي لم تختلف كثيرا من حيث القمع والتخريب عما حدث في واحة الزعاطشة .

أما الفصل الثالث فقد خصص للحديث عن ثورة العامري1876 ، و فيه تم الحديث عن أصل البوازيد ، ثم قمت بدارسة الأسباب الرئيسية في تفجير الثورة ، كما تم تتبع مجرياتها ، وكيف أن العدو سخر كل الإمكانات للقضاء عليها ليتمكن في الأخير من حرق الواحة وتهجير وتشريد عرش البوازيد عبر مناطق عديدة من الوطن وحتى خارجه لينتهي مصير الواحة إلى البيع بالمزاد العلني.

وجاء الفصل الرابع والأخير ليدرس العلاقة بين ثورة العامري والمقاومة الشعبية بمنطقة الزيبان في القرن التاسع عشر، فتم عرض العلاقة من الناحية السياسية ، و تحليل السياسة الفرنسية في المنطقة ، والتي كانت من أهم الأسباب المباشرة في قيام هذه الثورات

وكــذا تم التطرق إلى العلاقة من الناحية الدينية و الاجتماعية ، والتـــي لعب فيها الوازع الديني الدور الأكبر و الفاعل ، ثم تناولنا دور زعماء الطرق الصوفية في تعبئة الجماهير الشعبية .

وأنهيت دراستي بخاتمة والتي كانت عبارة عن حوصلة للنتائج المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة .

وفي ختــام هذه المقدمة أرى من الوفاء لي ولهــذه الدراسة توجيــه الشكــر، والتقدير و الامتنــان لأستــاذي الدكتــور : **علـــي آجقو** الذي سدد خطــاي في هذا البحث ، ولــم يبخــل علي بفيضــه العلمي ، ولا بإثــراء المنهج بتوجهاتــه القويمــة وبفضلــه خــرج هذا البحث إلى الوجــود .

قائمة المختصرات

ج: جزء.

ع : عدد .

ب ت ط : بدون سنة طبع .

ب د ط : بدون دار طبع .

مج:مجلد.

ط: طبعة.

ع ت :عدد تجريبي .

ع خ :عدد خاص .

RA : Revue Africaine
SD : Sans Date
DE : Deuxième Edition
R H M : Revue D'histoire Maghrébine

الفصـل الأول

الاحتـــلال الفرنسي لمنطقـــة الزيبان

المبحث الأول : الأوضاع العامة لمنطقة الزيبان قبل الاحتلال

الفرنسي.

المبحث الثاني: سقوط بسكرة في أيدي الفرنسيين 04 مارس 1844.

المبحث الثالث : رد فعل سكان الزيبان من الاحتلال الفرنسي

المبحث الأول : الأوضاع العامة لمنطقة الزيبان قبل الاحتلال الفرنسي

خضعت عاصمة الزيبان بسكرة لحكم الدولة الجزائرية في النصف الأول من القرن 17، حيث أوكلت إدارة المنطقة إلى عائلة بوعكاز[1] في الشمال وبني جلاب[2] في الجنوب . كما شكلت المنطقة تجمعا سكانيا تحت الإدارة السياسية لمدينة بسكرة ، وأهم ما ميز هذه التجمعات هو الطابع البدوي المعتمد على نظام العشابة ، و تبادل الخدمات في النقل بواسطة الإبل في مقابل دفع ضريبة أخوية[3] .

كما شهدت المنطقة في هذه الفترة من الحكم صراعات عائلية حول المشيخة (بن قانة وأولاد بوعكاز) ، وذلك بسبب السياسة العثمانية التي اعتمدت على تقريب أسرة على حساب أسرة أخرى ، والتي لعبت دورا فاعلا في تغذية هذه الصراعات ، وكرد فعل لهذه السياسة عملت الأسر على التحالف فيما بينها، من أجل تجنب الخطر الذي أصبح يتربصها، ويعتبر التحالف الذي وقع بين ابن شنوف و أولاد بوعكاز ، نموذجا لنظام الحماية من جهة والأخذ بالثار من جهة أخرى.[4]

حيث أن السياسة التي انتهجها الحاج أحمد باي في المنطقة تجاه بعض العائلات (أولاد مقران في مدجانة وبن قانة في الزاب) ، كان لها الدور البارز في هذه الصراعات والنزاعات ، حيث قام الحاج أحمد باي سنة 1830 بإسناد منصب

---

[1]_عائلة بوعكاز : تنحدر جذورها من بني هلال ،وهي أسرة عريقة في المنطقة ،تميزت بالشرف والشجاعة ،أشهر زعمائها فرحات بن السعيد، وتضم أولاد صاولة و الدواودة أنظر:صالح فركوس : ،**مرجع سابق** ،ص295.

[2]_ فترة حكم بني جلاب لمنطقة الزيبان تمتد من النصف الثاني من القرن 14 ميلادي إلى غاية بداية القرن 15،وتنحدر جذور هذه العائلة إلى الأمير بن غانية من بني مرين وقد توجه إلى واد ريغ حيث اتخذها مقرا له،أنظر
Feraud (ch):« **Notes Historique sur la province de Constantine, les bendjellab sultans de Touggourt »,RA**,n°23,Alger, 1879,p164
كما تعاونت هذه الأسرة مع الإدارة الفرنسية ،حيث راسل السلطان عبد الرحمان شيخ توقرت الحاكم العام الجنرال فوارول**VOIROL** عارضا عليه ولائه، كما دفع له ضريبة الولاء المقدرة ب20الف فرنك أنظر، معاذ عمراني :« **أسرة بني جلاب في منطقة واد ريغ خلال القرنين 19و20م،دراسة سيلسية اجتماعية** »،رسالة ماجستير،التاريخ الحديث و المعاصر،جامعة الأمير عبد القادر ،الجزائر، 2003 ،ص 58.

[3]_ أندري برنيان وأخرون : **مرجع سابق** ،ص 383.

[4]_ يعود سبب هذا التحالف لرغبة أحمد باى بن شنوف لثأر من عائلة بن قانة التي قتلت والده .أنظر : صالح فركوس :**مرجع سابق** ،ص296.



" **شيخ العرب** "[1] بإقليم الصحراء لبوعزيز بن قانة[2]، وهذا ما اعتبرته عائلة بوعكاز إهانة في حقها كونها تزعمت المنطقة ولمدة طويلة ،و هذا ما حمل زعيم أولاد بوعكاز[3] على الرفض القاطع لقرارات الباي والإصرار على أحقيته بالمشيخة ،فتحولت هذه الرغبة في القيادة إلى صراعات دموية بين العائلتين[4].

ففي سنة 1831 رأى الحاج أحمد باي ضرورة تأديب فرحات بن السعيد [5] نتيجة عصيانه ،فاحتمى هذا الأخير في واحة الزعاطشة ،التي كانت تحت قيادة بوزيان بطل ثورة

---

[1] _ حسب فيرو :فإن أول من حمل اللقب هو أمير الذواودة والرياح **علي بن** بوعكاز بن السخري، ومنحه هذا الشرف باي قسنطينة ،وجاء هذا اللقب الجديد ليخلف لقب أمير العرب .أنظر

Feraud (L) :« **Les Descendants D un Personnage des mille et une nuits en Algérie»,** RA, n°32,Alger, 1878, p 233.

[2] _ وتنحدر أسرة **بن قانة** من السلالة الشريفة " الشريف السيد الحاج بن قانة بن علي بن سليمان بن عبد العزيز بن محمد بن عمر بن خالد بن يونس بن إبراهيم بن منصور المكنى قانة بن محمد بن عبد الله بن عبد المالك بن العابد بن الحبيب بن أحمد بن عيسى ابن يوسف بن عدنان بن يوسف بن محمدين داود بن عبد الغفار بن عيسى بن عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله بن علي بن عيسى بن داود بن المهدي بن مسعود بن موسى بن عزوز بن عبد العزيز بن جبار بن عمران بن سالم بن عبد الله بن أحمد بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثني بن الحسن السبط بن علي وفاطمة الزهراء " **أنظر الملحق رقم 7** .

وأصل تسميتهم تعود إلى الفتح الإسلامي لبلاد المغرب ،فكانوا يلفون على المنازل ويراقبون السكان(كنوات) ، خوفا من ردتهم وعندما يسأل عنهم يجاوبون بهذا لفظ: كان وكان. ولكن مع مرور الوقت تغيرت اللهجات، ومنطق الألسن للقنوات.أنظر الشارق عبد الله بن محمد :**سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول** ،المطبعة التونسية،تونس ،1929.،ص150.

وحسب Féraud فإن جذور عائلة بن قانة تعود إلى "قرية كوكو المتواجدة في جبال جرجرة ،أين كانت تعيش امرأة اسمها قانة (ولهذا أصبح أبنائها وأحفادها يلقبون بن قانة) "وقد انتقلت للعيش بعرش العنانقة وتزوجت برجل من هناك أنظر:

Feraud (ch) : **Le Sahara de Constantine,** op.cit, pp88,

كما عمل محمود بن قانة في مهنة الحدادة ،وتعرف من خلالها على أحمد القلي،هذا الأخير الذي قصده لإصلاح حدائد فرسه ،فتطورت العلاقة بينهما إلى حد المصاهرة حيث تزوج أحمد القلي بمباركة بنت بن قانة (والدة أحمد باي) أنظر محمد خير الدين :**مـــذكرات** ،ج1،المؤسسة الوطنية للكتاب ،(ب ت ط) ،ص 64.

[3] - **أنظر الملحق رقم : 19.**

[4] _ صالح فركوس: **الحاج أحمد باي قسنطينة** ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،2007، ص 48.

[5] _هو فرحات بن أحمد بن محمد بن السخري المدعو فرحات بن السعيد ،ولد سنة1786 نشأ في بيت عمه مع أولاده في سيدي خالد ،أمه هي جرحة بنت الشيخ الحداد ،تولى مشيخة العرب سنة 1821 ويعتبر آخر من تولى هذا المنصب من الذواوة والرياحين ،وقتل بفعل الخديعة سنة 1842. أنظر فريدة قاسي : :«**الدولة في فكر الأمير عبد القادر 1832*1847**»، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، قسم التاريخ،جامعة قسنطينة، 1999،ص 197 .



1849، وقد رفض أتباع فرحات بن السعيد(أهل بن علي والغمرة) تسليمه ،هذا ما اضطر بن قانة إلى ضرب حصار على الواحة ،ولكن قواته فشلت في تحقيق النصر واقتحام الواحة ،مما جعله يفقد خلال هذا الحصار وما تبعه من مناوشات يقارب 400 رجل [1].

وتعتبر سنة 1837 هي بداية المقاومة في منطقة الزاب ،فبعد توقيع الأمير عبد القادر معاهدة التافنة شهر ماي من نفس السنة مع المستعمر الفرنسي ،توجهت أنظار هذا الأخير نحو إقليم الشرق ، الذي كان تحت سلطة الحاج أحمد باي، فعمل على توسيع نفوذه بالمنطقة فكون ثلاث ولايات .

1- **ولاية برج حمزة:** بزعامة أحمد الطيب بن سالم ،وتضم جبال جرجرة ،حوض الصومام وجزء من جبال البنيان الغربية .

2- **ولاية مجانة:** تحت قيادة محمد بن عبد السلام المقراني ثم أحمد بن عمر العيساوي والخروبي ،وتضم الجزء الشرقي من جبال بنيان وسهول سطيف ومسيلة وجبال الحضنة.

3- **ولاية الزيبان والصحراء الشرقية** : وولى عليها على التوالي ، فرحات بن السعيد والحسن بن عزوز و محمد الصغير بن عبد الرحمان بن أحمد بلحاج وتضم كل الواحات الصحراوية الشرقية، وعلى رأسها مدينة بسكرة .[2]

كما تمكنت القوات الفرنسية في هذه السنة من إجهاض ثورة أحمد باي ، وإسقاط آخر معاقل الدولة الجزائرية ، بعد الحملة الثانية على مدينة قسنطينة يومي 13، 14 أكتوبر 1837 ، بالرغم من بسالة الأهالي في مواجهة القوات الغازية حيث أنهم لم يقفوا مكتوفي الأيدي أمامها، وإنما واجهوها بكل قوة وبسالة ، واشتبكوا معها في قتال دموي عنيف، لم يقدر له النجاح بسبب اختلال ميزان القوى بين الجانبين، وتخاذل باقي مناطق الجزائر في الدفاع عن هذا المعقل نظر لضيق الأفق وعدم الخبرة السياسية ، بل الأكثر

---

[1]_ محمد أوجرتي : **مرجع سابق** ،ص 126

[2]_يحيى بوعزيز :« **مظاهر المقاومة وروادها في الشرق القسنطيني ضد الاستعمار الفرنسي في القرن 19**»، الأصالة، وزارة الشؤون الدينية ، الجزائر، ع79، 1980، ص89.



من ذلك توقيع معاهدة التافنة بين الأمير عبد القادر والسلطات الفرنسية ، والتي كان الغرض الأساسي منها تجنب منطقة الغرب ،خاصة بعد هزيمة فرنسا سنة 1836.

وبهذا تمكنت القوات الفرنسية من السيطرة على المدينة ومد نفوذها، ولم يجد أحمد باي بديلا سوى التوجه رفقة بعض من أقاربه على رأس جزء بسيط من جيشه إلى الجنوب مستنجدا بأصهاره من عائلة بن قانة في مدينة بسكرة [1]. في محاولة منه لاستنفار القبائل الصحراوية، قصد تقديم يد العون والمساعدة لاسترجاع مدينة قسنطينة. وقد اقترح أحمد باي على مرافقيه التوجه إلى بسكرة من أجل الحصول على قوة يمكن الاعتماد عليها، ثم تكون بعد ذلك العودة إلى قسنطينة عن طريق عنابة، بضرب حصار على العدو وقطع الإمدادات عنه لإضعافه والقضاء عليه، إلا أن خاله بوعزيز بن قانة عارض هذا الاقتراح، وطلب من أحمد باي التوجه إلى الصحراء أولا للقضاء على الخطر المتربص بهم هناك ،والمتمثل في عدوهم التقليدي فرحات بن السعيد من عائلة بوعكاز وشيخ العرب في الزيبان وطرده، ومن ثم التوجه لمهاجمة القوات الفرنسية بقسنطينة ، واسترجاع الملك الضائع [2].

ورغم أن أحمد باي لم يقتنع بالنصيحة، إلا أنه لم يكن له شخص أقرب من بوعزيز بن قانة يعتمد عليه خاصة وأنه لم يتوقع منه أن يقترح عليه أمرا لا يحقق ما يريده أحمد باي ، ولكن بوعزيز بن قانة كان يهدف من وراء إحضاره إلى الصحراء الاستيلاء على أمواله، وخوفا من سيطرة خصمه فرحات بن السعيد على منطقة الزاب بعد فشل مشروع الباي ،كما ذكر ذلك أحمد باي في مذكراته . [3]

حينما كان أحمد باي يستعد لتنفيذ اقتراح خاله و ذلك بعد يومين من سقوط قسنطينة، اتصل به مبعوث من قبل قائد القوات الفرنسية في معسكره – بأم الأصناب – حيث قدم

---

[1] _ إبراهيم مياسي:« **احتلال بسكرة 1844** »، الخلدونية، الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية لولاية بسكرة، الجزائر، ع02، 2003، ص36

[2] _ يحيى بوعزيز: **ثورات الجزائر في القرنين 19 و20**، ط1، دار البعث، الجزائر، 1980، ص45.

[3] _ أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة : **مذكرات** ،ترجمة محمد العربي الزبيري، ط2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981، ص ص76، 77.



لـــه رسالة جاء فيها:" **تعالوا أطلبوا الأمان ، استسلموا سريا سنبعثكـــم إلى فرنســـا**"[1].
رغم أن أحمد باي رفض هذا الطلب ، لكن القائد الفرنسي استمر في إرسال الوفود لإقناعه.إلا أن هذه الاتصالات باءت بالفشل لأن أحمد باي كان أمله في نجدة السلطان محمود الثاني له كبيرا[2]، لكن الباب العالي خيب أمله ،ورغم اليأس والإحباط الذي اكتنف الباي ،إلا أنه بقي صامدا، وتجلى ذلك الصمود في رفضه إبرام الاتفاقية التي اقترحها عليه فالي **(Valée)**[3] بل صمم على استرجاع بايلكه لآخر نفس .[4]

ورغم أن أحمد باي لم يكن مقتنعا بفكرة خاله بالتوجه إلى الصحراء ،إلا أنه رضـــخ في الأخير ، حيث توجه إلى بسكرة مارا بالقنطرة ومنها إلى الأوراس حيث شـــرع فـــي تنظيم المقاومة، وعند حلوله ببلدة لوطاية علم بالتحالف الذي أبرمه فرحات بن السعيد مـــع أولاد عبد النور و الحضنة ،وعن هجومه على مدينة بسكرة وتحقيقه نصرا كبيرا، واحتجاز عدد كبير من الرهائن وذلك بقصد التقرب من فرنسا[5].

كما أنه قام بمراسلة المارشال فالي ،طالبا منه تقديم يد المساعدة ،قصد القضاء علـــى أحمد باي وإبن قانة، في المقابل اعتراف فرنسا به كشيخ للعرب[6] .

وفي هذه الفترة قام الأمير عبد القادر بالاتصال بفرحات بن السعيد لبحث سبل مـــد نفوذه. ولكن فالي عندما علم بالأمر رفع تقريرا إلى الســـلطات الإداريـــة فـــي الجزائـــر العاصمة يوم 04 جانفي 1838 يقترح عليه تعيين فرحات بن السعيد كقائد على قســـنطينة ،مكان الشيخ حمود بن الفكون لكونه الأجدر بالحكم بعد أحمد باي المبعد، وكـــذلك دراســـة إمكانية جعل بسكرة عاصمة لبايلك جديد ، وتنصيب فرحات بن السعيد على رأسه ، كمـــا

---

[1]_صالح فركوس :**الحاج أحمد باي** ، مرجع سابق ،ص 72.
[2]_ صالح فركوس :**المرجع السابق** ،ص74.
[3]_ هو **Valée Comte** ولد في **Brienne** في 17ديسمبر 1773 ،بعد معركة موزايا **Mouzaia**،12 ماي 1840،تم تعينه قائد قاطعة قسنطينة،توفي في فرنسا سنة 1846. أنظر :
Jeanne et André Brochier : **Livre d'or De L'Algérie**, Baconnier Frères, Alger, 1937,p292.
[4]_ محمد العربي الزبيري :« **المقاومة في الجزائر1830*1848** »، الأصالة، وزارة الشؤون الدينيـــة ، الجزائـــر، ع31، 1976، ص 75.
[5]_ إبراهيم مياسي:**من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، 1999، ص45.
[6]_صالح فركوس :**إدارة المكاتب العربية** ،مرجع سابق ،ص298.



شرح له الدوافع والأسباب التي حملته على طلب هذه الاقتراحات ،وقد تمت الموافقة علـــى اقتراحه في تعين فرحات بن السعيد وكان ذلك في 17 جانفي 1838 [1].

وعليه فإن الحنكة والدهاء التي تميز بهما المارشال فالي ، كانتا السبب فـــي تغييـــر مجرى الأمور بالنسبة للثورة الشعبية فـــي الجنـــوب القســـنطيني حيـــث يقـــول برنـــارد أوغسطين(**Bernard Augustin**):إن العمل الأساسي الذي قام به فالي، هـــو تنظـــيم إقلـــيم قسنطينة، فطبق فيها أساليب السياسة الخاصـــة بمعاملة الأهالي، تلك السياسة التي أصبحت فيما بعد تطبق على مستوى القطر الجزائري بأكمله وقوام هذه السياســـة، هو إســـناد إدارة البلاد إلى الأعيان من الأهالي تحت إشراف القائد الأعلى للإقليـــم ، وذلك أن فرنسا لم تكن تريد أن تحكم البلاد حكما مباشرا، فقسمت السلطة ووزعتها على عدة رؤساء .[2]

وفي 30 سبتمبر1838 أصدرت الإدارة الفرنسية مجموعة من القرارات التي تركت أثرا عميقا في تاريخ الجزائر وكانت بمثابة نقطة الانطلاق لعلاقاتها مع العائلات الكبـــرى في إقليم قسنطينة ، وبلغ عدد هؤلاء الأعيان خمسة هم :ابن عيسى، حملاوي ، علـــي بـــن أحمد ، مقراني ، فرحات بن السعيد[3].

أما أحمد باي فقد توجه من لوطاية إلى طولقة ، أين عسكر بالقرب من زاوية ســـيدي رحال بين فوغالة والعامري ، وبدأ يعـــد نفسه لشن هـــــجوم على فرحات بـــن الســـعيد، وتشابكت القوتان في منطقة "الصحيرة".[4]

وقد تكبدت قوات فرحات بن السعيد وأنصاره من أولاد بن قانة خسائر كبيـــرة فـــي الأرواح ،حيث قدرت بــ700 رجل كما أنه عمل على تأديب بعض الواحات الموجودة في الزاب القبلي والزاب الظهراوي، بسبب مد يد العون والمساعدة لفرحات بن السعيد[5].

---

[1] _ أبو القاسم سعد الله: **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)**، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص ص، 95، 96.

[2] _ مصطفى الأشراف:**الجزائر الأمة والمجتمع**، ترجمة حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 60.

[3] _ مصطفى الأشراف: **المرجع السابق**، ص 61.

[4] _ Féraud (ch):« **Notes Historique sur la province de Constantine, les ben djellab sultans de Touggourt»,RA,n**°26,Alger,1882,p377

[5] _ نصر الدين سعيدوني:**دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر (الفترة الحديثة والمعاصرة)**، ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ، ص226.

وكان فرحات بن السعيد قد طلب الإمدادات والمساعدة من الفرنسيين، وبدل من إرسال مساعدات عسكرية أرسل له قرار تعين بن عيسى خليفة أحمد باي، قائدا على المنطقة، عندها بدأت تساوره الشكوك حول موقف فرنسا نحوه وتخليها عنه، فلم يجد فرحات بن السعيد من حل سوى التودد للأمير عبد القادر، وكسب دعمه إلا أن الحسن بن عزوز[1] (الكاتب الخاص لفرحات بن السعيد)، قام بمراسلة الأمير عبد القادر سرا بمساعدة سي السنوسي طالبا منه تعينه خليفة له وذلك من أجل القضاء على أحمد باي وأعوانه، حيث توجه الحسن بن عزوز بنفسه إلى الأمير، الذي أعجب بشخصه كثيرا فعينه خليفة على الزيبان 1838. [2]

ورجع بن عزوز إلى الزيبان رفقة الخليفة البركاني ،و حضي هذا الأخير باستقبال خاص من قبل فرحات بن السعيد ،الذي كان ينتظر توليته خليفة على الزاب، ولكن البركاني جاء بقرار تعين الحسن بن عزوز[3] كما منحه قوة عسكرية قوامها 700 جندي و1200 فارس وعدد من الأسلحة والذخيرة ، ودخل بسكرة وحرص على طرد الحاج أحمد باي وأولاد بن قانة الذين فروا إلى الشمال وتم تنصيبه كخليفة جديد.[4] وبهذا تم إقصاء أنصار أحمد باي من بسكرة سنة 1838.[5]

كما عاود فرحات بن السعيد مراسلة الفرنسيين ، ولكن كشف أمر رسوله ووقعت رسالته في يد الحسن بن عزوز الذي حولها إلى الأمير عبد القادر لكن الرسالة لم تصله لأنها وقعت في يد أناس يحقدون عن الحسن بن عزوز، فقاموا بإرسالها إلى خصمه بن قانة، وبهذا كشف أمره، وأمر الأمير بمعاقبته وسجنه في تاكدمت[6] مدة من الزمن. وأصبح

---

[1] _ لعبت أسرة الحسن بن عزوز أدوار مختلفة في الحياة اليومية للجزائر وذلك قبل الاحتلال وخلاله وتنتمي هذه الأسرة إلى زاوية الرحمانية ببرج بن عزوز ومن أشهر عناصرها محمد بن عزوز الذي أخذ الطريقة عن عبد الرحمان باش تارزي ثم المكي بن عزوز الذي نشر الطريقة الرحمانية بتونس.

[2] _ أحميدة عميراوي:**من تاريخ الجزائر الحديث** ، ط2، دار الهدى، عين مليلة ، الجزائر ، 2004، ص 163.

[3] _ فريدة قاسي : **مرجع سابق** ،ص 187.

[4] – حيث قال له البركاني عن هذا التنصيب (**هكذا ذهبت رسولا و عدت خليفة**) كما وعده بالمساعدة

[5] _ جمال قنان: **دراسات في المقاومة والاستعمار**، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 1998، ص58.

[6] _ وهي مدينة تيارت الآن.



مضرب المثل[1] التالي في المنطقة :" **الضبع ميدة القارة ومعه ثعلب الغيران تغامزوا على سيد الغابة** " [2] .

وبعد أن تبخرت آمال أحمد باي في استرجاع قسنطينة، قرر أولاد بن قانة الانفصال عنه والتعاون مع القوات الفرنسية، فقام بن قانة بمراسلة الجنرال **قالبوا (Galbois)** حاكم قسنطينة، طالبا الأمان متعهدا إياه بطرد بن عزوز وتوسيع نفوذ فرنسا إلى أعماق الصحراء وقد تم اختيار بن قانة وعزيز لعدة اعتبارات أهمها:

- المكانة التي يحظى بها بين الأهالي حيث أنه ينتمي لإحدى أعرق الأسر في المنطقة وتأثيره الكبير فيها.
- خبرته السياسية ذات الباع الطويل وتقديمه خدمات جليلة لحكام الجزائر وإخلاصه لهم .
- الثراء الكبير الذي يتمتع به بسبب أملاكه العديدة في قسنطينة وضواحيها .

وبهذا تم تعيين شيخ العرب بوعزيز بن قانة فأستسلم للعدو، ليدفع ثمن استسلامه التخلي عن القضية الوطنية ومبادئه التي جعلت الأهالي يكنون له بسببها كل الاحترام والتقدير، فخان هذه الثقة ليقبض ثمنها منصب خليفة،وهذا دليل على أن صراعه مع فرنسا من جهة، وفرحات بن السعيد من جهة أخرى لم يكن من أجل المصلحة العامة ،وإنما بسبب أهداف شخصية ، فصدر قرار التعيين في 14 جانفي 1839[3].

بعد هذا التعيين، أمر الدوق دومال **(Duc D'aumal)**[4]، بمنح عائلة بن قانة

---

[1] _ وشرح المثل: **الضبع هو**:الحسن بن عزوز ، **ميدة القارة** : ربوة صغيرة أمام واحة زعاطشة ترعرع فها الحسن بن عزوز **وثعلب الغيران**: هو أحمد بن الحاج ،**وسيد الغابة** : هو فرحات بن سعيد .

[2] _ إبراهيم مياسي: **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934**،دار هومة ، الجزائر ، 2005 ، ص 34

[3] _ **أنظر الملحق رقم : 1**

[4] _ هو الابن الخامس للملك لويس فيليب **Louis Philippe** ،عاش في الجزائر فيما بين(1840-1848) ، وقد كان دائما له الدور الفعال في مجريات الأحداث في فترة حكمه ، في 1842 وصل إلى أعلى رتبة عسكرية يوطنا جنرال ، ثم عين قائد مقاطعة قسنطينة ، قاد حملتين عسكريتين الأولى لاحتلال منطقة الزاب والثانية لاحتلال جنوب سطيف ، وفي سنة1847 وضع النقاط الأخيرة للاحتلال النهائي والتام للجزائر، وذلك بعد قضائه على مقاومة الأمير عبد القادر ، وقد سلمه سيفه الذي أرسله إلى القائد Lamoricière أنظر : Jeanne et André Brochier : **,op.cit.** , p 29.



156.487.4هكتار، وهي في معظمها أملاك خصمه الأمير عبد القادر [1]، كما شرع بوعزيز بن قانة ، في تنظيم وترتيب إدارته في الجنوب كما أنه بدأ يعلم الأهــالي بقــرار تعيينه ، مما أثار حفيظة خصمه حسن بن عزوز الذي قام باستفزاز بن قانة وذلــك بقتــل مبعوثين له.

فأعلن الأخير الحرب عليه ، وطلب العون من فرنسا لكنها خذلته كمــا فعلت مــن قبل ، ووقعت معركة بين الطرفين في 24 مارس 1840 واستطاع بن قانة من خلالها أن يلحق هزيمة نكراء بقوات بن عزوز، الذي تكبد خسائر فادحــة في الأرواح والعتــــاد.[2] وقد عبر فالي عن عظيم سعادته بهذا الانتصار الباهر، الذي استطاع أن يحقــق مكاســب هامة لفرنسا في الصحراء الجزائرية.

ونتيجة لهذه الهزيمة، قام الأمير عبد القادر بعزل الحسن بن عزوز. وتعيين مكانــه فرحات بن سعيد بعد أن أطلق صراحه، حيث تعهد هذا الأخير بالولاء والطاعة ،كما تمكن من شد الخناق على القبائل الموالية لابن قانة خلال سنتــي (1840، 1841)، واستمــــر في هذه السياسة رفقة الحاج مصطفى إلى أن تم قتله من طرف أولاد بــــوزيد بــأولاد جلال سنة 1842.[3]

فأرسل بوعزيز بن قانة رسالة في 20 نوفمبر 1842 إلـــى الحــاكم العــام فــالي بواسطـــة حاكم قسنطينة يخبره فيها ما يلي : " **يسرني أن أعلمكــم أن فرحات بن الســعيد خليفة الأمير عبد القادر بالصحراء قد قتل في معركة نشبت بينه وبين عــرش البوازيــد وقعت غربي الصحراء، واستطاع شيخ العرب بوعزيز بن قانة أن يأخــذ خاتمه وســيفه وأرسلهما إلي** "[4].

كما تحدث شـــارل فيرو عن هذا الموضوع بقوله :" **تآمر قويدر بن نعيم البوزيدي مع بن قانة بوعزيز لقتل فرحات بن السعيد، حيث اتصل قويدر بن نعيم بهذا الأخير ليبلغه**

---

[1] _أحمد حسين سليماني:«**نزع الملكية العقارية للجزائريين 1830*1871**»، مصادر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر1954، الجزائر، ع 06، 2002 ، ص 120.

[2] _ إبراهيم مياسي: **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837*1934**، مرجع سابق، ص35.

[3] _ إبراهيم مياسي: **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، مرجع سابق، ص57.



[4] _ محمد خير الدين :**مــرجع سابق** ،ص 63.



بمرض صديقه الشيخ عمار الشنيتي، وعند مرور فرحات بن السعيد بقبيلة قويدر طلب منه أحد أعيانها النزول وقراءة رسالة أرسلها الحاج أحمد باي ،فلبى فرحات بن السعيد طلبه،وبمجرد شروعه في قراءة نص الرسالة حتى فوجئ بطعنة خنجر بين كتفيه أردته قتيل ،فاستحوذ قويدر بن نعيم على سيف وختم فرحات بن السعيد وقام بإرسالهم إلى بن قانة ".[1]

وقد استاء الأهالي بمقتله لما يمثله من رمز للبطولة والشجاعة فجادت قرائحهم بهذه الأبيات الشعرية الشعبية :

يافــــارس إلــــى جيـــت تســـير
رد جـــوابي عنـــي عــــاود الأخبــــار
عــــرق الجــــواد غطــــى الـــدير
رد الجواب عنـــي يـــا راعـــي الصــبار
كيفاه مات حرمـــة أهـــل بـــن علـــي
فرحات الـــداودي حرمـــة مـــن جـــار...
كيفــــاه مــــات زيــــن الفرســــان
كيفــــاه فرحــــات مــــن ســـرجه طــــار
يــــوم البــــارود لاســــلاك الـــدين
قتلــــه الطمــــع بــــن قانــــة الغــــدار
يــــــا الخيــــــال تســــــيروا
ابكوا يا رجـــال علـــى خـــلاص الثـــار[2]

---

[1] _ محمد خير الدين **:مرجع سابق** ،ص 63.

[2] _ FERAUD (ch):« **Notes Historique sur la province de Constantine, les ben djellab sultans de Touggourt»,RA** ,n°28,Alger ,p p ,334,336.



كما أن فقدانه يعتبر خسارة حقيقية للمقاومة الجزائرية، ولكن على الرغم من هذه الخسارة إلا أن روح المقاومة لم تنقص في نفوس القبائل التي عملت على توحيد صفوفها وجمع إمكانياتها بهدف طرد الدخيل.

وفي سنة 1841 قامت القيادة الفرنسية بعزل حاكم قسنطينة فالي وتعين مكانه بيجو الذي اتبع سياسة استبدادية، فقد سعى بكل قوته للقضاء على المقاومة وذلك بملاحقة الأمير عبد القادر وتشديد الخناق عليه خاصة في منطقة الزيبان [1].

كما عمل على تشجيع السكان على الالتفاف حول الزعامات الجديدة[2]، ودعمها والتخلي عن الزعامات التقليدية التي تكن كل الكره والحقد للاستعمار وقد رتب بيجو الزعامات الجديدة كمايلي :

- شيخ الدوار .
- الفرقة .
- الخليفة والحاكم .[3]

وبعد الجريمة التي أودت بحياة فرحات بن سعيد، استغل الأمير عبد القادر فرصة هجرة بن قانة إلى الشمال (البحث عن مناطق الرعي) مع أنصاره 1842 ،واتصل بأحمد بن الحاج المعروف بمحمد الصغير، قائد مدينة سيدي عقبة ، الذي أبدى ولاءه للأمير فعينه خليفة له على الزيبان .[4]

---

[1] _أبو القاسم سعد الله : **الحركة الوطنية الجزائرية** ،ج1،المؤسسة الوطنية للكتاب ،1992،ص 228.

[2] _ يقول المؤرخ الفرنسي **louis Rinn** حول هذا الموضوع " **إن** سبب استنجاد فرنسا بهذه العائلات ،أنه لم تكن في حاجة إلى رجال الإدارة ولا إلى موظفين بل كنا في حاجة إلى حلفاء من ذوي السلطان والجاه أي إلى قوم يمكن بمالهم و حسبهم ونسبهم أن يكونوا خير رسل لنا لدى الأهالي الذين استطاع الأمير أن يؤثر فيهم باسم الإسلام وقد يكون من السخف بمكان أن نتوقع من هؤلاء الحلفاء الذين لم نكن نحلم بهم، إذ عرضوا علينا فتح مناطق لم نكن نعرفها ،ولم تطأها أقدامنا من قبل ،شيئا آخر غير الدعم السياسي والعسكري ،وكذلك كان الأمر " أنظر :مصطفى الأشراف ،**مرجع سابق**،ص 61.

[3] _ أبو القاسم سعد الله : **المرجع السابق**،ص232.

[4] _ أحميدة عميراوي:**من تاريخ الجزائر الحديث**، مرجع سابق، ص163.



ولما عاد بن قانة من المناطق التلية علم بالأمر، فأرسل لمحمد الصغير بولخراص يطلب منه العدول عن رأيه ، لكنه أصر على تحالفه مع الأمير، وفي ماي

1843 قام بن قانة بتجهيز قواته وبمساعدة بعض الكتائب الفرنسية له ، وتوجه لمحاصرة محمد الصغير لكن هذا الأخير صمد وقاوم رفقة أنصاره صمود الأبطال ورفضوا الاستسلام ، وهذا ما أدى إلى استمرار القتال لعدة أيام ، وأمام فشل بن قانة في إحراز النصر ، قام بقطع المياه عن واحة سيدي عقبة ، كما تحالف في هذه الفترة بن شنوف مع محمد الصغير، بعد تخليه عن بن قانة ، فأرغم هذا الأخير على فك الحصار بعد أن وقفت الطبيعة ضده بسبب هبوب عاصفة هوجاء ، كانت في صالح محمد الصغير وحليفه . وعاد إلى بسكرة منهار القوى ، فاستغل محمد الصغير الفرصة وقصد بسكرة من جديد[1] .

بينما بن قانة قام برفع تقرير للسلطات بقسنطينة وشرح لهم حالة الأوضاع في المنطقة خاصة الأمنية منها ، بشيء من التضخيم من أجل تحفيز الفرنسيين على الإسراع في تقديم الدعم له وبالفعل استجابت فرنسا لطلبه ، وجهز الدوق دومال الذي حملة كبيرة لتخليص الصحراء بصفة عامة ، وبسكرة بصفة خاصة من سيطرة قوات الأمير، وأحمد باي الذي انسحب إلى أولاد سلطان بعد فشله في استرجاع قسنطينة في 1841 بعد معركة واد الطاقة [2].

---

[1] _ إبراهيم مياسي: «**احتلال بسكرة 1844**»، مرجع سابق، ص ص38، 39.

[2] _ صالح فركوس :**الحاج أحمد باي** ، مرجع سابق ص 86.



المبحث الثاني : سقوط بسكرة في أيدي الفرنسيين 04 مارس 1844

بعد أن طلب ابن قانة المساعدة من فرنسا ، لبت هذه الأخيرة طلبه و انطلقت الحملة الفرنسية من قسنطينة في 07 فيفري 1844، بقيادة العقيد بوتافاكو(**Buttafaco**)، مكونة من فرقة مشاة بقيادة العقيد فيدال والخيالة تحت قيادة نوال (**Noël**) وقسم المدفعية بقيادة الجنرال ليهين(**Lyhine**) ، كما تدعمت بقوات من سطيف مقدرة بـــ: كتيبتان و200حصان بقيادة الجنرال كيسلاق ، وعند حلولها بمدينة باتنة تمركزت القوات بها ، حيث حولتها إلى مركز عسكري للتموين ، و قيادة العمليات ، أما سبب اختيار المكان فيعود إلى قربه من منطقة الزيبان ،كما أنه يعتبر حلقة وصل بين الشمال والصحراء ، وذلك حسب التقرير الذي أرسله دوق دومال إلى الجنرال بيجو في 9 جوان 1844[1].

وبعد تجمعها بقيت تنتظر قدوم بعض القوات من المناطق المساندة لها وتمثلت في 1000 من الإبل ، التي وعد بن قانة بإرسالها لحمل متاع وسلاح الجيش ، وبوصول الإمدادات تحرك الجيش صوب بسكرة ، و لم تكن رحلته سهلة أبدا ، وذلك بسبب اعتراض طريقه بعض الانتفاضات ، أهمها ثورة أولاد سلطان بالقرب من القنطرة في 25 فيفري 1844 ، أولى أقاليم الزيبان[2].

مما دفع بالعقيد بوتافاكو إلى إرسال أربع سرايا و 200 جواد بقيادة غويار للقضاء على تلك المقاومة ، حيث تمكنت قوات العدو من صدهم وألحقت بهم الهزيمة فقتلت 15 مقاوم ، و أجبرت الناجين منهم على الفرار مما فتح الطريق أمام العدو الفرنسي للتوغل في قلب الصحراء واحتلال عاصمة الزيبان بسكرة [3] .

وبسقوطها سقطت آخر المعاقل التركية بالجزائر التي يمكن لأحمد باي أن يلجأ إليها. [4]

ولقد تضاربت المواقف حول الاحتلال ، ففيما سارع بعض زعماء القبائل لنجـــدة

---

[1] _ Abdelhamid Zouzou : **L' AURES Au Temps De La France Coloniale Evolution Politique Economique et Sociale1837*1939,** tom1, **DE**, édition distribution Houma, Alger, 2002 pp 185,186.

[2] _ أنظر الملحق رقم :**12**.

[3] _ Abdelhamid Zerdoum : **Les Biskris et la France,** entreprise des arts graphiques et de bureautique de Biskra, Alger, 1998, p3.

[4] _ Abdelhamid Zerdoum : **Les français a Biskra 1844-1962**, entreprise des arts graphiques et de bureautique de Biskra, Alger 1998, p5.

المدينة ومن بينهم الصادق بن الحاج وعبد الحفيظ الخنقي ، اتخذت الزاوية التيجانية[1] بقيادة الشيخ علي تيماسين موقف الحياد ، وذلك لخوف قائدها من الدخول في مواجهة مع فرنسا، إضافة إلى المضايقات الكبيرة التي تعرضت لها الزاوية (عين ماضي) على يد الأمير عبد القادر سنة 1838 وقد عبر عن ذلك العقيد دنفو(**De-Neuveu**) " **ربما لولا الاعتداءات العديدة والمتكررة ضد سيدي أحمد التيجاني وحرب الأمير عبد القادر الغير عادلة ضد ابنه، لانتهج الحاج علي سلوكا مناقضا ،حول التغيرات التي حلت بالمنطقة وأهمها الاحتلال الفرنسي لحاضرة الزيبان بسكرة** "[2]

وبعد هذه الحوادث واصلت الحملة طريقها في 25فيفري1844 في محاولة منها لإحكام السيطرة على المناطق المجاورة ، حيث تمكن الدوق مونتبونسيه (**MONTPENSIER**)- أخ قائد الحملة- من السيطرة على الطرق المؤدية إلى القنطرة ،حيث سلكت طريق جبلي ضيقة[3] رومانية (شيدت في العهد الروماني) ،ولم تعد مستعملة وذلك لصعوبة منحدراتها [4] . كما أخضع مكماهون (**Mac-Mahon**) قبيلة بني معراف التي تقطن بالسفوح الجبلية المجاورة للأوراس [5].

وفي 04 مارس1844 تمكنت قوات العدو من دخول المدينة ، بدون أي ثورة بعد أن فر منها محمد الصغير بالحاج قبل وصول الحملة بمدة . وبهذا تمكن الجيش الفرنسي من إخضاع منطقة الزيبان ، التي أعلنت له الولاء في مقابل الحماية ، كما أنه أظهر إعجابه الكبير بجمال المنطقة الطبيعي (**الرمال والنخيل**) ، والاقتصادي لما تحتويه على ثروات هائلة[6].

هائلة[6].

[1] _ مؤسسها هو شيخ أحمد التيجاني في قرية تماسين (قرب توقرت) وقد تولى ابنه حاج علي قيادة الزاوية بعد وفاة والده .1815.

[2] _ يوسف تلمساني: «**موقف الزاوية التيجانية من الاحتلال والمقاومة** »،الملتقى الوطني الأول والثاني حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية ،وزارة المجاهدين ،الجزائر ،2007،ص ص 39،38

[3] _ **أنظر الملحق رقم :18**

[4] _ Abdelhamid Zerdoum **: Les Biskris et la France,** op.cit,p33.

[5] _ Abdelhamid Zerdoum : **leçons d'histoire et polémique a Biskra 1830*1962**, entreprise des arts graphiques et de bureautique de Biskra, Alger ,2000, p5.

[6] _ محمد صالح العنتري: **فريد منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها (تاريخ قسنطينة)**، مراجعة وتقديم:يحيى بوعزيز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 164.

وبعد هذا الانتصار شرع الدوق دومال في تطبيق سياسته قصد إحكام السيطرة على منطقة الزيبان ، حيث قام بإرسال مجموعة من الضباط الذين يحسنون اللغة العربية إلى القرى ، لمراقبة الأوضاع والتأكد من خضوع هذه القرى وولائها ، ونذكر منهم الرائد توماس (**Thomas**)[1] النقيب دونفو (**De-Neuveu**) ، والنقيب فورنيه(**Fournier**)[2] والنقيب ديسفو(**Desvaux**) [3]، كما أنه قام بمصادرة أملاك المجاهدين الفارين والذين لم يسلموا أنفسهم بعد قدوم الحملة، إضافة إلى معاقبة المقاومين الذين تم أسرهم وحجز أملاكهم ، كما أنه زج في السجون بالعديد من المشاغبين على حد قوله بتهمة التشويش وأمر بتجهيز قوة عسكرية مكونة من 300 رجل لمهاجمة " **قصبة بسكرة** "[4] ووضعها تحت تصرفه . وفي الأخير أقام حامية عسكرية تتكون من الرماة تحت تحت قيادة الرائد توماس التي أعطيت له تعليمات من أجل تنظيم المدينة عسكريا وإداريا وإقامة ثكنة بالقصبة [5] .

وبعد هذه السلسلة من الإجراءات، أكمل الدوق دومال المسيرة في محاولة منه للتوغل أكثر في أعماق الزيبان والقضاء على كل جيوب المقاومة ضد فرنسا . فقصد في 7 مارس 1844 واحة سيدي عقبة [6]، حيث ذكر النقيب كارات (**Carette**) قائلا : "**حللنا بمسجدها أين يوجد ضريح القائد العربي عقبة ابن نافع الفهري** "[7].

---

[1] _ هو **Thomas Joseph** ولد في **Hambourg** هو خريج مدرسة **Sain Cyr** 1829 قدم إلى الجزائر 1834 استقر في قسنطينة حتى سنة 1847،عين قائد على وهران 1857 ،ثم على جيجل فتلمسان ،توفي في 27 ماي 1859 أنظر : Jeanne et André Brochier , **op.cit.** p 287

[2] _ هو **Fournier Pierre** ولد في 16جوان 1859 في الجلفة ،بعد أن استقرت عائلته بها في 1852 ،عمل بالصناعة في المدية ،وفي سنة 1876 استثمر أمواله لابتكار مطحنة في المسيلة ،وفي سنة 1857 عمل كمستشار بلدي لمدة 30 عاما ،أنظر : Jeanne et André Brochier , **op.cit.** p 137

[3] _ هو **Nicolas Gilles Toussaint Desvaux** ولد في باريس في 6 نوفمبر 1816 ،هو خريج مدرسة سلاح الفرسان ،استقر في الجزائر بين 1840-1859،وفي سنة 1852 ترقى إلى رتبة كولونيل ،ثم إلى قائد مقاطعة توقرت ، ثم لواء 1855،غادر الجزائر إلى إيطاليا للقيام بدورة تكوينية ،أحيل إلى التقاعد سنة 1881 .أنظر: Jeanne et André Brochier , **op.cit.,** p 115.

[4] _ حيث قام محمد الصغير بن أحمد بلحاج بإخلائها قبل فراره ،بعد وصول أنباء عن الحملة الفرنسية إلى المنطقة

[5] _ صالح فركوس :**إدارة المكاتب العربية** ،مرجع سابق ، ص 304.

[6] _ الواقعة على بعد 16كلم جنوب شرق بسكرة.

[7] _ Abdelhamid Zerdoum : **Les Biskris et la France,** op.cit. p6.

وبعد مرور عشرة أيام أعلن قائد الحملـــة أن العديـــد من القرى والقبائل الرحـــل قـــد قدمت فروض الطاعـــة ، بدفعها الضرائب والتي قـــدرت ب 150ألف فرنـــــك، وعلـــى الرغم من الارتفاع الكبير لقيمة الضرائب ، و التأكيد الفرنسي بأن الاستســـلام والخضـــوع كان عاما ، إلا أن ملامح الرفض فرضت نفسها على ســـاحة الأحـــداث رغـــم الإصـــرار الفرنسي على إنكارها ، وخير دليل على ذلك ما أظهره أهالي مشونش .

فبمجرد وصـــول القوات الفرنسية إلى المناطق المتاخمة لجبـــل أحمـــر خـــدو، حتـــى احتدمت المعارك بين الطرفين في العديد من المناطـــق ، منها : القبائل المجـــاورة لجبـــل أحمر خدو، ولقد أبدى الثوار من البسالة وقوة الرفض وعدم الاستسلام ما أدهش العـــدو، حيث فقدت القوات الفرنسية في هذه المعركة 06 جنود منهم الضابـــط بوران ، كما أصيب 16 آخرين بجروح . أما مـــن جانب المقاومين فقـــد استشـــهد مـــا قـــارب 14مجاهـــــد معظمهم من سكان مشونش [1].

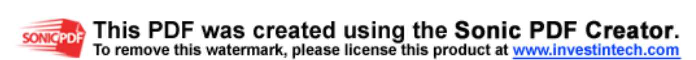
وبعد هـــذه المعركة اعتقد الدوق دومال أنه تمكن مـــن القضـــــاء علـــى المقاومـــــة وللأبد، وأن الصحراء قد فتحـــت له أبوابهـــا على مصراعيها، ولكـــن الـــواقع أثبت لـــه عـــكس ذلك ،

فبمجرد وصولـــه إلى بسكرة وصلتـــه أنباء مفادهـــا أن أولاد سلطان (أنصار أحمد باي) قد ثـــاروا من جديد فتكبـــد عناء إخماد هذه الثورة في مـــدة تجاوزت 10 أيـــام.[2]

وقد أثبتت هذه الثـــورة للدوق دومـــال أن مهمتـــه في إحكام السيطرة علـــى بـــلاد الزاب والتوغل إلى الصحراء لن تكون سهلة وبسيطة كمـــا كان يعتقد .

[1] _ عبد الحليم صيد: **أبحاث في تاريخ الزيبان**، مرجع سابق، ص 52.

[2] _ إبراهيم مياسي: **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، مرجع سابق، ص 65.



المبحث الثالث : رد فعل سكان الزيبان من الاحتلال الفرنسي

مع وصول الحملة الفرنسية إلى منطقة بسكرة في شهر مارس 1844 ،قصد القضاء على قوات الأمير عبد القادر، و الاستيلاء على عروس الزيبان ، شعر الشيخ الصادق بن الحاج بالخطر الجسيم الذي أصبح يهدد المنطقة لذلك أعلن رفضه الاتصال بالفرنسيين أو التعاون معهم .

فبعد مغادرة محمد الصغير بن أحمد بن الحاج مدينة بسكرة ، اعتصم بجبال الأوراس و بالضبط بواحة مشونش ، استقبله سكانها بصدر رحب ، و عاهدوه على الوقوف بجانبه ضد العدو الغاصب و أطماعه ، خاصة بعد أن بدأ العدو في الاستعداد لاستكمال سيطرته على الواحات المجاورة لبسكرة ، قصد تثمين مخططاته في إحكام سيطرته ، فكانت واحة مشونش من بين المناطق التي شملتها هذه الأطماع ، والهدف من وراء ذلك مد جذوره في بلاد الأوراس بعد إحكام سيطرته على منطقة الزيبان كما كان يتخيل له [1].

إضافة إلى الاستيلاء على ثروة أحمد باي التي تركها في مشونش قبل رحيله ، و لأن الشعب الجزائري واحد ، جاء الرفض من الأوراس لا يقل حدة عن رفض الزيبان للتواجد الاستعماري[2].

1. معركة مشونش[3] 15 مارس 1844

فما إن كشف الشيخ الصادق بن الحاج عن النوايا الاستعمارية ، و ذلك بعد خروج الدوق دومال على رأس قوة كبيرة قاصدا واحة مشونش، حتى قام بإرسال ابنه إبراهيم لنجدة الأهالي هناك من الخطر الفرنسي ، الذي بدأ يقترب منها شيئا فشيئا [4] .

فأنطلق الشيخ إبراهيم بن الصادق بن الحاج من جبل أحمر خدو على رأس قواته متجها نحو مشونش، فالتقى بالشيخ محمد الصغير بن أحمد بن الحاج و اجتمع المجاهدون في دار محمد أمقران(الذي كان مقدم الزاوية الرحمانية لمشونش)، و قد تحولت هذه الدار

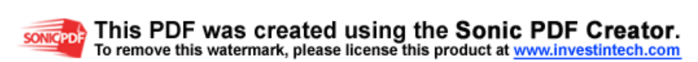
---

[1] _ محمد العيد مطمر :« **الاحتلال الفرنسي للأوراس**»،أضواء الأوراس التاريخية ،ع ت،2006،ص 39.

[2] _ Abdelhamid Zerdoum : **Les Biskris et la France ,** op.cit. p 9.

[3] _ مشونش تقع في الجزء الشمالي الشرقي لعاصمة الزيبان على مسافة 30 كلم[3] ، عند نهاية سلسلة من الجبال بين بسكرة و أريس .

[4] _ عبد الحليم صيد: **أبحاث في تاريخ الزيبان**، مرجع سابق، ص 53.



إلى مركز قيادة حيث كانت تصدر منها مختلف الأوامر والتعليمات الإشارات إلى الثوار المنتشرين عبر واحة مشونش.[1]

وفي مارس 1844 اصطدمت القوات الفرنسية التي بلغ عددها 150فارسا بقيادة ترومبلي (**Tremblay**) بالثوار، فمنيت بهزيمة تكبدت من خلالها خسائر فادحة ،وردا على ذلك قرر قائد المقاطعة تجهيز حملة تكون أقوى وأعنف ، حيث بلغ قوامها 1200 جندي و400 حصان، ووصلت إلى مشارف الواحة يوم 12 مارس وبدأت بفرض حصار محكم عليها ، [2] و لكن الثوار تفطنوا لخطة[3] العدو فقاموا بسد كل الثغرات التي يمكن أن يستغلها العدو ليتسلل منها إلى الواحة، و أمام هذه الخطة الدفاعية المحكمة لم تجد القوات الفرنسية منفذا لاقتحام الواحة سوى ضرب القرية بالمدافع، إلا أن سلاحها الفعال لم ينجح هذه المرة لأن عزيمة الثوار كانت أكبر وأقوى من مدافعها .

ولذلك لم تتمكن من بث الرعب والهلع في نفوسهم فكانت الكلمة الحاسمة والأخيرة لهم، فقد أبدى الثوار من البسالة والضراوة ما أذهل العدو ،وعلى الرغم من بساطة أسلحتهم التي تمثلت في (سيوف ،خناجر ،عصي ،بنادق) لم يزدهم هذا إلا إصرارا ،رغم فقدانهم لـــ خمسون مقاوم ،كما وصف أحد جنرالات العدو سكان مشونش بقوله "**أنهم مرتبطون بأرضهم ومساكنهم وفلاحتهم ونخيلهم ولا يستطيعون التنقل و الترحال كقبائل الرحل ...إن المعركة الأولى التي خضناها مع المقاتلين بمشونش ... تعطي لنا دليلا على الدفاع المستميت الحثيث ،وقد وجدنا مقاومة عنيفة ورجالها عنيدون يدافعون درجة بدرجة فوق صخورهم ،رجلا برجل على سطوح منازلهم الملتصقة تخالها وكأنها شرفات بعضها فوق بعض** " [4].

وقد تراجعت قوات العدو بعد أن منيت بهزيمة شنعاء وقد فقدرت خسائرهم بــ09 قتلى و 10 جرحى ، حيث وصفها أحد الجنود الفرنسيين قائلا: " **وجدنا مقاومة حادة و**

---

[1] _فوزي مصمودي : « **معركة مشونش ببسكرة 1844 الخالدة** » ، الخلدونية ،الجمعية الخلدونيةللأبحاث والدراسات التاريخية لولاية بسكرة، الجزائر ، عدد 03، ديسمبر 2004، ص ص 136-137.

[2] _ Abdelhamid Zou zou : **, op.cit.** p.188 .

[3] – ارتكزت خطته على توجيه وحدة رماة القنابل التابعة للفيف الأجنبي باتجاه أعلى الجبل ،كما تقوم مجموعة من من الجنود النظامين بحمايتهم أنظر: Abdelhamid Zou zou : **, op.cit.** p 189

[4] – محمد العيد مطمر :«**الاحتلال الفرنسي للأوراس**» ،مرجع سابق ،ص 39.



عنيفة و أرضا صعبة و صخورا، وقد لحقتنا خسارة فادحة "[1]. و دامت المعركة يوما كاملا بعد أن قدرها القائد الدوق دومال ببضع ساعات و هي تكهنات واهمة لقادة الغزو. ظل الشعب الجزائري مصرا على تكذيبها بصموده .

ومن نتائج هذه الثورة أنها رفعت معنويات المجاهدين أكسبتهم ثقة كبيرة بأنفسهم ، إذ حمل هذا النصر بذرة أمل زرعت في نفس الأمير عبد القادر الذي أصبح يمر بظروف حالكة بعد سقوط زمالته سنة 1843 ، كما تفاعل معها الشعراء الشعبيون فجادت قرائحهم بقصائد عبرت بصدق عن فرحة الشعب وإصرارهم على مواصلتة الجهاد .

و بعد هذا الانتصار الساحق الذي حققه المجاهدون بفضل إيمانهم و قوة عزيمتهم ، و الذي أشعل غضب فرنسا و سخطها على المجاهدين ، أمرت بدفن أحداث المعركة فمنعت توثيقها لا لشيء سوى لمحو عار الهزيمة من ذاكرة التاريخ ، و لعل هذا هو تفسير سبب انعدام المراجع التي تناولت الأحداث التاريخية لهذه المعركة بالتفصيل[2] .

إلا أن الرسام (Raffet) رافي قام بتخليد المعركة في لوحته المشهورة التي تبين النقيب إسبيماس (Espimasse) و هو من قوات العدو ساقطا على الأرض يعاني من جروح كثيرة و مؤثرة ، و المقاومون فوق الصخور يقاومون بشدة و عزم [3] .

على الرغم من مجهودات فرنسا لطي هذه الصفحة المنيرة في تاريخ المنطقة إلا أن هذه المعركة كان لها الصدى الكبير و العميق لدى صانعي مجدها.

---

[1] _ عبد الرحمن تبر ماسين، **مرجع سابق**، ص 12.

[2] _ جمعية أول نوفمبر : **تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الاجتماعية والإدارية في أثناء فترة الاحتلال الفرنسي (1837، 1954)** ، دار الشهاب باتنة، الجزائر، 1980، ،ص 191.

[3] _ عبد الرحمان تبرماسين: : **سي الصادق بن الحاج الانتفاضة الكبرى (1844–1859)** ،ط1، جمعية الشروق الثقافية، باتنة ، الجزائر ، ص 12.



2: معركة بسكرة ماي 1844

بعد أن احتلت القوات الفرنسية مدينة بسكرة بقيادة الدوق دومال ،توجه هــذا الأخيــر إلى أولاد سلطان ليطلب من أحمد باي الاستسلام ،فعين الرائد توماس على المدينة ،ووضع تحت إمرته فرقة عسكرية صغيرة ، فاستغل محمد الصغير بن أحمد بلحاج خليفــة الأميــر عبد القادر في سيدي عقبة الوضع ، وقام بالتخطيط لاقتحــام بســكرة فــي 12و13 مــاي 1844 ، من أجل استرجاعها والقضاء على الحامية العسكرية بها[1] .

واعتمدت خطته على الخديعة والمباغتة ، حيث كلف 150رجلا مــن خيــرة مقاتليــه بالدخول إلى قصبة بسكرة ، وطلب منهم الإدعاء بالفـــرار من قواته وإظهار العـــــداء له ، وعرض التعاون مع فرنسا ، لكن الهدف الحقيقي من هذا التسلل[2] هو فتح باب القصبة ليلا لمحمد الصغير والقوات المرافقة له.[3]

وعندما بلــغ عددهــم 25 رجلا أرسلــوا لــه مــوعد الهجوم ، فـقصد القصبة لــيلا وتــم الهجــوم في 12مــاي 1844 وكانت نتائج هــذا الهجوم المباغت وخيمـــة علــى العدو حيث قتــل ملازمان (بوتيقــوند، كــروشار) كمــا قتــل الطبيب آرســـلان ، و قــد تــم استرجاع ما قــارب مليونيــن دوروه[4]، و 22 مكحلة[5] و115 بذلة عسكريـــة ، و 400 حصان وخزينتيــن من البــارود ، وأربعـــة مـــدافع وكميـــات مــن القمــح والشعيــر، و لــم ينج مــن المجزرة سوى الطاهيــة **ماريــا موراني** اليهودية [6]، **والرقيب**

---

[1] _ Bouaziz Ben Gana :**LE CHIEKH EL ARAB** , étude historique sur la famille Ben Gana Alger,1930.p98

[2] _لكن هناك بعض الروايات تقول على أن التسلل كان عن طريق إحداث ثغرات في الجدران.

[3] _ عثماني مسعود :مرجع سابق ،ص 62 .

[4] _ هي عملة معدنية كانت تستعمل في تلك الفترة.

[5] _ ويقصد بها البندقية .

[6] _وقد أعلنت إسلامها، تزوجها فيما بعد محمد الصغير، و أنجبت له ولدين حسب رواية فيرو و مكثت معه إلى أن توفي في توزر (جنوب تونس) 1856 ،و بعدها اتجهت إلى القيروان.أنظر
Abdelhamid Zerdoum : **Les Biskris et la France ,** op.cit. pp15,18 .

بيليسيي (**Pellissier**)[1] . بعد أن هرب واحتمى عند الشيخ الميول شيخ طولقة ، كما علم فرحات بن السعيد بأمر هذا الأخير وطلب من فرسانه قتله .[2]

كما راسل الرقيب بيليسيي الضابط دوق دومال وأخبره بما حدث وطلب منه العودة ، فرجع هذا الأخير إلى بسكرة ، رفقة ألفي فارس[3] كما أمرهم بقطع نخيل الواحات المجاورة ، ونتيجة لهذه الإجراءات القاسية تمكن دوق دومال من دخول بسكرة للمرة الثانية يوم18 ماي 1844 .[4]

أما محمد الصغير فقد تخوف من القبض عليه فأنسحب إلى الأوراس ومنها إلى تونس. وبعد هذه المعركة رأى الدوق دومال ضرورة الشروع في تطبيق إجراءات جديدة ،فأصدر في 23 ماي 1844 أمرا عاما اعتبره تنظيما جديدا، وبمقتضاه تم تعيين الرائد توماس كقائد أعلى للمنطقة كما قام بتعين أربعة شخصيات لها وزنها بحكم انتمائها إلى عائلات كبيرة برتبة ضباط ، فأسند **قيادة شيخ العرب** لبو عزيز بن قانة الذي يحتل منصب خليفة للصحراء، وتمتد سلطته على:

- **واحة بسكرة:** تخضع واحة بسكرة والمدينة لسلطة القائد(محمد الصغير بن علي بن قيدوم بن قانة) ،وقسمت الواحة إلى ستة أحياء **هي:** باب القبة، رأس الكدية، باب الضرب، باب الغلة قداشة،المسيد ويدير كل حي كبير الجماعة.
- **الزاب الظهراوي:** ويشمل الواحات التالية: بوشقرون، فرفار، البرج ليشانة، الزعاطشة، طولقة، ويخضع كل جزء من هذه الواحات لكبير الجماعة، ماعدا طولقة تخضع لشيخ.[5]

---

[1] _ هو **Pélissier Almable Jean Jacques** ولد في 6 نوفمبر 1794 ،حارب في إسبانيا 1823 ،وفي سنة 1839 أصبح كولونيل ،وفي 1840 تولى رئاسة مقاطعة وهران ،وفي 22أفريل 1846 أصبح حاكم عام للجزائر ،توفي 1864 ، يعرف عند سكان المنطقة ب" بسارجان بليس"أنظر: Jeanne et André Brochier , **op.cit.** p 247

[2] _ يحيى بوعزيز :«**من تاريخ كفاح الجزائر في القرن التاسع عشر أربعة أحداث في ثلاث وثائق**» ،المجلة التاريخية المغربية ، سير مدي _زغوان ، تونس ، ع2، 1974 ،ص 100.

[3] _ _ محمد صالح العنتري: **المرجع السابق**، ص 164.

[4] _ يحيى بوعزيز :«**من تاريخ كفاح الجزائر** » ، المرجع السابق ،ص 97.

[5] _**أنظر الملحق رقم :11.**



- **الزاب القبلي:** ويشتمل الواحات التالية: أورلال، ليوه مخادمة بنطيوس، مليلـــي، أوماش، الصحيرة، ولكل من أورلال ومليلي شيخ والواحات الأخــرى تخضـــع لكبير الجماعة.
- **البدو والرحل:** توضع مباشرة تحت سلطة شيخ العرب، رحل الجنــوب: عــرب الشراقة وعرب الغرابة وأولاد سيدي صالح.[1]

أما **قيادة سي مقرا ن**[2]،فأسندت إلى القائد المنحدر من أسرة سي محمد بلحاج،حيــث تولى قيادة الحضنة ، أولاد دراج ، أولاد زيان وبني سويف وبني فــرح وأولاد ســحنون، القنطرة، البرانيس، الصحاري.

و **قيادة الزاب الشرقي:** والمقسمة إلى فرعين متناحرين من أولاد مولة هما بن عبــد الله وبن شنوف وتخضع هذه المناطق لسيطرة شيخ العرب.[3]

وبعد هــذا التقسيم لمدينة بسكرة عرفت المنطقــة العديد من الأحــداث فيمــا بــين (1845*1848) حيث تميزت هذه الفترة من تاريخ المنطقة بتصاعد روح المقاومة . ففي ســنة 1845 حــاول ســكان جبــل أحمــر خــدو مخادعــة الرائــد ســان جرمــان (Saint Germain)، وإيهامه بخضوع الفلاحين وفي المقابل قامت بإيواء وحماية أحمد بــاي لمدة عامين.كما تميزت سنة 1846 بانفجار الثورة في شرشال و استرجاع خنقــة ســيدي ناجي رغم المواجهة العنيفة لسان جرمان.[4]

و في 1847 عاود سكان واد عبدي تفجير الثورة ، وقد تولى ســان جرمــان أمــر ردعهم، في الوقت الذي قام فيه الجنرال هيريبون (Herbillon)[5] بزحف على واحــة أولاد جلال لملاحقة شريف بومعزة ، الذي قدم إلى المنطقة في مطلع 1847، هذا الأخير الــذي

---

[1] _ Ben Gana : **op.cit.** p 102.

[2] _أنظر الملحق رقم :02.

[3] _ إبراهيم مياسي: **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، مرجع سابق، ص71.

[4] _ إبراهيم مياسي: **المرجع السابق**، ص 72.

[5] _ هو **Herbillon Emile** ولد في 23 مارس 1794 في **Châlons** وكان من بين الأوائل الذين قصدوا الجزائر للعمل كأجراء باليوم سنة 1837 ،ثم عمل كقائد معسكر **Medjez Hamma** بين **Bône** وقسنطينة ، عين كولونيل في 12 أكتوبر 1842 وشغل منصب حاكم عام لمقاطعة قسنطينة ما بين 1847_1850 ،وفي سنة 1858ترقى لرتبة مارشال توفي سنة1866. أنظر : Jeanne et André Brochier ,**op.cit.** p 166

انسحب من جبال الظهرة إلى الونشريس ، أين اندلعت معارك طاحنة بين الطرفين ، قتل فيها 33 رجلا وجرح 110 آخرين من صفوف الفرنسيين.[1]

و شهدت هذه السنة من شهر ديسمبر استسلام رائد المقاومة الجزائرية في إقليم الغرب الأمير عبد القادر بن محي الدين ،بعد أن صار محاصرا بين قوتين (فرنسا والسلطان المغربي) وقد كان لهذا الاستسلام وقعا شديد على الجزائريين[2].

كما شهدت فرنسا سنة 1848 حدثا سياسيا على درجة كبيرة من الأهمية تمثل في نهاية الملكية وقيام الجمهورية الثانية ، هذه الظروف التي استغلها علي باي – ابن فرحات بن السعيد – و قام بإشعال لهيب الثورة ، التي حققت الكثير من الإنجازات أصبح معها الوجود الفرنسي في الجزائر مهددا ، ومن ثمة جندت فرنسا كل الطاقات قصد ردع هذا الخطر .[3]

كما تميزت هذه السنة باستسلام القطب الثاني للمقاومة الجزائرية ناحية الشرق أحمد باي ، حيث قام بالاتصال بسان جرمان ، بعد أن خذله السلطان العثماني ، وبعد أن منيت جل جهوده بالفشل طالبا الأمان[4]، وتمكنه من استعادة أمواله مع السماح له بالعيش في أرض إسلامية [5]، وتحدث عن استسلامه " **لقد جئت للفرنسيين طوعا، تحذوني إرادة صارمة لوضع حد لهذه الحرب الطويلة القائمة بيني وبينهم، إبرام اتفاق دائم والحصول على أمان مشرف** ".[6]

فاقتيد إلى بسكرة ومنها إلى قسنطينة حيث مكث فيها ثلاثة أيام ثم رحل إلى الجزائر أين بقي ينتظر الإذن بالسفر إلى البلاد المقدسة، ولكن العدو وككل مرة لم يف بوعوده . إلى أن توفي في شهر أوت 1850، بسبب كبر سنه وتمكن المرض منه[7].

---

[1] _محمد صالح العنتري: **مرجع سابق**، ص 167.

[2] _ Ben Jamin Stora : **Algérie histoire Contemporaine 1830*1988,** Casbah Edition,2004,pp23,24.

[3] _ إبراهيم مياسي: «**احتلال بسكرة 1844** »، مرجع سابق، ص50.

[4] _ العربي الزبيري : «**المقاومة في الجزائر** » ،مرجع سابق ،ص 110

[5] _ Abdelhamid Zerdoum : **Leçons d'histoire et polémique à Biskra**, op.cit. p10.

[6] _ أحمد طالب الإبراهيمي : «**مقاومة الأوراس في عهد أحمد باي** »،الملتقى الوطني الأول حول مقاومة الأوراس في عهد أحمد باي ،الجمعية الثقافية لتخليد المعركة الكبرى فرغوس أكباش،الجزائر ،2006،ص 5 .

[7] _يحيى بوعزيز: **ثورات الجزائر في القرنيين 19و 20**، مرجع سابق، ص 51

وعلى الرغم من استسلام البطليــن الأمير عبد القادر والحاج أحمد بــاي، وإلقــائهم لسلاح المقاومة كل على طريقته ، إلا أن الشعب الجزائــري عامـــة وســكان الزيبــان خاصة، لم يستحسنــوا فكرة الخضوع والاستسلام ، لأن الخطر الذي رفـــع مــن أجلــه السلاح ما يزال قائما بنفس أساليبه الهمجية وسياسته الجائزة، مــن قتل وحــرق وســلب ونهب وسفك للدماء، فلهذا ظل الأهالي مستعدين لتلبية نداء أي قائد يحمل لواء الانتفاضة ، وذلك بشهادة المستعمــر نفسه، حيث قــال البارون لاكويه مخاطــب حكومتــه " **طالمــا تحتفظون بالجزائر ،فستكونون في حرب مستمرة في إفريقيا، وقد يبدوا في بعض الأحيان أن هذه الشعوب انتهت ،إلا أن ذلك لــن يقلل مــن كــره هــذه الشعوب لكــم ،ســيكون انتهاء الحرب بمثابة نار لم تنطفئ تماما بل تستعر من تحت الرمــاد ،وفــي أول فرصــة سيندلع لهيبها لتشتعل على شكل حريــق** "[1] .

فجــاء نــداء بوزيان سنة 1849 والشيخ عبــد الحفيظ الخنقي سنة 1849، ثم تــلاه نداء الصادق بلحاج سنة1858 ثم محمد بن يحيى سنة 1876. ليستمــــر بــذلك رفــض الأهــالي للتواجــد الفرنسي، والعيــش تحــت قيوده وليرســم هــذا الــرفض أجمـــل صورة مــن صورة تاريــخ المقاومــة للاحتلال فــي الزيبان .

[1] _توفيق برو : «**جذور الاستعمار وجرائمه في الجزائر** »، سيرتا ،دار البعث قسنطينة ،الجزائر ،ع 7،6، 1982، ص 4 .



الفصــل الثاني

المقاومـــة الشعبيـــة بمنطقـــة الزيبـــــان (1849*1859)

المبحث الأول : ثورة الزعاطشة 1849

المبحث الثاني : ثورة عبد الحفيظ الخنقي1849

المبحث الثالث : انتفاضة الشيخ الصادق بن الحاج 1859

المبحث الأول : ثورة الزعاطشة 1849

۞ لمحة عامة عن واحة الزعاطشة

واحة الزعاطشة تقع في الزاب الغربي ببلديـــــة ليشانة [1] على بعد35 كلم من عاصمة الزيبان بسكرة ، ذكر أنها كانت واحة صغيرة ، تملك من السحر ما يعجز اللسان عن وصفه ، محاطة ببساتين النخيل والأشجار المثمرة تمتد على مساحة 12 كلم ، تلفها أسوار مشيدة من مادة الطـــوب المكوي تشق أرضيها سواقي ذات مياه غزيرة و عذبـــة في العـــادة [2]. ونظرا لأهميتها البالغة حرص سكان المنطقة على استغلالها بالشكل المناسب ، فتم تنظيم توزيع المياه للري على حسب مساحة الأرض التي يمتلكهـــا الفرد ونوعية المحاصيل المزروعة ، كما أن هذا التوزيع يكون وفقا لقنوات السقي وهي موروثة من العهد الروماني ، لتسقي السكان والبساتين [3].

حيث يتوسط هذا السحر قرية صغيـــرة تقع فوق ربوة ووسطها توجد شبه قلعة حسنة البنيان مشيدة بالحجر ومسقوفة بفروع النخيل ، ومنازلها المتقاربة من بعضها البعض ليتبيـــن للزائر مدى قوة الترابط والتلاحم الموجود بين سكانها ، و يسهل هذا البناء كثيرا التنقـــل عبر السطوح دون النزول إلى الأرض [4] ، كما أن سكانها فتحوا نوافذ صغيرة في جدران المنازل ، تسمح لهم بالتنقـــل من حي لأخر دون أن يظهروا إلى العيـــان [5]، وقد شكلت هذه الفتـــوح الكثيـــر من المصاعب للقوات الفرنسية التي لم تكن تعلـــم عنها شيئا رغم جواسيسها وهذا ما جعلها تفر كلما حاولت الاقتراب من الواحة تحت وابل من الرصاص ، ومن أجل حمايتهـــا قام

---

[1] _**أنظر الملحق رقم :16.**

[2] _ المركز الوطني لوثائق الصحافة والإعلام: **كيف تحررت الجزائر**(الذكرى 35 لثورة نوفمبر)، الجزائر، 1989، ص20.

[3] _ محمد الصغير غانم :**مقالات حول تراث منطقة بسكرة والتخوم الأوراسية** ،عمار قرفي،الجزائر ، (ب،س،ط) ،ص ص 73،74.

[4]- بن عيسى سعيد : (نقلا عن السيدة بن عيسى يمينه عمتة إحدى سكان واحة الزعاطشة 1849)، ليشانة ،أجرى الحوار معه في ليشانة يوم 4أوت 2008.

[5] _ إسماعيل العربي : «**الترتيبات التاكتيكية لحصار قرية الزعاطشة أكتوبر1849**»، مجلة الدراسات التاريخية ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ومعهد التاريخ، الجزائر، ع 09، 1985، ص152.**أنظر الملحق 22.**

سكانها بحفر خندق[1] كبيــر يحيط بجميــع المساكن ، على شكل دائري يبلغ عرضه 6 إلى8 أمتار، أما عمقه فيصل إلى 80سنتمترا و1.20م ، يغذي هذا الخندق مياه عين الفوارة [2]، ويصل هذا الماء إلى القرية بواسطة منحدر صخــري. [3]

وقد وصفهــا أحمد توفيق المدني قائــلا : " **وعلى بعد 4 كلم من طولقــة توجــد واحة ليشانة الشهيــرة بثمرهــا العجيــب الشفــاف و الــذي يسمى دقلة نــور وبها صناعة وتجــارة الصــوف** " [4] .

و توجد بها عينان جاريتان تعرفان بعين معكوف وعين الفوارة[5] و منتجاتها كثيرة ومتنوعة (التمر، الحبوب ، الرمان ، المشمش ، التين). إضافة إلى بعض المنتجات التجارية مثل (القصب،التبغ ،الحناء) ، وهذا ما مكن الواحة من تحقيق اكتفائها الذاتي،وقد ساهمت هذه العوامل في إنعاش الحركة التجارية بها ،فتعاملت مع أهم الأسواق التجارية في الوطن في تلك الفترة (سوق بسكرة ،بوسعادة ،باتنة) ، كما اشتهرت الواحة بتربية الغنم والجمال[6] .

تجاورها عدة واحات : فرفار ، ليشانة ، أوماش ، بوشقرون ، يقصدها العديد من الرحل قصد التجارة في أسواقها [7].كما يوجد بها مسجد تعلوه منارة . و عدد سكان هذه الواحة 3000 3000 نسمة ، أي ما يقارب 150عائلــة ، في تلك الفترة[8].

---

[1] _ **أنظر الملحق رقم :23** .

[2] _ **أنظر الملحق رقم :25**.

[3] _ محمد العربي الزبيري: **مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي** ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1976 ، ص ص66 ، 67.

[4] _أحمد توفيق المدني: **مرجع سابق**، ص222.

[5] _بن عيسى سعيد : **مرجع سابق.**

[6] _إسماعيل العربي : **مرجع سابق** ، ص 152

[7] _جمعية أول نوفمبر: **مرجع سابق** ص220.

[8] سعيد بورنان: **شخصيات بارزة في كفاح الجزائر (1830،1962)**، ج1 ، ط2، دار الأمل، الجزائر ، 2004، ص113.

المطلب الأول : أسباب اندلاع ثورة الزعاطشة

لقد حاول المؤرخون الفرنسيون أن يرجعوا أسباب اندلاع ثورة الزعاطشة إلى رفض فرنسا لطلب بوزيان[1] والمتمثل في تجنيده كمرتزق في جيشها ، وإلى بعض الأسباب الاقتصادية[2] كمحاولة منهم للحط من قيمة الثورة بسبب ضعف أسبابها ،ولكن الحقيقة غير ذلك لأن هذه الثورة اندلعت بوجود عدة دوافع جوهرية ساهمت في إشعال فتيل الثورة[3].

1- رفض سكان الزعاطشة للتواجد الفرنسي وسياسته الجائرة ، خاصة بعد إصداره قرار 4 نوفمبر1848 الذي يتضمن إلحاق الجزائر بفرنسا[4].و قتل وحرق وسلب ونهب ممتلكات الشعب فألتف الأهالي حول نداء بوزيان[5]، من أجل تجسيد الرفض القاطع للسيطرة الفرنسية على أرض الواقع.[6]

2- تقرير الإدارة الفرنسية إلزام السكان بدفع مبالغ طائلة وهذا ما رفضه الأهالي لأن الضرائب المفروضة عليهم كانت تفوق إمكانياتهم المادية، ورغم علم السلطات الفرنسية بتدهور محصول التمور بسبب الأزمات المتعاقبة على الزيبان منها زحف الجراد سنة 1845الذي يطلق عليه "**ريح الصحراء**[7]"، إلا أن الضرائب المحصلة لهذه السنة بلغت

---

[1]_ **الشيخ بوزيان** : أحمد بوزيان بن إسماعيل ،ولد عام 1799 ،ينحدر من أسرة مشهورة في بسكرة وهي عرش الدواودة ،درس في زاوية بالجزائر ،وبعد سقوط العاصمة عاد إلى الزيبان أين التقى بالأمير عبد القادر وشارك معه في عدة معارك ،حتى عينه شيخ على الزاب الشرقي،أنظر :
Halim Cherfa **: l héroïque bataille de zaatcha**, l imprimerie el maraaf, Alger, 2007, p53.

[2] _فوزي مصمودي : «**الذكرى 152 لثورة الزعاطشة ببسكرة أما آن لنا أن تسترجع رؤوس زعمائها من متحف باريس**»، الشروق اليومي، الجزائر، ع330، 2001 ،ص4.

[3] _سليمان الهادف قريري : «**القوى الوطنية في الجزائر و مقدمات الثورة التحريرية 1945*1954**»، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر ، قسم التاريخ ،جامعة الإسكندرية ، 1988 ، ص 39.

[4] _ Abdelhamid Zouzou : **op.cit.** p236

[5] _حيث قال **Léon Roches** سنة 1844 " يتسرع كثير من الناس إلى القول بأن العرب ينفرون من الأشراف ...هذا اعتقاد خطأ والحقيقة أن ارتباط الأتباع بأسيادهم لا يزال قائما, وما انتفاضة الجزائر برمتها ضد فرنسا إلا استجابة لنداء أولئك الأشراف " ، أنظر
Charles robert AGERON : **Les Algériens Musulmans et la France1871 -1919**, thèse t.i.p.u.f, 1968, p8.

[6] _ إبراهيم مياسي : «**ثورة الزعاطشة 1849**»، مجلة الدراسات التاريخية ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ومعهد التاريخ، الجزائر، ع 11 و12، 2000 ،ص87.

[7] _صالح فركوس :**إدارة المكاتب العربية** ،مرجع سابق ،ص 241.

1446350فرنك[1]، كما شهدت منطقة الزاب سنة 1847موجة من الجفاف دامت ما يقارب 3 سنوات مما أدى إلى عجز الفلاحين عن إنتاج قوت يومهم [2].

كما تضاعف سعر القمح ليصل إلى 40 فرنكا والشعير 25 فرنكا ، في سنة 1848 وعلى الرغم من إصابة النخيل بمرض أتلف المحصول وجعله خارج دائرة البيع لم تتوانى السلطات الفرنسية على الزيادة في الضرائب ، كما قررت في شهر مارس 1849 الزيادة في الضرائب المفروضة على بساتين النخيل والتي قدرت بـــ15 إلى 45 سنتيم أي ضعفي ما كانت عليه ، كما أنها قامت بمطالبة الأهالي بدفع ضريبة الكولوغي[3] فدعا الشيخ بوزيان الأهالي إلى الامتناع عن دفع الضرائب لأن فرنسا لن تتوقف عند هذا الحد ، بل إن الإدارة الفرنسية ستقوم بالرفع من قيمتها إذا كانت هناك استجابة .[4]

3- إضافة إلى وجود أسباب تتعلق بفرنسا نفسها حيث أنه في 1848 شهدت هذه السنة قيام الثورة الفرنسية والإطاحة بعرش لويس فيليب وعزله وقيام النظام الجمهوري ، هذا ما انعكس على الحياة السياسية في الجزائر . حيث تم عزل الدوق دومال وتعين مكانه الجنرال كافانياك[5] **(Cavaignac)** .[6]

وقد وصلت هذه الأخبار إلى المنطقـــة بواسطة أبنائها الذين كــــان يطلـــق عليهم (البسكرية) الذين كانوا يعملون في العاصمة في العديد من المهن والأعمال الشاقة والحراسة ،فتلقوا أخبار سقوط الحكم الملكي وكذلك أخبار اندلاع الثورة في بعض المناطق الشمالية من الجزائر منها: بني سليمان والقل، الزواغة ، وبني علي ،جبال جرجرة و بوسعادة ،هذا ما وضع القيادة الفرنسية في موقف حرج أجبرها على توحيد

---

[1] _صالح فركوس :**المرجع السابق** ،ص312

[2] _أندري برنيان وآخرون : **مرجع سابق** ،ص ص 336،337.

[3] _ وهي ضريبة أمرت أن تدفع للطبقة الموالية لها في المنطقة وكانت هذه الضريبة تدفع في عهد الأتراك

[4] _جلال يحيى: **تاريخ المغرب الكبير للعصور لحديثة وهجوم الاستعمار**، ج3، دار النهضة العربية، بيروت، ص 184 انظر أيضا، Abdelhamid Zouzou, **op_cit,** p 236

[5] _ هو **Louis Eugène** ولد في15 نوفمبر1802 بباريس ،هو أحد طلبة المدرسة المتعددة الفنون والعلوم ،تميز منذ صغره بنبوغ والعبقرية ،تولى قيادة معركة الزواوة 1837 ،أصيب مرتين في معركة شرشال ومليانة ،عين حاكم للجزائر 1843،شغل منصب نائب في البرلمان وفي سنة 1848 شغل منصب وزير الحربية تحصل على منحة نصف التقاعد في 19 فيفري 1852 توفي في أكتوبر 1857 ،أنظر. Jeanne et André Brochier , **op.cit.** p 91.

[6] _ Abdelhamid Zouzou , **op.cit.** p235

قواتها ، من أجل إخماد هذه الثورات وما إن وصلت هذه الأخبار إلى منطقة الزيبان حتى عزم سكانها على السير في نفس الدرب وإعلان الثورة .[1]

4- رغبة الشيخ بوزيان في مواصلة مسيرة قائده الأمير عبد القادر، رغم سياسة الترهيب التي اعتمدتها فرنسا ضده إلا أنه لم يرضخ بل أصر على مواصلة الكفاح لإيمانه الشديد أنه في سبيل الله وهي قناعة رجل متصوف لذلك نجد أن الوازع الديني كان له دور في تفجير الثورة .[2]

5- انتشار بعض الشائعات بين الجزائريين والتي مفادها أن ملك المغرب ينوي الهجوم على الجزائر وتخليصها من الاستعمار الفرنسي ، وكذلك عودة الأمير عبد القادر من أجل حمل لواء الجهاد ضد المستعمر من جديد ، كما كشفت هذه الشائعات عن نية بريطانيا في منافسة فرنسا واحتلالها للجزائر، و أنها قامت بالفعل في إنزال قواتها على السواحل ، وقد اتهم كاربيسيا **(Carbuccia)** و هربيون يهود الجزائر في نشر هذه الشائعات ورغم محاولات تكذيبها إلا أنها لم تنجح نظرا لقوتها وتأثيرها العميق[3] .

6- فرض فرنسا ضرائب على المرابطين من بينهم (الشيخ بوزيان) ، كما أنها قامت بإلغاء جميع الامتيازات التي كانت تتمتع بها هذه الفئة من الأهالي[4].

7- السياسة التي طبقتها فرنسا بعد احتلالها للمنطقة وخاصة سياسة مصادرة الأراضي التي اتبعتها حيث أنها أصدرت العديد من القرارات في هذا الشأن أهمها:

- مرسوم 1844 القاضي ببطلان شراء الأراضي وتحديد البنود المتعلقة ببيع وشراء الأراضي بين الأوربيين والجزائريين.
- قرار 31 أكتوبر1845 الذي خص مصادرة الأراضي كما صودرت فيه أملاك السكان بحجة الإهمال.[5]

---

[1] _ العربي منور : **تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر** ،دار المعرفة ،2006،ص 245.

[2] _ **تاريخ الجزائر(1883*1900)**: CD-ROM، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر.

[3] _ محمد الصغير سويسي:« **ثورة الزعاطشة دوافع وأسباب الفشل**»، المجلة الخلدونية ،الجمعية الخلدونية للدراسات و الأبحاث التاريخية لولاية بسكرة، الجزائر، ع3، 2004 ، ص44.

[4] _أبو القاسم سعد الله : **الحركة الوطنية الجزائرية 1830 *1900** ، مرجع سابق ، ص333.

[5] _ Charles robert AGERON, **op.cit.** p 69.

- قرار 1846 الذي فرض على كل مواطن سندات ملكية أصلية كما قام بتحديد الملكيات، أما الأراضي التي ليست لها سندات تحول مباشرة إلى ملكية الدولة.[1]

8- الدور الذي لعبه أحمد باي في تفجير ثورة الزعاطشة وهذا ما أكده هربيون ،حيث أنه بعد القضاء على أحمد باي واقتحام منزله عثر على بعض المراسلات التي كانت بين أحمد باي وبوزيان[2].وهو دليل قاطع على أن المقاومة الشعبية في منطقة الجنوب هي امتداد للمقاومة الشعبية المنظمة في الشمال .

المطلب الثاني : الاستعداد للثورة ومراحلها

1: الاستعداد للثورة

أمام هذه الوضعية السيئة التي أصبح يتخبط فيها سكان الزعاطشة من جراء السياسة الاستعمارية الجائرة ، قرر الشيخ بوزيان إعلان الجهاد فبدأ بالدعاية وبحث السكان على عدم الامتثال لأوامر الإدارة الفرنسية والامتناع عن دفع الضرائب ،ولقد استجابت بعض القبائل لهذا النداء ،منها أولاد عبدي سكان قرية نارة ،وهذا ما دفع فرنسا لقيادة حملتها الأولى ضد هذه القرية في 25 أفريل 1849بقياد كربيسيا [3]، حيث قام بالاتصال بزعماء القبائل والأعراش المجاورة(سي المختار في سيدي خالد وأولاد جلال،سي صادق بن الحاج في أحمر خدو ،وعبد الحفيظ الخنقي في الزاب الشرقي وسي الصغير بن أحمد) ،من أجل كسب تأييدهم وإعلان الجهاد وجمع المال وشراء السلاح وتخزين المؤن[4].

ولما علم القائد العام بالمنطقة قام بإصدار قرار يقضي بإلقاء القبض على كل المتمردين وعلى رأسهم الشيخ بوزيان ، فتوجه سيروكا(**Séroka**) [5] إلى الزعاطشة على رأس فرقة من الفرسان و شيخ طولقة ابن ميهوب، وعند وصولهم إلى الواحة وجدوا الشيخ بوزيان يقوم بجولة

[1] _ علي تابليت :«**مصادرة أملاك أهل الزعاطشة**» الثقافة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر،ع115 ، 1982، ص33.
[2] _ صالح فركوس :**إدارة المكاتب العربية** ،مرجع سابق ،ص 59.
[3] _ Abdelhamid Zouzou : **op.cit.** p 235 .
[4] _صالح عوض : **معركة الإسلام والصليبية في الجزائر 1830-1962** ،ج1، ط1، مطبعة حلب ، الجزائر،1989، ص 157.
[5] _ أنظر الملحق رقم

في البطحة فأمره سيروكا بركوب البغلة المعدة لنقله إلى بسكرة ووضعه في السجن بتهمة التشويش[1].

فامتثل الشيخ بوزيان لأوامر القائد وصعد على ظهر البغلة ، إلا أنه تنبه إلى حيلة تمكنه من ربح الوقت ريثما تصل النجدة فقام بقطع خيط سبحته فتناثر حبها، فنزل لجمعه ، وسرعان ما انطلق صوت رصاص الثوار معلنا عن وصول الفرج وبداية الرفض الرسمي والقاطع للعدو ولسياسته، فدب الهلع والذعر في أوساط الفرقة الفرنسية، فلم تجد حلا سوى الانسحاب خوفا من الموت (رغم أنهم محترفين فيه؟)[2] ، وعند وصوله إلى بسكرة قام سيروكا بتقديم تقريرا مفصلا إلى القيادة العليا ذكر فيه ما حدث وعن النية الحقيقية للأهالي في إعلان الثورة وعلى إثر هذا التقرير أسرع الملازم الأول ديبوسكي (**Dubosquet**) إلى المنطقة قصد التفاوض معهم طلبا منهم تسليم الشيخ لكن السكان رفضوا قائلين " **إننا نرفض أن نسلمكم الذي تطلبون وإننا سنقاتل عن أخرنا رجالا ونساء من أجله**" وعندها عرف ديبوسكي حقيقة أمر الثورة ، كما اتهم رؤساء الأهالي بالتواطؤ مع بو زيان بقوله " **إن في مثل مسألة خطيرة كهذه المسألة ،لا نتردد في الحكم ...ذلك أن كل رؤساء الأهالي بالزاب الظهراوي قد شاركوا في الجريمة بالتزامهم الصمت،**"[3].

وسرعان ما اشتعل لهيب الثورة فأعلن كل من سكان فرفار، فوغالة وشيوخ بوشقرون تحالفهم مع بوزيان. فرأى سيروكا أنه من الضروري العدول عن كل الترتيبات السابقة وإيقاف الهجوم المقرر والعودة إلى مدينة بسكرة ، من أجل دراسة المستجدات ووضع خطة محكمة تمكنه من القضاء على الثورة ، وعند وصوله أصدر أوامره للنقيب لارجيني (**Largenée**) باستدعاء شيخ العرب بن قانة وأفراد أسرته الموالين للفرنسيين وإعطائهم أوامر بجمع قواتهم وبتجنيدها والتوجه إلى واحات الزعاطشة و فرفار وليشانه[4] .

فاغتنم الموالون لبن قانة الفرصة وراحوا يمارسون كل أنواع الدمار والخراب التي نهلوها من أعوانهم ليمارسوها ضد أبناء وطنهم الذين رفضوا التحالف مع العدو تحت أي ظرف، والحقيقة

---

[1] _أحمد مريوش : **مرجع سابق**، ص121.

[2] _محمد العربي الزبيري: **مرجع سابق**،ص 53.

[3] _ صالح فركوس :**إدارة المكاتب العربية** ،مرجع سابق ،ص 64.

[4] _ Bouaziz Ben Gana : **op.cit** ,p115.

أن هذه الأعمال التي مورست ضدهم من أبناء عمومتهم لم تزدهم إلا إصرارا وعزما على مواصلة الكفاح، فلم يتوانوا عن إلحاق الخسائر الوخيمة بالعدو ومطاردته ومنعه من دخول الواحة.[1]

وبهذا تمكن الشيخ بوزيان ومن خلال هذه الانتصارات أن يكسب المزيد من المناصرين فتحالفت معه العديد من القبائل في الأوراس والحضنة وأولاد سلطان، فبرز الشيخ بن الجودي شيخ أولاد زيان ،حيث بلغ عدد قواته حوالي 400 رجل وقد امتدت حركته إلى واد عبدي وقام الثوار بمهاجمة قائدهم بن عباس في لوطاية ،كما دعا المرابط الشيخ عبد الحفيظ الخنقي مقدم إخوان الرحمانية إلى إعلان الجـــــــــــهاد في خنقة سيدي ناجي ،واستمال إليه أولاد داود وبني سليمان [2].

كما لبى الدعوى أولاد سحنون في بريكة وجندوا حوالي 800 فارس و400 من الخيل، وتمردوا على خليفتهم سي مقران وقائدهم من أولاد سلطان سي عمران بن جناد ، وهاجموا زمالته، ودارت بينهم معارك طاحنة في منطقة بريكة أصيب على إثرها ابن سي مقــران، كما لاذ الفرسان الباقون بالفرار، و قتل سي مقران على إثر رصاصة أصابته في رأسه، ومن أجل إنقاذ ما يمكن إنقاذه تدخلت القوات الفرنسية فقتلت العشرات من أولاد سحنون كما أرسلت فرقة من قسنطينة إلى بسكرة واتحدت مع الفرقة القادمة من سطيف ، التي بلغت 2000 مقاتل تحت قيادة كاربيسيا وقد تمثلت مهمته في القضاء على أولاد سحنون. ثم التوجه إلى واحة الزعاطشة الثائرة ، وفي 09جويلية1849 هاجم القائد كاربيسيا خيم أولاد سحنون واستباحت القوات الفرنسية القتل والحرق في القبيلة وغنمت ما قارب 2000 رأس من الإبل و12000 رأس من الغنم، وتمكنت بهذا من إخماد لهيب الثورة وإرجاع الهدوء إلى منطقة الحضنة [3].

2: مراحل الثورة

مرت ثورة الزعاطشة بثلاث مراحل أساسية هي:

- مرحلة القوة
- مرحلة الحصار

[1] _ سعيد بورنان : **مرجع سابق**، ص116.

[2] _ يحيى بوعزيز: **ثورات الجزائر في القرنين 19و20** ، مرجع سابق، ص63.

[3] _ صالح عوض:**مرجع سابق**، ص157.

- مرحلة الضعف والانهيار

أ. مرحلة القوة:

بعدما تمكن القائد كاربيسيا من تهدئة الأوضاع في منطقة الحضنة وقضائه على ثورة أولاد سحنون ، توجه إلى الزعاطشة على رأس قوة قوامها 2000 جندي للقضاء على الثورة والتخلص من زعيمها الشيخ بوزيان متجاهلا أن الثورة تقودها المبادئ لا الأشخاص[1].

فعسكر القائد كاربيسيا في غابات فرفار ، حيث قرر تقسيم قواته إلى فوجين أحدهما تحت قيادة العقيد لونوار (**Le Noir**) والأخر تحت قيادة سان جرمان وتمثلت خطته في توجيه هجوم خاطف على الواحة قبل وصول المتطوعين وتقديم العون لسكانها، وما إن اقترب الفوجان من الواحة حتى انهال عليهما الثوار بوابل من الرصاص ، وبعد ساعات من الاقتتال تأكدت هزيمة كاربيسيا ، فوجه أمرا لجنوده بالانسحاب والتراجع، ولكن قراره جاء متأخرا حيث وجد نفسه محاصرا من طرف قوات المتطوعين من (مسيلة، بوسعادة ، أولاد نايل).[2]

وقد تكبدت القوات الفرنسية خسائر فادحة في الأرواح والعتاد حيث قتل 32 جنديا من بينهم العقيد لونوار وجرح ما قارب 117 جنديا ، ولكن بفضل دهاء كاربيسيا تمكن من مخادعة الثوار والتملص والفرار منهم حيث وجه أوامر لمن بقي من جنوده بالتخلص من أسلحتهم والانبطاح إلى جانب القتلى دون حراك لإيهام القوات الثائرة بقضائهم على العدو ، وعندما تأكد كاربيسيا من مغادرة الثوار ، أمر جنده بالقيام والهرب إلى مدينة بسكرة تاركين وراءهم جثث قتلاهم لأنهم لم يتمكنوا حتى من حملهم .[3]

وبهذا مني أول هجوم فرنسي على الواحة بفشل كبير ، هذا الفشل الذي زاد في إصرار الأهالي على مواصلة المقاومة والالتفاف حول الشيخ بوزيان ، وتأييدهم المطلق لثورته ،ومن جهة أخرى ثار الشيخ عبد الحفيظ الخنقي في واد إبراز،في 17سبتمبر1849 وتمكن

---

[1] _ Halim Cherfa , **op. cit**, 64

[2] _ إبراهيم مياسي: **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، مرجع سابق ،ص81.

[3] _ سعيد بورنان : **مرجع سابق** ،ص117.



في معركة حامية الوطيس من قتل الرائد سان جرمان ، والتي سيأتي الحديث عنها مطولا في الفصل القادم.[1]

وقد اعترف الفرنسيون بعجزهم حسب ما صرح به القائد دو نفو (**De-Neuveu**) قائلا " **إن الحالة بالزيبان بدأت تسوء بل أن الخطر بدأ يتزايد هناك ، لقد فقدنا عز قوتنا في أعين جل الأهالي نتيجة ما يروجونه من أخبار في هذا الاتجاه كما أن المخلصين لنا من رؤساء الأهالي قد انجذبوا وتأثروا باتجاه الرأي العام المناهض لفرنسا**" [2].

ب . مرحلة الحصار

وبعد الهزيمة القاسية التي منيت بها القوات الفرنسية بدأت بتجهيز حملة ثانية تكون أكثر قوة وعنفا بقيادة هيربيون حاكم مقاطعة قسنطينة، فانتظر نهاية فصل الصيف لصعوبة مناخ المنطقة في تلك الفترة. وبحلول فصل الخريف قاد هربيون الحملة من قسنطينة متجها نحو الزعاطشة ،مرورا بباتنة بقوة عسكرية قدرت ب4493 جندي ومدعمة بقوات القياد ، حيث عسكر في مكان يسمى " **كدية المائدة** " وهي منطقة تصل كل من الزعاطشة وليشانة وبشقرون وطولقة وذلك يوم 07 أكتوبر1849 ، وقد أمر القائد هربيون شيخ العرب بن قانة بوعزيز بجمع شيوخه ورجاله والإحاطة بالواحة والزاوية لإحكام الحصار عليها من جهة الجنوب ، كما كلف فرقة الخيالة بقيادة الكولونيل دوميرياك بالتمركز مابين طولقة والزعاطشة لمنع وصول أي نجدة ، كما أمر المقدم ليرسات(**Lirisat**) بالتمركز قرب ليشانة لنفس الغرض[3] .

أما الواحة فقد كانت بها تحصينات محكمة يصعب خرقها فقد كانت محاطة بسور ضخم ، كما يوجد بها خندق كبير يحيط بجميع المساكن ، إضافة إلى تقارب المنازل من بعضها البعض سهل كثيرا التنقل عبر السطوح دون النزول إلى الأرض كما قام السكان بفتح نوافذ صغيرة في جدران المنازل تسمح لهم بالتنقل من حي إلى أخر دون أن يظهروا للعيان [4] .

_[1] Halim Cherfa **, op. cit,** p65.

_[2] صالح فركوس :**إدارة المكاتب العربية** ،مرجع سابق ،ص 51.

_[3] إبراهيم مياسي : **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية** ، مرجع سابق ،ص67.

_[4] محمد العربي الزبيري: **مرجع سابق** ،ص67.

وسط هذه التحصينات أسديت الأوامر للمدفعية بقصف أسوار البساتين المحيطـة بالزاوية[1] ،لإحداث ثغرة تمكنهم من اقتحامها، وبعد التمكن من هدم السور ، أمرهم بقطع النخيل وحرقها لتتمكن المدافع الفرنسية من الوصول إلى الواحة ، وتوجه نيرانها نحو الزاوية إلا أنها جوبهت بمقاومة عنيفة حيث تكبدت هذه القوات خسائر فادحة قدرت بـــ25 قتيلا منهم ضابط و47 جريحا . وعلى الرغم من المقاومة الباسلة للأهالي إلا أن المدافع الفرنسية تمكنت من احتلال الزاوية ورفع العلم الفرنسي فوق مئذنتها احتفالا بالنصر المحقق برغم ما كلفها من خسائر.

وبعد نجاح القوات الفرنسية في احتلال الزاوية قام السكان بملئ الخندق الكبير بالماء وذلك لحماية المباني من الغارات، كما قام المجاهدون بشن هجومات خاطفة على مركز القوات الفرنسية ليلا يومي 07و08 أكتوبر من أجل استدراجها إلى الخندق. كما خضع القائد يورباكي لإستفزازات الثوار وبمجرد وصوله إلى الخندق هجم عليه الثوار حيث اضطر إلى الفرار تاركا وراءه 70 قتيلا و40 جريحا[2].

وفي 12 أكتوبر 1849 انظم الكولونيل بارال **(Barral)**[3] للقوات الفرنسية على رأس قوة تقدر بـــ1500 رجل من أجل دعم القوات الفرنسية، وفي 13 أكتوبر1849 قام الثوار بمهاجمة معسكر العدو كما ساعد في هذا الهجوم كل من سكان طولقة وليشانة حيث تم قتل جنديين وجرح 8 آخرين وبهذا زادت أصداء الثورة واتسعت رقعة تضامنها. ومابين 22 و26 أكتوبر1849 حاول الثوار اعتراض قافلة جرحى متوجهة إلى مدينة بسكرة في قرية لوطاية ،فوقعت معارك عديدة بين الطرفين أهمها معركة سيدي مرازي في 12 نوفمبر 1849 حيث اشتبكت فيها قوات من بوشقرون وتمكنت من قتل3 جنود وجرح 6 آخرين[4] .

وعلى الرغم من الحصار الذي كان مفروضا على الواحة إلا أن الشيخ بوزيان تمكن من إرسال رسله إلى قبائل بوسعادة وأولاد نايل طالبا منهم المساعدة،كما عرفت هذه الفترة تضامنا

---

[1] _ **أنظر الملحق رقم :26.**

[2] _ يحيى بوعزيز: **ثورات الجزائر في القرنين 19 و20** ،مرجع سابق،ص64.

[3] _هو **François Charles** ولد في 28 ماي 1820 ب **Versaille**s ،هو أحد فرسان الصبايحية ،كما أنه يعتبر من أحسن الطلاب العازفين على البوق ،عين كملازم أول في 11سبتمبر 1844 ثم قائد في 16 أوت 1848 ،وفي 6جانفي 1853 عين كقائد كتيبة وفي 9ديسمبر 1857 ترقى إلى رتبة مقدم ،وفي 2جويلة1863 وتقلد رتبة جنرال وهو في 43 سنة ،وعين كوزير وهو يبلغ من العمر 53سنة .أنظر : Jeanne et André Brochier **, op.cit.** p 30

[4] _عمار بوحوش: **مرجع سابق**، ص 92.

جماهيريا كبيرا حيث وصل إلى الواحة محمد الصغير بن أحمد، خليفة الأمير عبد القادر من تونس لمد يد العون لأبطال الزعاطشة إضافة إلى وصول إمدادات بوسعادة وأولاد نايل وبعض المناطق التي راسلها بوزيان[1].

يعود هذا التفوق الذي أبداه الثوار إلى عدة عوامل أهمها :المقومات الجغرافية لمنطقة الزيبان بصفة عامة ولواحة الزعاطشة بصفة خاصة ،حيث أن المناخ الصحراوي الجاف و القاسي وكثرة المسالك في واحات النخيل الكثيفة والتي كان القادة العسكريون لا يعلمون عنها شيئا،أهم أسباب مرحلة القوة قبل أن تحطم القوات الفرنسية هذه التحصينات الطبيعية بدباباتها وتعكس بها موازين القوى.[2]

ج . مرحلة الضعف والانهيار

وبعد هذه الانتصارات التي حققها ثوار الزعاطشة بالرغم من الحصار المفروض عليهم ،أصبح وضع القوات الفرنسية حرجا ، فبات كل ما يتمناه القادة الفرنسيون هو وصول النجدة قبل حدوث المفاجأة .فبعد أن حطت الإمدادات الفرنسية الرحال في سكيكدة وعنابة وصلتها أوامر من القيادة العليا بالتوجه إلى بسكرة لقمع الثورة هناك قبل أن يمتد لهيبها ويشمل المنطقة بأسرها، وبالفعل تحركت الجيوش الفرنسية في 15 نوفمبر 1849 والتي بلغ عددها 8075 بقيادة كولونيل لورمال متجهة صوب الواحة. [3]

وعند وصولها إلى المنطقة تم تقسيمها إلى ثلاث فرق حيث أوكلت مهمة قيادة هذه الفرقة إلى ضباط بارزين ومشهورين في ميدان القتال أمثال بارال والعقيد كانروبار **(Canrobert)**

---

[1] _ إسماعيل العربي: **مرجع سابق**، ص 159.

[2] _عيسى جعنيط : « **مقاومة سكان الواحات للاحتلال الفرنسي في القرن 19 ثورة الزعاطشة أسبابها وتطوراتها** »، مجلة الدراسات التاريخية، وزارة التعليم العالي و البحث العلمي معهد التاريخ، الجزائر، ع 9 ، 1995، ص 149.

[3] _ حيث انتشر الوباء الكوليرا في صفوف قوات العدو ، بسبب العساكر التي أقلتهم السفن الفرنسية الحاملين لهذا المرض ، وهذا ما جعل السجون والثكنات تتحول إلى بؤر للعدوى ،وأمام تفشي المرض واستحالة احتوائه أعلن المستشفى الرئيسي مايو**(Maillot)** بالعاصمة عن عجزه في صد هذا الخطر ،وفي نوفمبر1849،تزامنا مع وصول الإمدادات العسكرية لواحة الزعاطشة تحت قيادة لورمال بلغ عدد المصابين في مقاطعة قسنطينة 28٪ أنظر جيلا لي صاري ،محفوظ قداش ،عبد القادر بن حراث : **الجزائر في التاريخ المقاومة السياسية 1900*1954** ،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر ،1987 ،ص 192. كما صرح الطبيب كاسفوالهي في جريدة (Le Moniteur Algérien) المدرب الجزائري " أثناء الحملات المختلفة للكوليرا بإفريقيا كانت الزيبان محفوظة ،ولكن الأمر كان مخالف هذه المرة فإن الوباء بمجيئه مع جيوشنا انتشر سريعا وأضر بالواحات كثير خاصة بسكرة " أنظر : أندري برنيان وآخرون : **مرجع سابق** ،ص354.

ولورمال والعقيد دومانتال **(Domantel)** ومبرج وبارسي، بري فيلو [1] **(Britte Villois)**. وقد قسمت الفرقة نفسها إلى ثلاث أقسام ،فتم وضع الفرقة الأولى تحت قيادة بارال والثانية تحت قيادة كانروبار، والثالثة تحت قيادة دومانتال أما الفرسان فقد أوكلت مهمة قيادتهم للكولونيل مبرج والرماة تحت قيادة الكولونيل بارسي وجنود الهندسة العسكرية لبريت فيلو. وضرب حصار خانق على الواحة قصد القضاء على كل مادبت فيه الحياة وتحطيم وحرق كل ما وقعت عليه أعينهم .

وبدأت الاستعدادات لشن هجوم عنيف ضد المجاهدين الذين تحصنوا في قراهم مستعدين للاستشهاد. وبعد هذا الحصار الخانق الذي بدأ يهدد سكان الواحة وقصد فكه على الواحة قام شيوخ الواحات المجاورة (الشيخ عبد الحفيظ الخنقي محمد الصادق بن رمضان والصادق بن الحاج وحامد بن الحاج) بوضع خطة لاقتحام مدينة بسكرة إلا أن قلة الإمكانيات فرضت على الشيوخ التراجع في مد يد المساعدة للشيخ بوزيان وأتباعه .[2]

غير أن خطوط المساعدة لم تنقطع في أوساط الأهالي ففي شهر أكتوبر من نفس السنة اشتبكت جماعة من البدو ومع قوات العدو (قرب أورلال) قصد عرقلة قوات العدو، وإفشال حصارها على الواحة[3]. وعلى الرغم من فقدان البدوا لـــ 2000 جمل و1500 رأس من الغنم إلا أنها استطاعت أن تلحق خسائر هامة في صفوف القوات الفرنسية حيث فقدت هذه الأخيرة 06 وجنود و34 جريح. كما قام أولاد سلطان وأولاد فضالة باعتراض قافلة تموين فرنسية في القنطرة [4].

وفي ظل هذه الظروف الصعبة التي أصبحت تمر بها الواحة ،وفشل المناطق المجاورة في تقديم العون ، كانت القوات الفرنسية قد استكملت كل الاستعدادات للقيام بالهجوم الكاسح حيث احتلت واحة بوشقرون وقامت بتخريبها وذلك لقطع الإمدادات عن واحة الزعاطشة. كما واصلت أعمال حفر الخندق المؤدي إلى القلعة وتصويب المدفعيات نحو أهم مراكز الواحة.كما

---

1 _إبراهيم مياسي: **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية** ، مرجع سابق، ص69.

2 _أحمد خمار : **تحفة الخليل في نبذة من تاريخ بسكرة النخيل** ،مطبعة الفجر ،جزائر ،2008،ص 41

3 _ Abdelhamid Zouzou : , **op_cit** , p 239.

4 _ يحيى بوعزيز :**ثورات الجزائر في القرنين 19و20**،مرجع سابق ،ص67.

أعطيت الأوامر بإبادة الواحة فبدأ صوت المدافع يصل إلى أسوار المنازل ويحولها إلى ركام ولتتمكن هذه القوات الفرنسية من التوغل فيها على مسافة 60م من الجسر المؤدي إليها [1].

ورغم عنف الهجوم إلا أن اليأس لم يتمكن من الوصول إلى نفوس الثوار رغم قلة وبساطة عتادهم ، بل هاجموا القوات الفرنسية بكل صبر وإيمان فاقتحموا خندق العدو وقتلوا كل حراسه كما اشتبكوا مع القوات الفرنسية بالأسلحة البيضاء وتمكنوا من قتل11 جندي من بينهم الضابط جيورين **(Guerin)** وجرح42 من بينهم الضابط لومباز. فأسرع الجنرال هيربون إلى تقسيم قواته لثلاث فرق قصد تشديد الخناق أكثر ومنع وصول أي إمدادات إلى الواحة، وقد نجحت فرقة لورباكي في قتل جماعة من الثوار الذين أرسلهم الشيخ بوزيان لطلب النجدة .[2]

واستمر الحال بين الكر والفر إلى غاية يوم 26 نوفمبر 1849 حيث شنت القوات الفرنسة هجومها الساحق[3] و الأخير، وعلى الثامنة صباحا[4] ،تمكنت القوات الفرنسية من التوغل في شوارع الزعاطشة وأثر الثوار الموت على الاستسلام وطلب الأمن ،ودارت المعارك من منزل لآخر ومن شارع لآخر ، حيث دمرت وهدمت المدافع الفرنسية كل ما اعترض طريقها وبعد أن هدمت كل المنازل احتمى ما بقي منهم على قيد الحياة في دار الشيخ بوزيان، التي تصاعد منها االهجوم الذي عاق تقدم القوات الفرنسية وعندها قررت هذه الأخيرة نسف الدار بالديناميت.[5]

فانهار وجه المنزل و اختلطت النيران بالدخان والغبار وأنات الجرحى ووسط الركام خرج الشيخ بوزيان ،فسارعت قوات العدو لتكبيله خوفا من إحداثه المفاجأة وهروبه ، وقبل أن يقتل رفع رأسه إلى السماء قائلا : " **إني مستعد لقد كنتم الأقوياء ولكن الله أكبر**"[6]، لينهال عليه العدو العدو بالرصاص فسقط شهيدا . دون احترام أخلاقيات الحرب التي يدعي الفرنسيون أنهم من بين المساهمين في وضعها ،حيث لم توفر للشيخ بوزيان أبسط المحاكمات ولو كانت صورية

---

[1] __محمد العربي الزبيري:**مرجع سابق**، ص70.

[2] _ يحيى بوعزيز: **ثورات الجزائر في القرنين 19 و 20**، مرجع سابق، ص 67.

[3] _ **أنظر الملحق رقم :27.**

[4] _ وذلك بعد أن وشى ابن سلامي للقوات الفرنسية عن ذهاب بعض الجنود من القبائل المجاورة لقضاء يوم العيد مع ذويهم ،فاستغل العدو الظروف وقام بشن هجومه الكاسح مستغل نقص عدد القوات ،فأصبح هذا الخائن مضرب المثل في المنطقة "**سلامي خاين الزعاطشة** " بن عيسى سعيد : **مرجع سابق.**

[5] _ Abdelhamid Zouzou : , **op.cit.** pp 239,240.

[6] _صالح فركوس :**أصالة وتعريب مشروع فرنسا الصليبية والمجابهة الإسلامية** ،دار الكوثر،الجزائر ، 1991 ،ص 92.

.ولم يكتف العدو البغيض بقتله بل قام بجز رأسه ورأس ابنه الذي لم يتجاوز 16سنة خوفا من أن ينتقم لأبيه وكذلك رأس صديقه الحاج موسى الدرقاوي[1] .

وحملت إلى بسكرة وعلقت على أبوابها لمدة ثلاثة أيام قبل أن تنقل إلى متحف الأنثربولوجيا في باريس وهي ما تزال إلى غاية اليوم هناك ، وكلنا أمل أن ترد هذه الرؤوس لتدفن في الأرض التي سالت دماؤها من أجلها لا في أرض قاتلها.[2]

وقد وصف كانروبار[3] نهاية المعركة بقوله " **عندما انهارت منارة المسجد التي نادى منها الشيخ بوزيان أتباعه إلى الجهاد ،تحت قذائف مدفعيتنا تعالت صيحة الفرحة مدوية في المعسكر الفرنسي ،كان ذلك تتويجا لحصار عسكري، طويل وشاق كلفنا الكثير من الجهد والدم** ".[4]

إن ثورة الزعاطشة استطاعت وبصدق أن تترجم مشاعر الأهالي بالرفض القاطع للقوات الفرنسية المصممة على إفتكاك الأرض ونهب الخيرات ، فتحمل شعبها مسؤوليته وأظهر للعدو روح تضامنه مبرزا بذلك الوطنية الجزائرية ، وقوة سكانه من خلال المقاومة البطولية والكفاح المرير ، لتتمكن الواحة وبضآلة إمكانيتها أن تلقن الجيش الفرنسي درسا في الصبر والإصرار ،بهذا انتهت هذه الثورة التي صنع مجدها أبطال جزائريون فظلوا المقاومة والاستشهاد على الاستسلام للعدو والعيش من فتاة موائده .

---

[1]_هو سي موسى بن حسن المصري الملقب بو حمار ،ولد بمصر و تربى فيها قام بالعديد من الرحلات أهمها رحلته إلى سوريا و القسطنطينية و الجزائر و طرابلس حيث التقى في هذه الأخيرة بسي محمد بن حمزة مؤسس الطريقة الشاذلية ،الذي أقنعه بإتباعها فانشقت عنها الطريقة الدرقاوية فأصبحت الأولى خاصة بتونس و ليبيا و الثانية بالجزائر ،وفي سنة 1829 زار سي موسى مدينة الأغواط و كسب فيها العديد من المردين و أسس زاوية ببلدة مسعد ،في سنة 1835 واجه الأمير عبد القادر ،كما دافع عن الصحراء من التواجد الفرنسي ،يعتبر أحد أقطاب ثورة الزعاطشة .أنظر :إبراهيم مياسي :**الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية**،مرجع سابق ، ص138.

[2] _ فوزي مصمودي: **الذكرى 152 لثورة الزعاطشة** ،مرجع سابق ،ص 4.

[3] _هو **François Certain** ولد في Saint Géré في 1826 ،وفي سنة1845عين كملازم أول ،وفي 8نوفمبر1847 تقلد منصب مارشال 1856 ،توفي في باريس في 29 جانفي 1895.أنظر Jeanne et André Brochier , **op.cit**, p88

[4] _ Abdelhamid Zouzou : , **op.cit** , p 34.

المطلب الثالث:نتائج الثورة

لقد كانت نتائج هذه الثورة صفحة مضيئة في تاريخ منطقة الزيبان ، جاءت لتثبت للعالم أن المجازر الفضيعة والأعمال الشنيعة التي ارتكبها الجيش الفرنسي في حق الأهالي لا تمت إلى الحضارة بصلة ولا لأي مدنية كما يدعي الاستعمار ، إنما مثلت نفوسا أشبه ما تكون بذئاب متعطشة لسفك الدماء وقتل الأرواح وتخريب كل ما تلمحه عين، فقد كانت الخسائر عظيمة عظمة وصمود سكان الواحة.

ومما خلفته هذه الثورة نذكر :

1-الخسائر الفادحة التي منيت بها الواحة على يد العسكريين الفرنسيين المحترفين في القتل والنهب والنسف وهتك الأعراض والرق وبقر البطون وقطع رؤوس الأحرار، حيث أنهم لم يتركوا واحد من هذه الأساليب لم يمارسوها ،وهم ينتقمون من الأهالي فزيادة على ما فعلوه في حق الشيخ بوزيان ومن معه كما سبق وأن ذكرت ، قامت القوات الفرنسية [1] بـــإعدام 794 مجاهد رمي بالرصاص و شنق 1500 وقطع رؤوسهم وتعليقها على الخناجر والسيوف والبنادق والأبواب [2].حيث بلغت الخسائر البشرية للواحة في اليوم الأخير إلى 800 شهيد[3]، و بلغ عدد النساء اللواتي قتلن 117 امرأة[4] ،و زيادة على عدد الشهداء ، قامت السلطات الفرنسية بنفي الأسرى إلى مختلف مناطق الوطن [5].

ولعل أهم شهادة يمكن أن نصف بها روع المجزرة هي وصف أحد من عايشوها من صفوف العدو حيث يقول دبوديكور: " **إن الجنود كانوا يعبثون بالضعفاء وبكل من وجدت فيه بقية روح هذه امرأة طريحة عبثوا بحلمة ثديها وهي لاتطلب سوى الإجهاز عليها وتخليصها من العذاب** "[6].وكذلك شهادة جندي آخر وهو يصف منظر جندي فرنسي يحمل طفلا صغيرا من رجله ويضرب رأسه على الحائط ليهشمه ،كما استاء البعض من هذه

---

[1] _كما عمل العدو على استمالة ولداه مصطفى وبوبكر اللذان أصبحا فيما بعد عملاء له .

[2] _ Abdelhamid Zouzou : , **op.cit.** p 242

[3] _ جيلالي صاري وآخرون : **مرجع سابق** ، ص 190.

[4] _أحمد إسماعيل راشد: « **المقاومة الوطنية الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي**»، البيان ، جامعة آل البيت، عمان، ع04، 2002، ص146.

[5] _ بن عيسى سعيد : **مرجع سابق**.

[6] _إبراهيم مياسي : **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر** ، مرجع سابق ، ص 89.

الأعمال الشنيعة التي قام بها الجيش الفرنسي في حق السكان فوصفها بقوله : " **لا أخاف أن أقول: بأن مجد المنهزمين عظم وفاق مجد المنتصرين**".

2- قطع جنود الاحتلال لما قارب 10.000 نخلة وحرقها إضافة إلى مصادرة أملاك الأهالي التي قدرت بـــ12738 نخلة و903 شجرة مثمرة [1].

3- إن التضامن الديني والوطني المنقطع النظير الذي أظهره سكان واحة الزعاطشة المتحلين بروح الإصرار مؤمنين ببلوغهم الهدف، ذلك التضامن الذي بث الدهشة والرعب في نفس العدو، واستطاع من خلاله أن يفشل كل خططهم اللاإنسانية فقد آثروا موت الشرف على استسلام العار والهزيمة ،هذا التضامن الذي كان بحق نقطة اختلاف بين ثورة الزعاطشة والمقاومات التي سبقتها.[2]

4- احتلال مدينة بوسعادة ،حيث أن هذه الأخيرة قد قامت فيها ثورة بقيادة محمد علي شبيرة، فلما سمع بثورة بوزيان قام بالدعوة لها ومساندتها كما قام بإرسال النجدة إلى الواحة و مهاجمة الحامية الفرنسية لمدينة بوسعادة سنة 1849 ، وقد تلقى الدعم من أولاد نايل وعدد من سكان النواحي المجاورة ، وبها اتحدت القوات الفرنسية مع سكان بعض المناطق المجاورة (البرج ،مجانة) من أجل فك الحصار عن حامية بوسعادة و تمكين القوات الفرنسية بقيادة العقيد دوماس (**Dumas**) من دخول المدينة ،الذي تم في 14 نوفمبر 1849 ،و قد فرضت على الأهالي ضرائب ثقيلة قدرت بـــ 8000 فرنك . كما أجبروا على التخلي عن بعض ممتلكاتهم (من زرابي و منسوجات) مما جعل البعض منهم يفر إلى القطر التونسي ، كما نصب الضابط بان (**Pein**)[3] قائدا على المكتب العربي فيها[4] .

5- لتوسيع دائرة الانتقام قام العقيد كانروبـــار في 05 جانفي 1850 بالهجوم على واحة نارة التي تقع على ضفاف وادي عبدي بالأوراس،[5] بقوة قوامها 03 فرق من الجيش و عمل على

---

[1] _ **أرشيف مدينة بسكرة** .

[2] _أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية 1830* 1962**، مرجع سابق، ص339.

[3] _هو **Pein louis Auguste Théodore** ولد في **Château S Marine** عمل كجندي متطوع في الجيش في 5فيفري 1832 ،وفي 1841 أنشأ حامية في **Philippe Ville** ،وفي 1846 عين كقبطان وفي 1855 عين كولونيل ،وتوفي في 12جانفي 1892.أنظر Jeanne et André Brochier , **op.cit**, p246

[4] _ إبراهيم مياسي: **من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر**، مرجع سابق ، ص 89.

[5] _ Philippe Thiriez : En Flânant les Aurès, éditions numidia, Alger, 1986, p24.

تدميرها و حرقها و قتل كل سكانها لتلاقي نفس مصير واحة الزعاطشة ، كما وصف أحد الجنود هذا الهجوم قائلا "**أما في نارة ،فقد تم قتل كل من اعتصم بها ،رميا بالرصاص،أو ماتوا بسقوط سقوف المنازل عليهم ،لقد دام اكتساح ذلك الملجأ مدة سبع ساعات** "[1].وأمام هذا الانجاز المخزي قامت الإدارة الفرنسية بترقية كانروبار إلى رتبة جينرال[2] ،وقد جاء هذا التدمير لاعتقادهم أن الشيخ بوزيان ينتمي لهذه الواحة، وقد وصف كانروبار هذا الهجوم الشرس وسقوط القرية في مراسلة إلى القائد العام[3] بقوله :" **إن السكان قد سقطوا بالجنان الواقعة بالمنحدرات ، وقد تبعناهم من دار إلى أخرى حتى قضينا عليهم وقد أمضينا سبع ساعات في حرق وهدم القرى الثلاث التي تتكون منها نارة** "[4].

6- سحب السلطات الفرنسية الثقة من العائلتين الخائنتين(بوعكاز وبن قانة) رغم المساعدات التي قدمتها العائلتان للسلطات الفرنسية من أجل إبادة واحة الزعاطشة ،والقضاء على الثورة ،إلا أن السلطات الفرنسية قامت بتقسيم نفوذ العائلتين[5] ، لا لشئ سوى لشكها فيهما ،كما أنها أنها لاحظت أن إتحادهما يشكل خطرا جديدا على فرنسا وهي ليست مستعدة لصده ، لذلك قامت بإعطاء عائلة بوعكاز قيادات صغيرة في الحضنة ونواحي سطيف إضافة إلى الزاب الشرقي وبني بوسليمان بالأوراس التي كانت تابعة لابن قانة ،أما عائلة بن قانة فقد تم تقسيم منطقتها الزاب الغربي إلى العرب الشراقة والعرب الغرابة بقصد مراقبة الشيخ بن قانة كما تم استحداث منطقة جديدة في شمال بسكرة تسمى قيادة السحاري وهي تابعة لبولخراص والهدف من هذا الأسلوب هو السماح للسلطة الفرنسية لمراقبة العائلات المتعاملة معها عن كثب.[6]

---

[1]_أندري برنيان و آخرون : **مرجع سابق** ،ص 289.

[2]_محمد الصالح صديق : **الجزائر بلد التحدي و الصمود** ،موفم للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1999،ص 70.

[3]_أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية 1830* 1900**، مرجع سابق، ص338.

[4]_ عبد الحميد زوزو: **ثورة الأوراس 1879**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 24.

[5]_ كما أرجعت أسباب التقسيم إلى عدم قدرة شيخ العرب على فرض نفوذه حيث وصف القائد كارنوبات بوعزيز بن قانة بقوله "لم يعد قادر على قيادة قبائله البدوية أو يقوم على شؤونهم الإدارية " فصدر قرار التقسيم في **23 جويلة 1850** . أنظـــــر : صالح فركوس :**إدارة المكاتب العربية** ،مرجع سابق ،ص ص 327،328 .

[6]_ أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية 1900* 1830**، المرجع السابق، ص 338.

7-استمرار المقاومة في مختلف ربوع الوطن فما بين(1849-1850) ومن بين هذه الثورات.
الثورة التي حدثت في زراوة وهي منطقة بين تيزي وزو وسور الغزلان حيث قام أحد الأشراف باستغلال خبر إطلاق صراح "بومعزة " من قبل السلطات الفرنسية وادعى أنه هو بومعزة ، ودعا إلى الثورة فاستجاب له الناس ولكن السلطات الفرنسية تمكنت من إلقاء القبض عليه وكان مصيره مماثل لمصير الشيخ بوزيان حيث قطع رأسه وتم تعليقه فوق مقصلة سور الغزلان حتى لا يشك الناس في موته [1].

8- قتل القائد الأول الكولونيل كاربيسيا وكذا قتل 330 عسكري من بينهم 30 برتبة ضابط وصف ضابط كما جرح حوالي 680 من بينهم 60 برتبة ضابط كما قدرت الخسائر بأكثر من 1000 جندي وهذا بشهادة هربيون نفسه[2]. وتخليدا لهذا النصر الكبير في مجال الوحشية والبربرية تم تسمية أحد طرقات العاصمة باسم هذه الواحة .[3] وقد علقت إحدى الجرائد الفرنسية حول الموضع بقولها " **إن هذه هي أول مرة في تاريخ احتلالنا للجزائر نواجه بمثل هذه الحالة ،إن أحد عشر ألف بندقية تعمل جاهدة للقضاء على المقاومة كلفتنا حتى الآن ثمانمائة رجل بين قتيل وجريح ،ونتيجة لذلك فان بوزيان زعيم الثورة ونائبه الشريف بو عمار بالإضافة إلى عدد يتراوح بين سبع وثمانمائة وطني أعطيت رقابهم للسيف**"[4].

[1] _ أبو القاسم سعد الله: **المرجع السابق**، ص340.

[2] _ مديرية المجاهدين لولاية بسكرة :**قاموس الشهيد من ولاية بسكرة (1954، 1962)** ، جويلية 2005 ص 19.

[3] _جلال يحيى:**السياسة الفرنسية في الجزائر 1830*1960**،ط1، دار المعرفة ،القاهرة ،1959 ص 176.

[4] _ أبو القاسم سعد الله :**الحركة الوطنية الجزائرية** ،مرجع سابق ،ص 53.

المبحث الثاني : ثورة الشيخ عبد الحفيظ الخنقي 1849

تعد انتفاضة الشيخ عبد الحفيظ الخنقي من أهم الانتفاضات الشعبية التي عرفتها منطقة الزاب الشرقي ،كما أنها اعتبرت امتدادا لثورة الزعاطشة بقيادة بوزيان سنة 1849، و أهم ما ميز هذه الانتفاضة أن زعيمها كان عالما متصوفا، إلا أنه حمل راية الجهاد بكل قوة و حزم.

أما المنطقة التي شهدت الثورة وهي الخنقة التي تعني الفج أو المضيق بين جبلين، و قد تأسست الخنقة على يد سيدي المبارك، الذي يعود أصله حسب الشيخ بن سلامة في كتابه الأنساب، إلى بني أمية في الأندلس، الذين هاجروا إلى المغرب العربي ،إثر سقوط الحكم الإسلامي بها،و هكذا تنقل سيدي المبارك بن قاسم بن ناجي باحثا عن مستقر له و لرفاقه، إلى أن رأى حسبما يشاع رؤيا دعي فيها للذهاب إلى مكان يدعى مورد النعام، و هو موقع خنقة سيدي ناجي الحالي ،فقصده مع بداية القرن 11 هـ الموافق ل1602م، و اختيار الموضع كان مدروسا فهي تقع في مكان حصين بعيدا عن الأنظار، كما يمر بمحاذاتها وادي العرب، فشرع في بناء المسجد[1] وغرس الأشجار[2].

و نسبها يعود إلى جده الأول سيدي ناجي الولي الصالح المدفون بتونس فسميت خنقة سيدي ناجي تبركا به،وهي تقع بالجنوب الشرقي للأوراس على سفح الأطلس الصحراوي شرقي مدينة بسكرة بحوالي 100 كلم، بين جبلين يتوسطها وادي العرب ،و تحيط بها غابات النخيل و أشجار الفاكهة، حيث ذكرها الورتلاني في نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار بقوله :"**و الخنقة قرية مباركة طيبة ذات نخل و أشجار تقع بين جبلين**" ، كما شرع في بناء المساكن ، فأسس حارة لواطة في الجهة السفلى و حارة صدراته و هي تقع فوق الحارة السابقة [3] .

[1] – **أنظر الملحق رقم 10.**

[2] – محمد الصالح حثروبي : **مرجع سابق** ،ص 13 .

[3] _الجمعية الناصرية للتنمية الثقافية و الاجتماعية لخنقة سيدي ناجي: **الذكرى المئوية الرابعة لنشأة خنقة سيدي ناجي (1602/2002) بحوث في تاريخها و سكانها و ترجمات لبعض من أعلامها**، ، شركة دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2002 ، ص ص 10، 11

۞ نبذة عن حياة الشيخ عبد الحفيظ الخنقي :

هو عبد الحفيظ بن محمد بن أحمد الهجرسي العامري الونجلي الإدريسي الحسيني الخنقي، و ينتهي نسبه إلى سلالة شريفة[1]، كما أكد ذلك الشيخ العالم الشاعر عاشور الخنقي في مؤلفه منار الأشراف[2] .

ولد بخنقة سيدي ناجي،من أسرة محافظة و قد أغفلت المراجع التاريخية تاريخ ميلاده الذي يرجح أن يكون سنة 1789 م .نشأ و ترعرع في مسقط رأسه، حيث حظي بتربية إسلامية خالصة، فنهل العلم من منابع علماء المنطقة مثل الصديق الو نجلي، ثم الشيخ محمد بن عزوز البرجي أحد كبار العلماء الجزائريين في نهاية القرن 18 و مقدم الطريقة الرحمانية بمنطقة الزاب [3] .

و قد أصبح الشيخ عبد الحفيظ الخنقي أحد شيوخ هذه الطريقة البارزين ،وذلك بدعوته الدينية ببعث وإحياء الوحدة الروحية والوطنية ،فحمل على عاتقه لواء النهضة وتبنى المنهج الثوري التحرري الذي كان له أثره العميق في بث الروح الوطنية في وجدان الشعب أسس بالخنقة زاويته التي كانت منارة لنشر الدين و العلم[4]،وتتلمذ على يده العديد من الشيوخ الذين لمع

---

[1]_ يطلق على من يرجع أصله إلى آل البيت وإدريس الأصغر،حيث يرجع نسبه إلى علي كرم الله وجهه .

[2]_ محمد الصغير سويسي: " **المقاومة الشعبية في الزاب الشرقي بقيادة عبد الحفيظ الخنقي**"، الملتقى الوطني للمقاومة الشعبية بالزيبان ،مديرية المجاهدين لولاية بسكرة ،الجزائر ،ديسمبر 1998 ،ص12.

[3] – تنسب الطريقة الرحمانية إلى محمد بن عبد الرحمان القاشتولي الجرجري الجزائري المكنى (ببو قبرين) المولود حوالي 1715م،1728م وهو ينتمي إلى عرش آيت إسماعيل (في جبال جرجرة) ،قصد البقاع المقدسة لأداء مناسك الحج 1739م، 1740م ،وفي طريق العودة زار الأزهر الشريف وطاب له المقام ،فبدأ بتلقي الدروس ،فتتلمذ على يد سالم النفراوي و،عمر طلحاوي،حسين الجداوي والشيخ العمروسي، أنظر

Louis Rinn **:Marabouts et Khouans** ,étude sur L Islam en Algérie ,Alger –jordan ,1884, p452.

أما أهم الزوايا الرحمانية بالزيبان فهي : زاوية البرج :بقيادة محمد بن عزوز ،زاوية أولاد جلال :بقيادة المختار بن خليفة الجيلالي ،زاوية خنقة سيدي ناجي :بقيادة عبد الحفيظ الخنقي ،زاوية سيدي مصمودي في أحمر خدو :بقيادة الصادق بن الحاج .و الرحماية يقوم منهجها على الجهاد ضد المستعمر والعلم والتصوف .أنظر : مختار فيلالي :«**الطريقة الرحمانية ودورها في مقاومة الاستعمار** » التراث ،ع 12،جمعية التاريخ والتراث الأثري لمنطقة الأوراس ،2004 ،ص 122.

[4]_ **أنظر الملحق رقم 09**

صيتهم،كما لعبوا دورا بارزا في الحياة الثقافية و السياسية[1] في المنطقة. منهم محمد المكي بن الصديق الخنقي و التارزي بن عزوز. [2]

و أهم مؤلفاته: التعريف بالإنسان الكامل،الجواهر المكنونة في العلوم المصونة، حرب الفلاح، مصباح الأرواح، الحكم الحفيظية، غنية القارئ بترجمة ثلاثيات البخاري .[3]

وللشيخ عبد الحفيظ ثلاثة أولاد ،وقد ذكر المؤرخ لويس رين واحدا منهم ،هو "الشيخ سي محمد الأزهري بن عبد الحفيظ مسؤول عن زاوية صغيرة بحيران في جبل شاشار ،وقد كان يميل إلى حياة العزلة والانطواء " .[4]

وعموما فإن الشيخ عبد الحفيظ كان يتمتع بسمعة حسنة بين القبائل بسبب حكمته و سداد رأيه

المطلب الأول: معركة واد براز 17سبتمبر 1849

1. سبب اندلاع المعركة

بعد اندلاع ثورة الزعاطشة، و فشل المستعمر في إخماد لهيبها ،و عزل أحداثها، و نجاح بوزيان في توزيع دائرة دعايته و نشر مبادئ الجهاد في مختلف القبائل التي بقيت بعيدة عن صدى الثورة، بدأ بمراسلة زعماء المناطق المجاورة طالبا منهم مد يد العون و المساعدة، فاستجاب لندائه العديد من القادة و الزعماء المشهود لهم بالكفاءة و الإخلاص ومنهم: **سي عمران بن جنان قائد أولاد سلطان و الشيخ بن الجودي شيخ أولاد زيان و الشيخ عبد الحفيظ الخنقي** [5]، هذا الأخير الذي لبى النداء، فبدأ بتوحيد قواته، و تمكن من جمع كتائب من المجاهدين أوائل الخريف، فحمل العالم الورع راية الجهاد و أعلن الثورة ضد فرنسا و أعوانها من أجل نصرة الدين و الوطن. و لم يتوان في الوقت نفسه في تقديم العون لواحة الزعاطشة ، التي بدأت تعيش في خناق شديد نتيجة الحصار المفروض عليها .[6]

---

[1] _ هناك زاوية أخرى نشطت في المنطقة وهي **الزاوية الناصرية** لعائلة بن الحسين، كما عمد الاستعمار الفرنسي إلى استمالة بعض من أفرادها ، وذلك بمنحهم بعض المراكز القيادية ، والهدف من ذلك هو خدمة مصالحه . أنظر ، أبو القاسم سعد الله **:تاريخ الجزائر الثقافي** ،ط1،ج3 ، دار الغرب الإسلامي ،1998 ،ص 218.

[2] _ **زوايا ولاية بسكرة** :مديرية الشؤون الدينية والأوقاف ،الجزائر ،2003،ص15.

[3] _ جمعية أول نوفمبر : **مرجع سابق**،ص 19.

[4] _ Louis Rinn , **op . cit ,** p 455.

[5] _سليم كرام: « **الشيخ عبد الحفيظ الخنقي فارس مقاومة الكرامة في وادي براز** »، <u>الخلدونية</u> ، الجمعية الخلدونية للأبحاث و الدراسات التاريخية لولاية بسكرة، الجزائر، ع 3، ديسمبر 2004، ص 122 .

[6] _يحيى بوعزيز:**ثورات الجزائر في القرنين 19و20**، مرجع سابق ص 63.

بعد تلقي الشيخ عبد الحفيظ الخنقي نداء زعيم الزعاطشة ،قدم الشيخ كل ما يملك من أجل نصرة أبناء وطنه، فبدأ باستمالة القبائل المجاورة له: أولاد داود و أولاد عبدي، و بني سليمان و أهل غسيرة و ليانة[1] و بادس و زريبة الوادي بالإضافة إلى تعاون الشيخ الصادق بن الحاج الذي هب لنجدة بوزيان و سكان الواحة و فتح جبهة قتال جديدة ضد العدو لفك الحصار عليها، فبدأ بتحضير الذخيرة و المؤن و تجنيد المقاومين كما انظم إليهم أحمد بن الحاج خليفة الأمير عبد القادر[2].

2. مجريات المعركة

في يوم السبت 25 أوت 1849 ،خرج الشيخ عبد الحفيظ الخنقي و أحمد بن الحاج بجيش مؤلف من 2000 شخص، و انظم إليهم الشيخ الصادق بن الحاج، الذي قدم من أحمر خدو و معه 200 فارس ،و قد أسندت قيادة هذه الجيوش للشيخ عبد الحفيظ الخنقي[3].

و تحركت القوات صوب مدينة بسكرة، كما حظي باستقبال حار و بتأييد مطلق من جميع القبائل التي حل بها والتي لم تبخل عليه بشيء ،بل دعمته بالعدد و العدة حيث انظم إليه أولاد صوله و أبنائهم، فبلغ عدد الجيش 3000مقاتل منها 1000 من الفنطازية و 200 فارس و بعد أن استكمل الشيخ عبد الحفيظ الخنقي كل الاستعدادات للبدء بالمواجهة العسكرية ،أعطى الأوامر للقوات بالتحرك نحو الواحة [4].

في 17 سبتمبر 1849 وصلت واد براز، الذي يقع بمحاذاة سريانة التي تبعد بـــ20 كلم عن بسكرة[5] ،و هي تقع على مقربة من سيدي عقبة، التي كانت تحت حكم شيخ من عائلة ابن شنوف الموالية لفرنسا، و قد أصدر الشيخ عبد الحفيظ أمرا لقواته بحط الرحال ،و التمركز على الضفة اليسرى للوادي[6].

---

[1]_هناك اختلاف حول أصل التسمية :فرأي يقول "نسبة إلى امرأة رومانية تدعى **ليونة** " أما الرأي الآخر فيقول"نسبة إلى أول من عمرها حيث رد على أول من جاء بعده وأراد الاستقرار والتعمير بها "هذه الأرض لي أنا " انظر " محمد الصالح حثروبي **:مرجع سابق** ،ص 12.

[2]_ Halim Cherfa : , **op. cit** ,p 90 .

[3]_ Abdelhamid Zouzou : , **op.cit.** p237

[4]_الجمعية الناصرية : **مرجع سابق**، ص12 .

[5] – **أنظر الملحق رقم 13.**

[6]_ Halim Cherfa **: op. cit** p 91.

في هذه الأثناء قام الشيخ عبد الحفيظ بمراسلة شيخ منطقة سيدي عقبة بن شنوف يطلب منه العون و المؤازرة، لكن ابن شنوف[1] قابل طلبه بالخيانة حيث أسرع بإبلاغ السلطات الفرنسية بالأمر، و عندما وصل الخبر للقائد سان جرمان ،بدأ بتجهيز نفسه ،و تحرك على رأس قواته المكونة من 300 من المشاة ،200فارس من الخونـــة ، و70قناصا و55صبائحي [2] .

وأسندت القيادة للعميل بولخراص الذي توجه إلى قرية تهوده ،لأنه كان يظن أن القوات متواجدة داخل القرية [3]،و قبل وصول القائد سان جرمان إلى القرية علم أن قوات الشيخ عبد الحفيظ متمركزة على ضفاف واد براز ،فحول وجهته إلى الوادي، و عندما وصل لاحظ هدوءا كبيرا مخيما على المكان، بالإضافة إلى ضعف الحراسة على معسكرات عبد الحفيظ، فاستغل وضع قوات الثوار فقام بمحاصرتها و مع بروز الفجر كان الفرنسيون في كل مكان يحاصرون قوات المجاهدين [4].

و مع صوت آذان الفجر انهالوا عليهم بوابل من الرصاص، معلنين عن بداية المعركة[5] ، ، إلا أن بن قانة ذكر بأن المعركة بدأت على الساعة الخامسة و النصف صباحا في 21 سبتمبر، و لم تنته إلا في الليل عندما فر العدو هاربا ، و رغم الاختلاف حول تحديد موعد انطلاق المعركة، إلا أن ذلك لم يقف حاجزا أمام عزيمة الثوار ،بل نزلوا ميدان القتال بقوة يملؤها الإيمان بتحقيق النصر المنشود، فأصدر الشيخ عبد الحفيظ الأمر ببدء الهجوم على القوات الغازية [6] .

واشتد القتال بين الطرفين في الصفوف الأمامية، حيث أظهر فرسان الشيخ من البسالة و القوة ما بث الرعب و الخوف في نفس العدو، فاستغل الثوار خوف و هلع العدو، ووجهوا له هجمات قوية زلزلت تماسكهم ،فتحقق لهم النصر مع الساعات الأولى لبداية المعركة ،و ألحقوا

---

[1]_عثماني مسعود:**مرجع سابق** ،ص77.

[2]_ Abdelhamid Zerdoum : **Les Biskris et la France ,** op.cit ,p 32

[3]_ Abdelhamid Zouzou : **op.cit ,** p238

[4]_محمد الصغير سويسي: " **المقاومة الشعبية في الزاب الشرقي**"، مرجع سابق،ص3.

[5]_ محمد العربي الزبيري، **مرجع سابق**،ص ص 60،61

[6]_جمعية أول نوفمبر : **مرجع سابق**، ص 193.

بهم خسائر فادحة في الأرواح ،كما تمكنوا من قتل الرائد سان جرمان الذي أصيب برصاصتين في الرأس [1].

و لكن ما لبثت أن تمكنت قوات العدو من استرجاع سيطرتها و توازنها، فأحكموا حصارهم على الثوار، و برز الضعف في صفوفهم نتيجة عدم تكافؤ المعدات الحربية ،و اعتماد قوات العدو على نصب الكمائن و المباغتة ،فانقلبت موازين القوى و تمكن من استجماع قواته، و تحول من موقع الدفاع إلى الهجوم ضد الثوار، و ما إن وصلت الساعة السادسة حتى أمر الشيخ عبد الحفيظ قواته بالانسحاب و التراجع إلى الجبال المجاورة، ريثما ينظم صفوفه و يجمع شتاته و يعاود الهجوم من جديد ليخلص بسكرة من الحصار [2] ".

المطلب الثاني : نتائج المعركة

1. نتائج المعركة

لقد اختلفت المصادر التاريخية في رصد نتائج معركة واد براز بسريانه، فالمصادر الفرنسية تصر على اعتبار معركة واد براز من أعظم انتصاراتها، على الرغم من مقتل قائدها سان جرمان ،حيث ذكرت هذه المصادر أن قواتها تمكنت من قتل ما يزيد عن 100 مجاهد، بالإضافة إلى استيلائها على الكثير من الخيول و البغال و الخيم و الأمتعة و حجز ماقارب 100 بندقية و كميات معتبرة من الذخيرة، أما خسائرهم فلم تزد على أربعة قتلى بالإضافة إلى القائد سان جرمان ،و أن الثوار اللذين تراوح عددهم مابين 1500 و 1000 مجاهد قد فروا إلى الجبال و من بينها خيمة القائد الشيخ عبد الحفيظ الخنقي [3].

وذلك ما جاء على لسان صحيفة نوفال(**La Nouvelle**) بتاريخ 30سبتمبر1849 بقولها : " **قتل المقدم دوسان جرمان وأربعة جنود جرحى في معركة خاضها الجيش الفرنسي يوم 21سبتمبر 1849بالقرب من سريانة وهو يحاول مواجهة مابين 1500إلى 2000من العرب ،بهدف استرجاع بسكرة،غير أن هؤلاء قد فروا إلى الجبال تاركين وراءهم العديد من القتلى** "[4].

1- Halim Cherfa **: op.cit.** p92

2- Abdelhamid zerdoum, **les biskris et la France 1844,1962** , , op. cit , pp 60-61

3 _ عبد الحليم صيد: « **عبد الحفيظ الخنقي العالم المربي و الصوفي المجاهد** » ، النبـــأ، الجزائر، ع164، 1994، ص9.

4 _ Abdelhamid Zerdoum : **Les Biskris et la France ,** op.cit ,p 32.

أما ابن قانة فلم يذكر شيء عن نتائج المعركة سوى إصابة العديد من الجنود ،الذي أدى إلى تقهقر العدو و انكشاف قائد المعركة و مقتله.[1] .

و بعد التأمل في هذه النتائج نجد أن المصادر الفرنسية حاولت التضخيم من حجم الانتصار لتثبت أنها القوة التي لا تقهر، و لكن الحقيقة هي أن المنطق التاريخي لا يمكن له أن يقبل هذه ،النتائج ذلك،بعد التمعن في التجهيزات التي تم إعدادها لهذه المعركة و القوة البشرية المشاركة فيها ،و التي تراوحت مابين 1500 و 2000 مجاهد، و المدة الزمنية التي استغرقتها حوالي يوما كاملا، و الأسلحة المستعملة ،إضافة إلى الإيمان الكبير الذي تحلى به الثوار فمن المستبعد أن تكون نتائجها مقتل أربعة جنود، في مقابل استشهاد حوالي 200 مجاهد، هذه الإحصائيات لا يمكن أن تكون صحيحة حسب رأي محمد العربي الزبيري . "**إلا إذا كان رصاص الثوار تمرا جمعوه من غابات النخيل**" [2].و كيف نحكم على انتصار العدو في المعركة و قد قتل قائدها ،و نجا جنودها بدون خسائر في صفوفهم .

أما من الجهة الثانية فالمصادر العربية ترى عكس ذلك، حيث تقر هذه الأخيرة بأن الخسائر عمت الطرفين، و قد تمكن الثوار من قتل العديد من الجنود و الخيالة قدرت ب100جندي وذكرت قائمة لبعض الجنود الذين قتلوا من بينهم:

- المقدم دوسان جرمان.
- حامل البندقية شفيديرات لبار.
- حامل البندقية باربوني طوماس .
- حامل البندقية ديبون ألكسندر .
- الجوال روسيني غايتانو[3].

و لعل أحسن دليل على الخسائر التي ألحقها المقاومون بالعدو هي كلمة التأبين التي ألقاها كانروبار(**Canrobert**) أمام ضريح القائد سان جرمان واعدا إياه بانتقام من مقتله [4] .

وقد رجح الدكتور أبو القاسم سعد الله استشهاد الشيخ عبد الحفيظ الخنقي في معركة واد براز إذ بقوله :" **و في المعركة أستشهد الشيخ عبد الحفيظ كما قتل سان جرمان Saint**

[1] _ Halim Cherfa **: op. cit** , p92.

[2] _محمد العربي الزبيري، **مرجع سابق**،ص61.

[3] _ Abdelhamid Zerdoum : **Les Biskris et la France ,** op.cit ,p 32

[4] _محمد الصغير سويسي، **المقاومة الشعبية في الزاب الشرقي** ، مرجع سابق،ص5 .

"Germain"[1] إلا أن الكثير من المصادر التاريخية التي تناولت مقاومة الشيخ عبد الحفيظ الخنقي تؤكد أن وفاته[2] كانت بعد مدة من المعركة.[3]

2 :مواصلة الشيخ عبد الحفيظ الخنقي للمقاومة.

بعد أن نجا الشيخ عبد الحفيظ الخنقي في معركة واد بزار، عاد إلى خنقة سيدي ناجي، حيث حاول جمع قواته ،و إعدادها من أجل رفع راية الجهاد من جديد، و في 4 نوفمبر 1949 اجتمع القادة " الشيخ عبد الحفيظ الخنقي و الشيخ الصادق بن الحاج و محمد الصغير بن أحمد بلحاج خليفة الأمير عبد القادر"، قصد الإعداد لمواصلة الجهاد[4].

وتم بالفعل جمع القوات و تجهيزها، حيث بلغت 2000 مجاهدا من جبل أحمر خدو من الزاب الشرقي إضافة إلى 50 فارسا من وادي سوف ،وقرروا استرجاع بسكرة ، ثم التوجه بعدها إلى الزعاطشة لتخفيف الحصار على الواحة ،إلا أن قلة الإمكانيات و ضعفها ،أجبر الزعماء على العدول عن مخططهم في تقديم المساعدة ،خاصة بعد وصول قوات عسكرية ضخمة إلى بسكرة بقيادة العقيد كاربيسيا.[5]

وفي أثناء قيام فرنسا بحملات القمع ضد القبائل المساندة لثورة الزعاطشة ،وصلت الحملة العسكرية إلى قرية خنقة سيدي ناجي في 1جوان 1850،بقيادة (St Arnaud) الذي راسل الشيخ عبد الحفيظ الخنقي ،عارضا عليه السلم والأمان في مقابل التعامل مع قوات العدو[6] ،لكن الشيخ الشيخ رفض ،وفضل الرحيل إلى منطقة الجريد التونسي .

توفى الشيخ في 13 جويلية 1850، بعد عودته من الجريد التونسي ، بعد مرض الكوليرا الذي ألم به، و بهذا انطوت هذه الصفحة المنيرة و المشرقة من تاريخ الزيبان [7].

---

[1] _أبو القاسم سعد الله:**الحركة الوطنية الجزائرية 1830* 1900**، مرجع سابق، ص 331.

[2] – **أنظر الملحق رقم 03.**

[3] _يومدين بوزيد : :«**الطرق الصوفية والاحتلال ،جدل الرفض والقبول ورمزية صاحب الوقت** »الملتقى الوطني الأول والثاني حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية ،وزارة المجاهدين ،الجزائر ،2007،ص 127.

[4] _ جمعية أول نوفمبر : **مرجع سابق**، ص 193.

[5] _سليم كرام:**مرجع سابق**، ص128

[6] -ورغم محاولة سيروكا **Séroka** تلفيق تهمة الخيانة للشيخ ،وذلك بعد شرحه لأسباب التي حملته على عدم تدمير الواحة رغم مساندته لثورة الزعاطشة، وذكر توسط عائلة بن ناصر العميلة ،والتي تربطها صداقة حميمة مع الشيخ عبد الحفيظ.

[7] _الجمعية الناصرية : **مرجع سابق**، ص 23.

المبحث الثالث: انتفاضة الشيخ الصادق بن الحاج 1859

۞ الشيخ الصادق بن الحاج نسبه و نشأته:

هو الشيخ محمد الصادق بن الحاج بن بلقاسم بن الحسين بن منصور ،المشهور بالصادق أو الحاج ،عند أهالي الأوراس، و الصادق بن الحاج عند سكان بسكرة و ما جاورها من واحات، و "صدوق" في بعض المراجع الفرنسية ،و الأشهر هو الصادق بن الحاج.

ولد في سنة 1206هـ-1791م بالقصر بجبل أحمر خدو جنوب جبال الأوراس وهو بذلك ينتمي لعرش أولاد أيوب [1] وهم فرع من أولاد منصور ، حفظ القرآن الكريم و هو في سن مبكرة و من أجل التزود بالعلوم الدينية و اللغوية، قصد زاوية البرج -برج بن عزوز- بالقرب من طولقة، و هي زاوية رحمانية ،يشرف عليها الشيخ محمد بن عزوز[2].

كما شغل منصب مقدم للطريقة الرحمانية في الخنقة (زاوية عبد الحفيظ الخنقي) ،وبعد وفاته أصبح الشيخ الصادق بن الحاج فيما بعد مقدما لها وعند عودته ،إلى المنطقة أسس زاوية له في تيبرماسين بسيدي مصمودي، في جبل أحمر خدو. [3]

و سرعان ما ذاع صيتها، فقصدها المريدون من أنحاء عدة، و السبب في ذلك يعود إلى رفضها التام للحكم الفرنسي و الدعوة لرفض تواجده، كما أن ابنه سي إبراهيم ساعده في نشر أفكاره و مبادئه ،و لم يقتصر دور الزاوية على حمل راية الجهاد فحسب ،بل كانت منارة لنشر العلم و المعرفة و تحفيظ القرآن الكريم ، إضافة إلى أنها كانت مأوى للفقراء و المعوزين و لكل المقاومين الفارين من العدو و من أشهر شيوخها الشيخ محمد بن محمود و الشيخ حرزلي الصادق. [4]

المطلب الأول : مساندته لثورة الزعاطشة 1849.

وبفضل هذا الانتصار الكبير ذاع صيت الشيخ الصادق بن الحاج و ابنه إبراهيم في كل مناطق الأوراس و الزيبان، فزاد نفوذه و التف الناس من حوله كما حملوه راية الكفاح ضد

---

[1] _ FERAUD (ch):« **Notes Historique sur la province de Constantine, les bendjellab sultans de Touggourt** »,RA,n° 30,Alger,1886,p104.

[2] _ عبد الرحمان تبرماسين : **مرجع سابق** ، ص 5.

[3] _ عثماني مسعود : **مرجع سابق** ،ص 83.

[4] _ عبد الرحمن تبرماسين ،**مرجع سابق**، ص 10



العدو، فعاهد الله و الو طن على السير قدما ،نحو تحقيق هدفه الأسمى وهو اقتلاع جذور المستعمر .

أما المستعمر الفرنسي لم يستطيع أن ينسى الهزيمة الكبيرة التي مني بها على يد مشعوذ و عديم الفهم حسب رأيه ،ومن ثمة صمم على القضاء عليه فقام بإرسال قواته في الفترة الممتدة من 04 إلى08 جوان 1845 حيث قام العقيد هربيون و معه الجنرال بيدو **(Bédeau)**[1] بشن حملة عسكرية على رأس قوة عسكرية قوامها 2000 جندي مجهزة بأحدث الأسلحة بهدف قمع الثوار و ملاحقة أتباع زعماء المقاومة(الأمير عبد القادر و أحمد باي) في جنوب الأوراس و جبل احمر خدو [2].

و ككل مرة واجهت القوات الفرنسية مقاومة عنيفة و باسلة من قبل مريدي الزاوية و الأهالي، حيث دأبوا على شن الهجومات على العدو و إفشال كل خططه ،و هذا بشهادة أحد الضباط الفرنسيين حيث وصف فيها صبر وشدة الثوار قائلا : " **وجدنا مقاومة قوية و عنيفة بتلك الجهة و استمرت المعارك ليلا نهارا لمدة أربعة أيام** " [3] .

فظلت المنطقة صعبة المنال لقوات العدو على الرغم من محاولاته الجادة للسيطرة عليها، حيث أظهر الثوار تمسكهم الشديد بأرضهم ،إلا أنه في يوم 05 جوان 1848 قام أحمد باي بتسليم نفسه للضابط سان جرمان رغم معارضة الشيخ الصادق بن الحاج لاستسلامه بعد أن تشاور مع قائد أولاد عبد الرحمن قلعة أكباش(بجبل أحمر خدو).[4]

بعد السياسة الجائرة التي طبقتها السلطات الفرنسية على أهالي الزعاطشة، و تذمر بوزيان و الأهالي منها أعلن الشيخ بوزيان تمرده و عصيانه ضد فرنسا و سياستها ، حيث باشر الاتصالات مع رؤساء القبائل قصد تهيئة الظروف و الإمكانيات اللازمة لإعلان الجهاد، و قد كان الشيخ الصادق بن الحاج من بين الزعماء الذين وصلتهم رسل بوزيان تطلب دعمهم و تحالفهم ، فاستجاب لدعوة الشيخ بوزيان ،فبدأ باستنفار القبائل التي كانت تحت نفوذه في

---

[1] _ **Alponse Marie Bedeau** ولد ب **Verton** ،عين في سنة 1833 كقائد جيش الأجانب ،وفي سنة 1840أصيب مرتين في معركة Mouzaia ،حول إلى التقاعد سنة 1852.أنظر Jeanne et André Brochier : **,op.cit** , p 29.

[2] – و قد خصت هذه الحملة الأعراش التالية:بن بوسليمان،غسيرة، سراحنة، أولاد أيوب، أولاد عبد الرحمن،أولاد محمد ،أولاد سليمان،أولاد عيسى.

[3] _ جمعية أول نوفمبر: **مرجع سابق**، ص 192.

[4] _عثماني مسعود : **أوراس الكرامة أمجاد وأنجاد** ، دار الهدى ، الجزائر ،2008 ، ص 83.

الأوراس ،و تمكن من جمع قوة عسكرية لا بأس بها نظرا للمكانة التي أصبح يتمتع بها بعد سلسلة الانتصارات التي حققها، فتوجه على رأس هذه القوة نحو واحة الزعاطشة ، و قبل توجهه تلقى دعوة أخرى من قبل الشيخ عبد الحفيظ الخنقي يطلب منه التوجه إلى واد براز لتفجير الثورة من هناك [1].

و كان يهدف من وراء هذه السياسة تخفيف الحصار الخانق الذي ضرب على واحة الزعاطشة، فلبى نداء الشيخ عبد الحفيظ و توجه في 15 سبتمبر 1849 إلى واد براز على رأس قوة قدرها 700 جندي حيث كانت قيادة الجنود المتحالفة للشيخ عبد الحفيظ [2] .

و في 17 سبتمبر 1949 اندلع لهيب المعركة بين القوتين ،و تمكنت القوات المتحالفة من القضاء على الرائد سان جرمان ،و قتل عدد من جنوده ،إلا أن ضعف التجهيز و قلة التنظيم أمام قوة تجهيز و تنظيم العدو ، حمل الثوار على الانسحاب من ميدان القتال، إلا أن الشيخ لم يستسلم على إثر هذه الهزيمة بل واصل جهاده و قد عاد الشيخ الصادق بن الحاج إلى زاوية القصر و بدأ يحث إخوان سيدي عبد الرحمن على الإتحاد ومواجهة العدو [3] .

و في أكتوبر 1848 قام الشيخ بإعداد فرقة من أتباعه من أولاد زيان و صحاري و أسند قيادة هذه الفرقة لمحمد الصغير بن الحاج، حيث قامت باعتراض طريق قافلة عسكرية فرنسية قادمة من باتنة نحو بسكرة تحمل المؤونة و الذخيرة الحربية و اللباس و الأدوية للعساكر المتمركزين ببسكرة في مضيق القنطرة و اصطدمت القوتان حيث تمكن المجاهدون من إجبار القافلة على التقهقر و الرجوع من حيث أتت بعد أن تكبدت خسائر فادحة ،وبعد هذه العملية لم يسمح الشيخ الصادق بن الحاج لأي فرصة بالضياع منه دون شن هجوم على قوات العدو و تحالفت قوات الشيخ الصادق بن الحاج مع قوات أحمد بلحاج خليفة الأمير عبد القادر و قادوا معركة ضارية ضد قوات العدو في مكان يدعى علبة لمصارة [4] حيث تمكنت القوات المشتركة من قتل الضابط **أدوران** كما استحوذوا على بعض من الأسلحة و الذخيرة . [5]

---

[1] _ FERAUD (ch):« **Notes Historique** » **, RA** ,n° 30, op.cit. p105 .

[2] _ عبد الرحمن تيبرماسين: **مرجع سابق**، ص 13 .

[3] _ محمود العربي الزبيري: **مرجع سابق**، ص 83.

[4] _ تقع بواحة الدروع في المنطقة الواقعة بين مشونش و بسكرة .

[5] _ جمعية أول نوفمبر : **مرجع سابق**،ص 193.



و أمام هذه الانتصارات العظيمة للشيخ الصادق بن الحاج و قواته، جندت قوات العدو بعضا من التابعين لها من عائلتي ابن قانة و ابن شنوف لرصد تحركات الثوار و القضاء على الشيخ، فكان هؤلاء الخونة على اتصال دائم عن طريق تقديم التقارير لها على أدق تحركاته و قد دامت فترة المتابعة من 1850إلى 1856 و على الرغم من محاولات فرنسا تشديد الخناق عليه و الإنقاص من عزيمته إلا أن الالتفاف الجماهيري الكبير الذي كان حوله هو الذي كان يشد روح الصمود والمواصلة عنده .

المطلب الثاني: الانتفاضة الكبرى1859

1. أسبابها

تعود أسباب اندلاع انتفاضة الشيخ الصادق بن الحاج إلى عدة أسباب اقتصادية و اجتماعية نذكر منها :

- إصدار فرنسا لمنشور سنة 1856 والذي يلزم سكان بسكرة بإرسال أولادهم إلى المدرسة الفرنسية ،وقد رفض الصادق بن الحاج هذا المنشور ،وبدأ بزيارة المناطق المجاورة من الرشايش وبني سليمان والطوابة يحرضهم على رفض المنشور ،مع شرح الأهداف الخفية ولبى سكان الزاب الشرقي والأوراس الأوسط وقبائل البدو والرحل ،دعوته بالمقاطعة ،وهذا ما دفع فرنسا بالحد من حرية الإخوان ،فدعوا للانتفاضة في 1858.[1]
- تولي جيروم نابليون ابن أخ نابليون الثالث وزارة الجزائر و المستعمرات التابعة لفرنسا و الذي بدأ بتطبيق نظام خاص يعمل على السماح للمستوطنين الأوروبيون بفرض سيطرتهم على شمال البلاد كما يطلق العنان للعسكريين في الجنوب ، ونتيجة لهذا النظام تعرض الشعب الجزائري للمزيد من الضغط و الاحتقار و الإهانة و العنف كما أن هربيون كان دائما يعتبرهم سكانا سذجا و بؤساء [2] .
- تمكن القوات الفرنسية من إحكام سيطرتها على جبال جرجرة في سنة 1857 فوجهت أنظارها نحو الجنوب ، وقد استعانت ببعض أعوانها قصد بث التفرقة في صفوف الشعب، وذلك بإغرائهم بالمناصب و الألقاب فأصبحوا اليد طولى التي تعتمد

---

[1] _ Abdelhamid Zouzou : **op.cit.** pp 253.254 .

[2] _ يحيى بوعزيز :**ثورات الجزائر في القرنين 19و20**، مرجع سابق، ص 103

عليها في تحقيق أطماعها، وهذا ما زاد في تدمر الأهالي و رفضهم للوجود الاستعماري و لسياسته الجائرة [1]

- التواجد العسكري في الجنوب أغرق المنطقة في بحر من الدماء نتيجة الأساليب الوحشية و الحقيرة ،ومنها انتزاع الأملاك العقارية و الثروات الحيوانية للأهالي و ذلك لتجسيد سياسة "الإفقار" التي عملت الإدارة الفرنسية على تطبيقها منذ احتلالها لمدينة الجزائر عام 1830 إلا أنها طبقتها بشكل واسع و كبير خلال الخمسينات و الستينات على أساس أنها أنجح وسيلة لردع الثورات و إخضاع قادتها[2].
- تأثر الشيخ الصادق بن الحاج بما حل بزعماء الزعاطشة وهذا ما جعله يقرر الانتقام والثأر لهم و لسكان الواحة و تحرير مدينة بسكرة عاصمة الإقليم [3].
- الشخصية القوية للصادق بن الحاج و تأثر الأهالي به و الوثوق[4] فيه ، كما كان ابنه إبراهيم في طليعة المتحمسين و الدعاة للثورة حتى وصفه فيرو بالتعصب و العنف، فشرع بشرح نوايا المستعمر الدفينة و الحقيقية من الاحتلال و تحريضهم على الثورة ضده[5]،حيث كتب سنة1858قائلا : "إن الرومي يعمل ضد ديننا وضد صلاتنا ،ضد زكاتنا وحج البيت، إنه يفرض علينا إتباع دينه ،وهو ما لم يأمرنا الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم – "فكثر أتباعه[6] و أنصاره فبدأ الشيخ الصادق بن الحاج بمراسلة شيوخ الزوايا و بالأخص الرحمانية في الأوراس و خارجه حيث بلغ عدد رسائله خمسون رسالة تحمل في طياتها الطلب لمد يد العون و إعداد الجيوش و جمع الذخيرة و المؤونة [7]

---

1 _المركز الوطني لوثائق الصحافة والإعلام **:مرجع سابق** ص 24.

2 _حيث أصدر المجلس الاستشاري لمدينة الجزائر في أوت 1850 قرارا ينص على:" **أن الأرض ملك للدولة، إلا إذا استشهد من يدعي الحق فيها بعقد مكتوب** ".

3 – عثماني مسعود: **مرجع سابق** ،ص 84 .

4 _ وقد علق أجرون حول هذه المسألة بقوله :" **ولعل أن هذه الحالة النفسية التي كانت سائدة بين الأهلي ،ما دفعها للاستجابة لنداء الزعماء في مقدمتهم زعماء الرحمانية ،وقد لجأ هؤلاء الأهالي إلى قيادها ،كما ذكر الرائد لويس رين عن نوع من التحالفات الشعبية التي تشكلت للوقوف في وجه القياد ،لكي تتولى بنفسها الإعداد للتمرد** ».

5 – **أنظر الملحق رقم 04.**

6 – صالح فركوس **:أصالة وتعريب**،مرجع سابق ، ص 102

7 _أبو القاسم سعد الله : **الحركة الوطنية الجزائرية 1830 *1900**، مرجع سابق، ص 365.

2. سير الثورة ونتائجها

أ. سير الثورة

بعد أن أمرت السلطات الفرنسية من أعوانها بالمنطقة بمضايقة الشيخ الصادق بن الحاج و رصد كل تحركاته لمنعه من الاستعداد لإعلان الثورة، شعر الشيخ بالحصار المفروض عليه لذلك شرع بإرسال رسائل سرية بواسطة أولاده ،إبراهيم ،الطاهر الغزالي إلى مناطق يحرض فيها الأعراش و رؤساء الزوايا الرحمانية على مقاطعة الاستعمار و الاستعداد للمقاومة، مذكرا بالملاحم البطولية لكل من أبطال الزعاطشة و سريانة و جرجرة[1].

كما قام بجمع المئونة و السلاح و الذخيرة من داخل الزاوية و خارجها مركزا على قريتي مشونش و غوفي اللتين كانتا مستودعين للذخيرة ، كما امتد نطاق دعايته إلى منطقة الصحراء الشرقية، و إلى غاية شهر نوفمبر 1858 كانت حركة الشيخ الصادق بن الحاج تنشط في الخفاء و ذلك بواسطة الدعاة [2].

لكن بعد هذا التاريخ بدأت الأمور تأخذ مجرى مخالفا بعد أن بدأ ابنه إبراهيم بكتابة رسائل يدعو فيها سكان المناطق المجاورة للثورة و العصيان كما كتب هذه الرسائل باسم والده وقد حدث اتفاق بين الشيخ إبراهيم بن الصادق بن الحاج و أمين سره لخضر بن كريبع،(و في بعض المراجع (لوقريب) بتكليف هذا الأخير بحمل رسالة إلى أهالي سيدي عقبة يدعوهم فيها إلى مباركة الثورة و الانضمام إليها.[3]

كما طلب منه قراءتها أمام الملأ في ساحة القرية و عندما وصل ابن كريبع إلى القرية شرع في قراءتها كما طلب منه، فهجم عليه بعض من أنصار بن شنوف محاولين قتله، إلا أنه تمكن من الفرار إلى دار مقدم إخوان الرحمانية بسيدي عقبة [4] .

تقول بعض المصادر أن الشيخ الصادق بن الحاج حاول استمالة الأشخاص بالإدعاء على فرنسا و إظهار عجزها في القضاء على الثورة وذلك بسبب انشغالها بإخماد ثورة جرجرة بقيادة

---

[1] _حيث ذكر رؤساء المكاتب العربية حول قدرة الشيخ الصادق بن الحاج على تحريض على الثورة" **لقد كان مستعدا،أي سي صدوق لحمل الناس على الثورة في أي وقت شاء**" أنظر :صالح فركوس : **إدارة المكاتب العربية**،مرجع سابق ،ص 67.

[2] _ مديرية المجاهدين لولاية بسكرة : **مرجع سابق** ، ص 20.

[3] _ FERAUD (ch)**:« Notes Historique »**,**RA**, n° 30, op.cit ,p 106.

[4] _جمعية أول نوفمبر : **مرجع سابق**،ص 195



الحاج عمر و عدم تمكن القائد رندون (Randon) من قمعها [1].

كما وصلت في نفس الفترة وفود من المشرق إلى منطقة القبائل بعد أن ثار سكانها لتقديم المساعدة و قد رجح الدكتور أبو القاسم سعد الله أن يكون هناك توحيد للنضال هذا التوحيد الذي يمكن أن تكون وراءه الحركة السنوسية [2] .

ونظرا للمكانة التي كان يحظى بها الشيخ الصادق بن الحاج في منطقته قام الجنرال ديسفو(Desvaux) القائد العام للقوات الفرنسية بمراسلة الشيخ الصادق بن الحاج في 13 أكتوبر 1858 طالبا منه التعاون مع السلطة الفرنسية و التخلي عن فكرة الجهاد و قد أظهر ديسفو من خلال هذه المراسلة دهاء و حيلة كبيرين لاستمالة الشيخ الصادق بن الحاج و إبعاده عن مقاومة فرنسا حيث ذكر له تعاون بعض الشخصيات التي لها وزنها في المجتمع الجزائري مع فرنسا أمثال سي إسماعيل بن عمر (طولقة) ،سي محمد بن بالقاسم (قرقور) ،سي محمد السعيد (تيماسين) [3].

إلا أن الذكاء لم يكن ينقص الشيخ لذلك لم ينخدع بهذه الرسالة لأنه كان يعلم أن الأشخاص اللذين ذكرهم ديسفو في رسالته هم مجرد خونة مهما كبرت مكانتهم الاجتماعية

و الدينية، لذلك أعلن رفضه القاطع لطلب ديسفو كما واصل دعوته للجهاد في الأوراس و بشكل رسمي [4] .

وفي ديسمبر1858 طلب من أنصاره مواصلة الجهاد قائلا : "**إلى الذين يتوكلون على الله ...حافظوا على ديننا ...إن الله سينصرنا ...وإن خشيته وحده كفيلة بأن تجلب لنا العالم ،إن هذا لهو الحق ،وما من أحده فليس بمؤمن... اعملوا وكأن ليس لكم أبناء تخافون أن تتركوهم من ورائكم ،أو ثروة تضيع منكم** [5] " .

وبعد المشادات العنيفة التي وقعت بين ابن كريبع و بن شنوف، قام هذا الأخير في أكتوبر 1858 بمراسلة فرنسا بعد أن كشف مخططات الشيخ الصادق بن الحاج ،و عن نيته في تفجير

---

[1] _ يحيى بوعزيز، **ثورات الجزائر في القرنين 19 و20** ،مرجع سابق، ص 105.

[2] _ أبو القسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية 1830*1900**،مرجع سابق ص 364.

[3] _ Abdelhamid Zouzou : , **op.cit ,** p252

[4] _ جمعية أول نوفمبر : **مرجع سابق**،ص 195.

[5] – صالح فركوس:**أصالة وتعريب** ،مرجع سابق ،ص 103 .



الثورة و الاستعدادات التي يقوم بها، فتخوفت من أن تصبح كثورة الزعاطشة فرمت بكل ثقلها لمواجهتها و قمعها[1].

وبدأ الجنرال ديسفو في 31 ديسمبر 1958 بمراسلة جميع أعراش أحمر خدو،بني بوسليمان، غسيرة، أولاد داود يحذرهم من التضامن أو الالتحاق بصفوف الكاذب و المخادع الشيخ الصادق بن الحاج و طلب منهم الانضمام إلى القوات الفرنسية كما فعل (بن شنوف، سي السعيد القاضي، سي علي بن عمر شيخ طولقة، سي محمد بن بلقاسمي[2] .

و في 12 جانفي 1858 قام الجنرال ديسفو و بمساعدة الجنرال قاستي (Gastu) [3] و أولاد بن شنوف بتعبئة و تجنيد قوات كبيرة بلغ عددها6000 مقاتل أواخر نوفمبر 1858، وقد وقع أول اشتباك بين القوتين في 16 نوفمبر، أما الثاني فوقع في 30 من نفس الشهر ،بمساعدة بن شنوف، ضد القبائل المتحالفة وكان هدف العدو من هذا الهجوم هو ربح الوقت و استنزاف قوة المقاومين.

وفي 10جانفي انطلق الجنرال ديسفوا من معسكره بشتمة[4] ،على رأس فيلق يتكون من2962 من رماة البنادق و401 محارب، فرقة مدفعية وكتيبة إسعاف، أما المقاومون فبلغ عددهم 1500رجل ،وأول تصادم وقع بين القوتين كان في منطقة تينوجلين (Tounegaline)[5] دام الاشتباك نصف يوم أستشهد فيه عدد معتبر من المقاومين وعدد من الجرحى ،أما في صفوف العدو فقتل جنديان وجرح خمسة عشر آخرا ،وهذا ما سمح للعدو بمواصلة طريقه نحو منطقة القصر،وعند وصول الجيش الفرنسي إلى منطقة سيدي مصمودي قام بتقسيم قواته إلى قسمين: [6]

[1] _ عبد الرحمن تبرماسين: **مرجع سابق**، ص 21 .

[2] _ جمعية أول نوفمبر : **مرجع سابق**،ص 196.

[3] _ وقد روى حادثة وقعت له مع رجل من أولاد عبدي حيث سأله قاستي"**Gastu** عن سبب انضمامه إلى الثورة ؟ فرد الرجل قائلا :أن الشيخ أمرنا بالجهاد ،ثم سأله :هل أساء الفرنسيون لكم ؟ فرد:لكن الشيخ دعانا للجهاد .فسألته لأختبر صموده بأنه آخر يوم له ؟ فرد .لا نموت إلا مرة واحدة.

[4] _ FERAUD (ch):« **Notes Historique** »,**RA** ,n° 30, op.cit ,p106

[5] - الواقعة على بعد09كلم من واحة سيدي مصمودي .

[6] _ Abdelhamid Zouzou , **op.cit** , pp 261,262.

القسم الأول: بقيادة ديسفو**Desvaux** و قسمه إلى جزئين الأول جعل منه حزاما على طول خط الزاب الشرقي متمركزا في الواحات للمراقبة و ضرب الحصار على المقاومين أما الجزء الثاني:فتوجه به إلى سيدي مصمودي حيث يوجد الشيخ الصادق بن الحاج بقصر أولاد أيوب.

أما القسم الثاني: فيتكون من الصبايحية وقد سلك طريق مشونش و بانيان إلى غاية غوفي لمحاصرة أحمر خدو من الجهة الغربية [1].

و في ليلة 13 جانفي 1859 تمركز العدو بقوته بشعبة هنقلين [2]و عند الصباح بدأت المعركة حيث استعمل العدو كل أنواع الأسلحته (مدافع و رشاش) و استمر الهجوم الساحق على الثوار إلى آخر الليل و قاوم الشيخ الصادق بن الحاج و أبناؤه هذا الهجوم بكل بطولة دون كلل أو ملل [3] .

و لكن أمام تمكن العدو من إحكام سيطرته و تضييقه الخناق عليهم بالإضافة إلى تفوقه عليهم في مجال الأسلحة مكنهم من إخماد الثورة و فرار الشيخ الصادق بن الحاج إلى الجنوب التونسي حيث يوجد أتباع الأمير عبد القادر رفقة بعض من أتباعه و عائلته و عند وصولهم إلى خنقة سيدي ناجي أرسل لهم القائد بن ناصر أحمد أحد أعوانه و هو من عرش لحسينية، ليكون لهم دليلا إلا أن هذا الشخص بقي يراوغهم إلا أن ضلوا الطريق لمدة أسبوع تقريبا إلى أن اكتشفت زوجة سي الصادق بن الحاج الخيانة عند عودتهم إلى المكان الذي انطلقوا منه و بعد كشف الصادق بن الحاج الخديعة لم يكن الوقت في صالحه للفرار فوقع في الأسر بعد أن غدر به ابن شنوف والميهوب [4].و في 20 جانفي 1859 في واد العرب ،و تم أسر حوالي 88 من أفراد عائلته و أتباعه الذين سيقوا إلى خنقة سيدي ناجي و منها إلى بسكرة [5] .

---

[1]_ يحيى بوعزيز: **ثورات الجزائر في القرنين 19 و 20** ،مرجع سابق، ص 105

[2]– تقع المنطقة في الجنوب الشرقي بجبل أحمر خدو و هي عبارة عن شعبتين يفصل بينهما وادي و تبعد عن قرية لقصر بـــ 15 كلم.

[3]_ عبد الحليم صيد: **أبحاث في تاريخ الزيبان** ،مرجع سابق، ص 57.

[4]_ يحيى بوعزيز: **ثورات الجزائر في القرنين 19 و 20**، مرجع سابق، ص 105.

[5]_عبد الرحمن تبر ماسين: **مرجع سابق**، ص 23.

ب. نتائج الثورة

بعد أن فر الشيخ الصادق بن الحاج إلى الجنوب دخل الجنرال ديسفو فعاث في الأرض فسادا ونتج عن ذلك ما يلي :

1- تخريب قرية أولاد أيوب و تدمير مقر زاوية تيبرماسين في 14جانفي 1859 [1] و مصادرة أملاك الأهالي و الاستيلاء على حيواناتهم من غنم، بقر، بغال، خيل، كما نهب كل المؤن و المدخرات و قام بحملها إلى مركزه و أمر بإتلاف كل الأسلحة التي عجز عن حملها [2].

2- إقامة ديسفو لنصب تذكاري كبير نقش عليه اسمه و أسماء الوحدات التي قادها ، فبقى شاهدا يذكر الأهالي بأوضاعهم وكلهم أسى وحسرة [3] .

3- تدمير جميع القرى و القلاع في الجهتين الشرقية و الغربية لجبل أحمر خدو، فتم تدمير قرية غوفي مستودع الذخيرة تدميرا كليا و حجر سكانها و تكبيلهم و تركهم عراة تحت البرد القارص إلى أن فتك الجوع و العطش ببعضهم كما تم ترحيل البقية إلى تبسة ووادي عبدي، كما تعرضت قرية بانيان لنفس المصير [4].

4-مهاجمة الأعراش التي ساندت ثورة الصادق بن الحاج و إلحاق خسائر كبيرة بها مثل: أحمر خدو، بني بوسليمان، غسيرة، أولاد عبدي، السراحنة، أولاد زيان، كما أمر بقتل مريدي الزاوية و أعوان الصادق بن الحاج و مطاردة الفارين منهم و إلقاء القبض عليهم و تشديد الرقابة على زيارات الزاوية، كما استسلمت حوالي 18قبيلة ،وقد منح ديسفو للقياد الحق في ارتكاب ما شاء لهم حيث طلب من القايد بوضياف بكشف المتمردين وتطبيق العقوبة عليهم :**"يجب ردع جميع المتمردين بدون استثناء ويجب الاستيلاء على ممتلكاتهم وإلحاق الضرر بهم بدون شفقة وخاصة سكان منطقة غوفي ،ويجب أن تستولوا كذلك على أملاك أولاد داود الذين لم يستسلموا إلا بعد القتال ...يجب أن تنفذوا هذه الأوامر لكي لا نضطر إلى**

---

[1] _ Louis Rinn , **op.cit** ,p 460

[2] _ يحيى بوعزيز: **ثورات الجزائر في القرنين 19و 20** ،مرجع سابق ،ص 24.

[3] _مديرية المجاهدين لولاية بسكرة : **مرجع سابق** ص 21

[4] _ جمعية أول نوفمبر : **مرجع سابق**،ص 137

معاقبة القايد وقبيلته المتمردة ،يجب أن تظهروا لنا ما عهدنا فيكم من وفاء قبل اندلاع هذا الشعب ،لا تأخذكم شفقة بهم ولا تحاولوا التوسط لصالحهم".[1]

5-إلقاء القبض على الشيخ سي الصادق بن الحاج و أفراد عائلته و 88 [2] من أتباعــه و إقتيادهم إلى قسنطينة وعرضهم أمام محكمة عسكرية في 26 أوت 1859 والتي

أصدرت في حقهم الأحكام التالية[3]:

* الشيخ الصادق بن الحاج و أبنائه (إبراهيم،الطاهر، الغزالي) بالإعدام غير أن نابليون خفف عليه الحكم من الإعدام إلى المؤبد و بعد هذا الحكم نقل إلى سجن الحراش بالجزائر بقي فيه إلى أن توفي فيه يوم الاثنين 27 رجب 1277 الموافق لــ 1862 [4] م حيث حمل على ظهر بغلة من الجزائر إلى جبل أحمر خدو أين دفن بمقبرة تبرماسين [5] .

وهناك تضارب كبير حول مصيره فقد ذكر ابنه إبراهيم في كتابه "حكمت المغانم " الذي حققه الدكتور عبد القادر زبادية ،أنه أطلق سراحه بعد سنتين فرجع إلى الأوراس ،وقد حضي باستقبال حار[6].

أما عبد الحميد زوزو فيقول أن : "فرنسا قامت بنفي الشيخ الصادق بن الحاج إلى جزيرة **(Cayenn)** بدل جزيرة **(Sainte Marguerite)** سانت مرغريت حتى لا يتمكن من العودة [7].

فيما نقل أولاده إلى سجون مختلفة :

* سي ابراهيم: نقل إلى كورسيكا و سجن بسجن كارتا**(Carta)**[8].
* سي الطاهر: نقل إلى سجن معسكر ثم نقل إلى المغرب [9].

1_ Abdelhamid Zouzou, **op_cit ,** p 265

2_ FERAUD (ch):« **Notes Historique**», **RA**,n° 30, op.cit , p106.

3 – **أنظر المحق رقم 08**

4_ Charles Robert Ageron, op.cit ,p60.

5_جمعية أول نوفمبر : **مرجع سابق**،ص 198

6_ محمد صالح حثروبي :**مرجع سابق** ،ص 27.

7_ Abdelhamid Zouzou : , **op.cit** , p269.

8 - لم يطلق سراحه إلا سنة 1867.

9_عثماني مسعود : **مرجع سابق** ،ص 86.

* سي الغزالي: نقل إلى سجن شرشال و توفي بالسجن سنة 1867 م.

أما بقية أتباعه فقد تجاوزت مدة عقوبتهم 10 سنوات لكل منهم .

- إذا كانت القيادة الفرنسية بعد ثورة الزعاطشة أمرت بتقسيم القيادات لإضعاف عائلتي بوعكاز و بن قانة فإنها و بعد ثورة الصادق بن الحاج أمرت بتقسيم عائلتي بن ميهوب و ابن شنوف لنفس السبب و لتجنب

- خطر التمرد عليها [1].

وعلى الرغم من البطولات التي أظهرها سكان واحة الزيبان إلا أن الاستعمار الفرنسي تمكن من إخماد كل الثورات وحتى القضاء عليها بطريقة همجية بلغت حد الوحشية، ولعل ما ساعد العدو الفرنسي في تحقيق أهدافه ،هو مساعدة مجموعة من الخونة والعملاء له ،إضافة إلى الوسائل الحربية التي اعتمد عليها العدو لإخماد هذه الثورات مقابل ما كان يملكه المقاومون ،ويضاف إلى ذلك عدم التنسيق وتوحيد الجهود ،كل هذه كانت أسباب كافية للقضاء على هذا الرفض المسلح للوجود الفرنسي ، إلا أن إصرار سكان المنطقة على مواصلة الكفاح واستئثار موت الشرف على الاستسلام ،لأنه لا يعيب الشعوب أن تنهزم ولكن يعيبها ألا تقاتل، ولهذا فإن روح الثورة بقيت مشتعلة ، عبر واحات المنطقة ليحمل لواءها هذه المرة الشيخ أمحمد يحيى .

[1] _ أبو القاسم سعد الله :**الحركة الوطنية الجزائرية 1830*1900**،مرجع سابق ،ص 364.

الفصل الثالث

ثورة واحة العامـــــري 1876

المبحــث الأول : أصــــل البـــــــــوازيد

المبحث الثانـــي : أسباب اندلاع ثورة واحة العامري

المبحث الثـــالث : مجــريات الثـــــورة

المبحث الرابـــع : العقوبات التي فرضت على الواحة

المبحث الأول :أصل البوازيد

يعود أصل البوازيد. إلى الولي الصالح سيدي بوزيد بن علي بن مهدي بن صفوان بن مروان بن يسار بن موسى بن سليمان بن يحيى بن موسى بن عيسى بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسين المثنى بن الحسين السبط ابن علي بن أبي طالب وفاطمة بنت الرسول _ صلى الله عليه وسلم _[1].

ولد سيدي بوزيد بمكة المكرمة في بداية القرن الخامس (420هـ،1050م)،ومن صفاته أنه كان أشقر اللون، مقرون الحاجب، كثيف اللحية، له علامة في طرف جبهته ،وهو جرح أصابه به جواد من الخيل وهو في سن الثامنة عشر ، عاش من العمر ما قارب 163 سنة ،تلقى تعليمه الأول في مسقط رأسه ،حيث حفظ القرآن الكريم ولم يتجاوز من العمر 10سنوات ، درس الفقه والحديث وعلوم الشريعة، تتلمذ على يد شيوخ أجلاء منهم أبو حامد الغزالي، سيدي ابن العربي،وغيرهم من العلماء. [2]

وعندما بلغ من العمر أربعين سنة، عزم على الرحيل لزيارة ضريح إدريس الأكبر، في المغرب الأقصى، فاستغرقت رحلته نحو 40 سنة،وقد شهد له سكان المناطق التي حل بها بالعلم وسعة الرزق وحسن الأخلاق.[3]

و بمدينة فاس، طاب له العيش فأستقر بها، إلى أن أصبح حاكما لها ،ولكن ومع مرور الوقت نشب نزاع بينه وبين أبناء عمه الأدارسة، فتنازل لهم عن الحكم ورحل هو وأفراد عائلته إلى جبل راشد بالمغرب ، و في سنة (510هـ، 1150م)،زار الجزائر، أين استقر في منطقة "بجبل العمور"،حملت اسمه "قرية سيدي بوزيد "،كما يوجد بها ضريحه[4].
توفى في (850هـ،1210م)،خلف أربعة أولاد هم : عبد الله ،محمد، أحمد، علي [5].

1_ صالح يعقوب :« **البوازيد عبر التاريخ شجرة سيدي بوزيد** »، الخلدونية ، ،وزارة الاتصال والثقافة ،الجزائر، ع ت ،2000، ص 17.

[2]_ مصطفى بن عمر :« **شرفاء جبل العمور سيدي بوزيد الإدريسي** » ،دنيا الإسلام ،فيفري1989،ص 9.

[3]_ الخيذري عبد القادر بن الحاج : **شجرة الأشراف الفاطمي من سيدي بوزيد بن علي** ،1947

[4] _ وهي تقع على بعد 35كلم شرقي أفلوا، متصلة بجبال سنابله، التي هي امتداد لجبل العمور ،وفي الجنوب على بعد 30كلم من القصر، أين يوجد الحصن المسمى بالقعدة، وتكثر به الوديان والمنابع المائية في منطقة سيدي بوزيد ،أهمها :وادي الطويل وادي مزي ،وادي جدي

[5]_ عبد الله بن محمد الشارق :**سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول** ،المطبعة التونسية،تونس ،1929،ص 72.

- **عبد الله وذريته:**

أولاد عبد الله هم جزء كبير من سكان القرية حيث ضريح سيدي بوزيد، والجزء الآخر توزعوا بين الهامل،و تاقين (قرب معسكر) ،أولاد سيدي العيد في فرندة، أولاد عبد المالك في ثنية الحد.

- **محمد وذريته:**

أولاد سيدي محمد غادروا كلهم إلى المغرب ولم يبق أحد من ذريته في الجزائر، وهم الآن موزعون بين تازا والدار البيضاء ،حيث قرية بالقرب من هذه المدينة تحمل اسم سيدي بوزيد[1].

- **أحمد وذريته:**

أولاد أحمد وهم موجودون كلهم في أقصى الشرق الجزائري حتى تونس، حيث تحمل ولاية تونسية اسم سيدي بوزيد. نبغ من أولاده وأسلافه كثير من العلماء والأولياء منهم:

- سيدي محمد بالقاسم الهاملي، وضريحه في بلدية الهامل بالقرب من بوسعادة.
- سيدي الحسين بن أحمد البوزيدي مدرس بالأزهر في مصر.
- سيدي محمد بوزيدي المستغانمي شيخ الطريقة الشاذلية الشهيرة.
- سيدي إبراهيم بن أحمد شيخ طريقة ومؤسس الزاوية القادرية في تونس .
- سيدي محمد البوزيدي المغربي شيخ الطريقة الدرقاوية.
- العالم الصوفي الكبير بن عجيبة المغربي، صاحب المؤلفات العديدة، من ضمنها: أيقاظ الهمم في شرح الحكم العطائية لابن عط الله الإسكندري
- العلامة سيدي محمد الشاذلي القسنطيني وكان من الأصدقاء المقربين للأمير عبد القادر.

- **علي و ذريته:**

وهم أولاد جلول، أولاد إدريس، أولاد أيوب، أولاد جعفر لجبابرة (المدعوون البوازيد الشراقة) وأولاد عيسى بالقبائل وهم ينتمون إلى الزاوية الرحمانية أولاد أسعود

---

[1] _ الخيذري عبد القادر بن الحاج :**مرجع سابق** .



في البيض، أولاد صافي في سيدي بلعباس، بني سعد في تلمسان، أولاد بوزيد بن عبد الله في غيليزان.[1]

وقد أشتهر عرش البوازيد عموما بالشجاعة والكرم وسعة العلم لقول الشاعر:

وحاصل الــذكر أن البوازيــد كلهــم

فإمــا شجـــاع بالســلاح مغمـــد

وإمـــا كـــريم الضـــيف للقـــرى

وإمـــا مـــلك ســائس يتهــــــدد

وإما همام العصــر ســلطان قائــد

وإمـــا تقـــي بـــلتقى يتعبــــــد

وإما ولـــى كامــل يرشــد الــورى

إمـــا عليـــم للعلـــــوم مجــــدد

وإمـــا فتـــى حمــل القــرآن ربنــا

وإمـــا إمـــام خطيـــب مصـــهرد[2]

و بوازيد منطقة الزاب ينتمون إلى الابن الرابع لسيدي بوزيد على بن سيدي بوزيد، و بسبب الاضطهاد الذي تعرض له هؤلاء البوازيد في الغرب من قبل أمراء تلمسان ،انسحبوا تباعا إلى جبل عمور (عين الريش)، ثم إلى أولاد جلال وأخيرا استقروا في واحة العامري [3] .

وبعد استقرارهم في الواحة ، شرع البوازيد في تشييد المنازل وبعض المرافق المهمة كالمسجد القديم على سبيل المثال .كما أنهم كانوا يمتلكون ثروة هائلة، والمتمثلة في قطعان الماشية والتي كانت سببا في انتقالهم إلى التل في مواسم الحر[4] ،كما كانوا

---

[1] _**أنظر الملحق رقم :35**

[2] _عبد القادر بوعرفة :«**جهاد شعبي أم مقاومة قراءة في المرجعيات الفكرية لحركة الجهاد في الخطاب الصوفي** » ، الملتقى الأول والثاني حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية ، وزارة المجاهدين ، 2007، ص 113.

[3] Hubert Cataldo : **Biskra Et Les Ziban** , collection français d Afrique ,France ,1988, p41._

[4]- صالح صالحي : **ثورة البوازيد ضد فرنسا في العامري 11أفريل1876**، حصة تليفزيونية،إخراج عبد الحميد هويملي

يقصدون سوق السبت الموجودة في طولقة لفرز التمور ، وتنقلاتهم غالبا ما كانت تتم في مجموعات [1].

أما عن تاريخهم في المنطقة قبل الاحتلال الفرنسي ، فقد كانت منطقة لغروس في العهد التركي تحت قيادة البوزيدي (شيخ الغروس)،وذلك بعد أن منحه صالح باي الزميرلي البرنس الأزرق ، وهذا دليل على تعينه في منصب شيخ العرب بالزاب الشرقي ،فقد كان هذا البرنس الأزرق اللون دليل على مرتبة المشيخة ،وكان هذا الشيخ تابع لأوامر القايد التركي الذي يلبس البرنس الأحمر . كما حرص البوازيد على تقديم لشيخ العرب 300 فارس تساعده في عملية استخلاص الضرائب من سكان الزاب [2].

وفي أواخر القرن17 وبداية القرن 18 قادت أم هاني التركية[3]، حركتها في منطقة الزاب ، فكان من أهم نتائجها انقسام قبائل الجنوب إلى قسمين حيث ضم[4]:

القسم الأول: أهل بن علي، الشرفة، غمرة الذين إمتنعوا عن تقديم الطاعة لشيخ العرب .إلا بقوة السلاح.

القسم الثاني : البوازيد ،أولاد زكري الذين قدموا لشيخ العرب الطاعة العمياء .[5]

وفي هذه المرحلة لم يختلف الوضع كثيرا حيث ظل البوازيد أوفياء لشيخ العرب وحادثة مقتل فرحات بن السعيد على يد البوازيد 1842 اكبر دليل على ذلك ، وبقى هذا الولاء إلى غاية الاحتلال الفرنسي للزيبان 1844.

۞ لمحة عامة عن واحة العامري

تقع واحة العامري في الجنوب الغربي لمدينة بسكرة، على بعد 50كلم تقريبا على مجرى مائي ينحدر من جبال أقسوم ويصب في وادي جدي ،و قد قامت هذه القرية على

---

[1]- تنقلهم في جماعات بسبب عدم قدرتهم على التنقل بشكل فردي ،وهذا راجع إلى انعدام الأمن في الطريق. **شهادة بوزيدي إسماعيل: (حفيد بوزيدي عبد الله ، أحد مجاهدي ثورة العامري)**

[2]- Abdelhamid Zerdoum : **Les Turcs a Biskra 1660- 1844**, entreprise des arts graphiques et de bureautique de Biskra ,1998, p62.

[3]- هي أم هاني بنت رجب باي قسنطينة ،ضرة جراحة بنت الشيخ الحداد والدة فرحات بن السعيد .

[4] – فريدة قا سي : **مرجع سابق** ،ص 197.

[5] – محمد أوجرتي **:مرجع سابق** ،ص87.

أنقاض قرية قديمة تدعى بيقو تقع على بعد 500 م شرق القرية الحالية، و قد زالت آثار هذه القرية و لم يبق من أثارها إلا القليل [1] .

أما القرية الحديثة (العامري) ،فهي قرية بسيطة البناء مبنية من الأخشاب و الجريد، يتجاوز عدد دورها 300 دار يحيط بها سور حصين، مزود بمنافذ و أبراج لمراقبة محيطها، و للدفاع عنها ، يوجد بالقرية مدخلان (شرقي وغربي) و هما عبارة عن بابين يوصدان بعد صلاة العشاء ،و يفتحان مع طلوع الشمس،كما يوجد بها قصر العامري المكون من منازل متجاورة [2].

و قد كانت حياتها الاقتصادية جد مزدهرة، و ذلك بسبب وجود الكثير من المتاجر و دور الحرفيين (صناع، حدادين... الخ).والمنطقة مشتهرة بصناعة الزرابي و البرانس، و صناعة السلاح كالحراب و الخناجر و كذلك صناعة البارود، كما كانت تقام بها سوق أسبوعية كل يوم جمعة ، و أهالي المنطقة يعتمدون في معيشتهم على غرس النخيل، و زراعة الحبوب و الخضر، و على رعي المواشي و الإبل و تربية الخيول خاصة عند البوازيد الرحل المنتشرين في ضواحي القرية.[3]

أما فيما يخص الجانب الثقافي للواحة، فهو لا يقل أهمية عن الجانب الاقتصادي، فقرية العامري كانت تزخر بدور العلم خاصة المساجد[4] و قد لعبت دورا فعالا في الحياة الثقافية بالمنطقة،فأصبحت مقصدا لكثير من العلماء في بلاد الجريد ونفطه ، كما اشتهر بها عدد من الأطباء العارفين بفن الطب [5].

---

[1] _يحيى بوعزيز: **ثورات الجزائر في القرنين 19و 20**، مرجع سابق، ص 266.

[2] _ **أنظر الملحق رقم :17.**

[3] _ **أرشيف مدينة بسكرة .**

[4] _هذه المساجد:(مسجد عبد الله بن أحمد جامع الجمعة، مسجد بن شعبان، مسجد بن مزغيش، مسجد سيدي إبراهيم بن عبد المؤمن)، ومن أشهر علمائها سي مصطفى الكردي،سي محمد بن عيسى، سي أحمد بن النايلي، سي السعيد بن لحميني، الحاج مبارك محمد بن دعاس

[5] _ منهم ، البوزيدي بن مزغيش: في طب الأسنان ومحمد بن السهلي وعلي أجريوه:في معالجة الكسور والتجبير .

۞ نبذة عن حياة الشيخ أمحمد يحيى

هو الشيخ أمحمد يحيى بن محمد بن الصغير بن عبد الله ، ولد سنة1841 ، هو زعيم أولاد إدريس ، و هو فرع من عرش البوزيد، لا يعرف شيء عن حياته قبل أن يتزعم الثورة ، سوى أنه كان من عائلة ميسورة الحال، و لديه القدر الكافي من العلم.[1]

وبسبب ذكائه أصبح أمين وصاحب سر القائد، كما شغل منصب كاتب (خوجة) القايد بولخراص بن قانة[2] و لعدة سنوات وهذا ما جعله يتزعم عرش أولاد إدريس، و قد تزعم الثورة و هو في سن الخامسة والثلاثين[3] .

كما أنه عرف بالبطولة و حسن الخلق و الذكاء، و قد ساعده منصبه كثيرا على تقصي الأمور عن كثب و إدراك النوايا الحقيقية للعدو الفرنسي، فعارضها و تصدى لها، فطلب منه بولخراص الاستقالة من منصبه لشيخ أولاد إدريس، بتهمه كتابة شكاوي باسم الأهالي وإرسالها إلى قائد المنطقة [4]، ورغم تأكيد خبراء الخطوط على براءة أمحمد يحيى ،إلا أن بن قانة أصر على عزله من هذا المنصب ، وهذا ما زاد فيه رغبة في الانتقام والتحالف مع علي باي لأجل ذلك، كما أنه ينحدر من أسرة عريقة نبغ منها أخوه مسعود الذي كان قاضيا ببسكرة [5].

_[1] إبراهيم جغابة :**أحد مجاهدي ثورة العامري** ،شريط مسجل ،بمناسبة الذكرى المئوية لثورة العامري 1976

_[2] **أنظر الملحق رقم :20.**

_[3] http:/www.m-moudjahidine.dz/histoire/Biographie/b123.htm le 08/06/2006.

_[4] Hubert Cataldo , **op.cit** , p 41

_[5] Charles Robert Ageron , **op.cit** ,p58

المبحث الثاني : أسباب اندلاع ثورة واحة العامري

لا تختلف أسباب مقاومة سكان واحة العامري عن بقية أسباب المقاومات الأخرى، و ذلك بسبب الترابط و التقارب فيما بينها، و هذا يعود إلى تمحورها حول هدف واحد هو رفض التواجد الفرنسي و عدم الرضوخ لسياسته الجائرة المطبقة ضد كل القبائل.ومن الأسباب المهمة لاندلاع هذه الثورة نذكر :

1- يعتبر السبب الديني من بين أهم الأسباب لاندلاع الثورة[1]،حيث أن سكان الصحراء كانوا ينظرون للفرنسيين على أنهم كفار و من الواجب محاربتهم و هذا ما ولد كرها شديدا في أنفسهم حيث أنهم لم يكونوا يفوتون فرصة تسمح لهم بمهاجمه القوات العسكرية الفرنسية، هذا الكره الذي كان نتيجة ما عانوه من سياسة المطاردة و التشرد المفروضة عليهم خاصة أثناء حركة بوشوشة .[2]

2- سعي أحمد بن عياش[3] - الداعية الديني للثورة - في مارس 1876 إلى تحريض الأهالي للجهاد ضد الغزاة الفرنسيين و طردهم، حيث ذكرت صحيفة المبشر (**Mobacher**) عن تزعم ابن عياش لحركة التمرد والعصيان بقولها : " **أنه كثيرا ما يتضح بعد التحقيق أن إدعاءات ابن عياش كاذبة وهى بتالي من إيحاء أمحمد يحيى ... وابن عياش تمكن من أن يؤلب الناس على الإدارة الأهلية المتمثلة في الأعوان** "[4]

كما بعث الحاكم العام شانزي (**Chanzy**)[5] إلى الجنرال كارتيري (**Carteret**) (**Carteret**) برسالة في 01 جانفي 1876 أبلغه فيها : " **إن الثورة التي حدثت بعدما**

---

[1]_ حيث لا ندعي بالقول أن العامل الديني كان هو السبب المباشر للمقاومة غير أنه كان بالمقابل عاملا أساسيا ومحركا قويا .

[2]_ يحيى بوعزيز: **ثورات الجزائر في القرنين 19-20**،مرجع سابق ص 226.

3_ الشيخ بن عياش مرابط عرش البوازيد و هو داعية الشيخ يحيى أمحمد كما دأبت الإدارة الفرنسية على نعته بالدرويش وهي صفة اعتاد المستعمر على إطلاقها على المقاومين، بل كان يصفهم على أنهم عديمو الفهم وادعت على أنه تأتيه لحظات للهلوسة . Hubert Cataldo, **op.cit** p42.

[4]_ مصطفى حداد:« **انتفاضة لبازيد من سكان واحة العامري** »، مرجع سابق ،ص 22

[5]_ **Eugéne Alfred Nouart** و لد في مارس 1823 بـ **Antoine** ، كما شغل منصب ضابط ، و في 28جويلية 1848 تقلد رتبة ملازم ،ثم كولونيل في 6 ماي 1864 ، عين حاكم قسمة بلعباس في 20 أكتوبر 1870، وفي 11 أفريل 1873 عين كحاكم عام للجزائر ، توفي 1882. أنظر: Jeanne et André Brochier : ,**op.cit** , p 94.

عملت فرنسا على إحلال السلام في المنطقة ،ليس مردها إلى المرابط ابن عياش فحسب...ولكن هي نتيجة الصراعات والدسائس المتواجدة بين الأطراف المسيطرة في المنطقة "[1].

كمـــا اقترح قائد الدائرة على بن قانة **بأن لا يعطي لهذا الـــدرويش أهمية مبالـــغ فيها ، لأن عملية عزله ستكون بشكل تدريجي، وذلك بالسماح إلى عشابة البوازيد بالتوجه نحو الشمال ،وإذا قام هذا الدرويش وهو مبتغانا بالسفر معهم فسوف تنخفض وتضيع هيبته يوما بعد يوم ،وسيصبح من السهل إلقاء القبض عيه عند مروره بباتنة إلى قسنطينة ،أما إذا قبل التعاون معنا فسنعيده كما كان من قبل مجرد معتوه**[2].

3- بعد تمكن القوات الفرنسية من القضاء على حركة بوشوشة ،حيث ظل هذا الأخير مسيطرا على الجنوب منذ 1872 إلى غاية إلقاء القبض عليه ،و إعدامه يوم 31 مارس 1874[3]،في جويلية 1874 قام الحاكم العـــام بإعادة تنظيـــم إدارة المناطـــق الصحراوية ، وذلك بإسناد القيادة إلى ابن إدريس ، في محاولـــة منه لخلق التوازن بين الطرفيـــن المتصارعين (بن قانـــة وعلي باي) ، و هي نفس السياســـة التي اتبعتهـــا في المقاومات السابقـــة مثل : ثورة المقراني و الحداد 1871 [4].

كما أمـــر بمنح شيء من حرية التصرف لزعماء الأهالي ،وهـــذا لتجنب التدخل المباشر في شـــؤون المنطقة ، و اقتصر تدخل الضباط في حالة عجز رؤساء الأهالي عن حـــل الصراع ، إلا أن هذه السياسة لم تنجح لأن المكلفين بتطبيقها (من ضباط المكاتب العربية) كانوا يعملون على تجسيد سياسة الدس و الإيقاع بين العائلات خاصة

---

1 - Charles Robert Ageron , **op.cit**, p57 .

2 - Hubert Cataldo , **op.cit** p42 .

3 - أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية 1860 1900**، ج1 القسم 2، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 2000، ص 302

4 _ حيث تمت مصادرة أوقاف الزاوية الرحمانية عقب ثورة 1871 ،كما فعلت مع أملاك الزاوية القادرية إثر رحيل الأمير عبد القادر في الزيبان ،أنظر : محمد البشير المغيلي :« **التكوين الاقتصادي لنظام الوقف** » ،المصادر ، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر ،ع 6، 2002، ص 167.

بن قانة وأولاد بوعكاز . هذه الخصومات انعكست سلبا على أولاد بوزيد ،فأعلنوا الثورة ضد فرنسا بعد أن قاموا ضد الأمير عبد القادر و حلفائه [1].

وقد ذكر يحيى بوعزيز في كتابه الجزائر في القرنين 19 و 20 عن كتاب نشره أحد أفراد عائلة بن قانة في الصحافة الفرنسية[2] حول اتهام علي باي زعيم بوعكاز في التسبب في إثارة بعض المشاكل، التي أدت إلى نشوب هذه الثورة و السبب في توجيه هذا الاتهام هو الإساءة إلى سمعة بوعكاز وإظهار عجزهم في الحكم، وقد سمحت هذه الإدعاءات والشكوك التي حاولت الصحافة الأوربية **(Liberté)** حبكها في محاولة لإظهار الدوافع الحقيقية لثورة البوازيد ،إلا أن هذه المحاولات وحسب رأي أجرون لم تخرج عن نطاق الوصف الخيالي واللامعقول، لينتهي مصير هذه المحاولات في المحاكم ،كما حدث لجريدة **(Zéramma)**.[3]

ورغم كل ذلك فإن هناك بعض الجرائد التي استطاعت أن تعطي نظرة حقيقية لما يحدث، وذلك ما ذهبت إليه جريدة **(Des Déats)** التي نشرت مقال لـ **Ismaël urbain** الذي ذكر فيه " **أن فكرة التعصب هي فكرة مستبعدة ،حيث اعتبره مبررا، لكنه لا يمكن له أن يرتقي إلى درجة السببية ،كما اعتبر أن التخطيط لثورة من طرف شخص واحد هو أمر مثير للشبهة ،وأعتبر أن التنافس القائم بين العائلات من أهم أسباب التوتر** "[4].

4- أما شانزي فقد أرجع أسباب ثورة العامري وذلك في تصريح له في جوان 1876 إلى عمق الواقع اليومي لسكان الواحة ،كما أكد على أنها حركة معزولة ،نتيجة الحيرة الصامتة التي تعيشها العديد من القبائل ،والمجسدة في سذاجة الالتفاف حول المعلومات الكاذبة والإشاعات الرائجة ،ونابعة من موقف بعض الطرق الدينية .

---

1 - Charles Robert Ageron **, op.cit**, pp 56,57.

2 _ نشر الإخوة بن قانة مقال بعنوان" **دفاع آل بن قانة عن أنفسهم بأنفسهم** " اتهموا فيه بصراحة علي باي بثورة وذلك بعد دفعه مبالغ ضخمة للبازيد قصد تحريضهم على الثورة ،انظر: Charles Robert Ageron : **op.cit** ,pp 57 ,58.

3- الصادرة من سكيكدة حيث فرضت عليها غرامة مالية ب 50فرنك ،نتيجة تضخيمها للموضوع وحديثها عن التموي العسكري

4 _ Ageromain R : **la politique indigène de Bugeaud**, paris, 1955, p251



كما حذر وزير الداخلية الفرنسي الجنرال بريزول (**Bressoles**) من نشوب المزيد من الاضطرابات وذلك بسبب سوء تقدير القوة التي تتوفر عليها هذه الأعراش ،وإلى الصرامة المتزايدة والقمع المسلط على السكان، و ذلك بقوله :"أنه **لا ينبغي أن نعجب من محاولة تعلق القبائل بأماني انتصار ثوار الجنوب ،فهذه الأماني نتيجة اضطرارها لتحمل أعباء الاستحواذ على أملاكها العقارية ،فهي تخشى وصول اليوم الذي ترغم فيه على مغادرة أراضيها ... و باختصار فإن موقف العسكر، هو الدسائس والصراعات التي تحرك الصفوف إليها لم تكن لتجد مكانا لها في أعماق القلوب لو لم تكن الثورة قد سكنتها مــن قبل** "[1].

5- عمــل الإدارة الفرنسية على رفع الضرائــب و قد أوكلت مهمــة تحصيلها إلى القايد بولخراص ، الــذي كان متسلطا علــى السكان، إضافــة إلى معاملته السيئــة لهم ، وقــد عبرت جريدة **(La Vige Algérienne)** عــن ثقل هذه الضرائب الصادرة في 23 مارس1882 بمقال بعنوان صرخة إنذار **(Cri Alarme)** " **لن نكون مبالغين إذا قلنا أنه لو طبق هذا الأسلوب الاستنزافي ،على بلد أوروبي ،ولو كان من أغنى البلدان ،فإن مرور سنوات قليلة يكفي لإحلال البؤس التام به**"[2].

6- الكره و العــداء الذي كان يكنــه الشيخ أمحمد يحيى منذ 1875 للسلطات الاستعمارية و لأعوانها، و ذلك بعــد مقتل أخيه الأكبر مسعود الذي كان قاضيــا في مدينة بسكرة–في ظروف غامضــة في منزل الوكيــل بالقاسم بن خمــار–و قد شــاع بين النــاس أن القائد محمــد الصغير بن قانة هو مــن أمر بــدس السم له، كمــا تــؤكد المراجع على أنه قتل مسموما فتألم أمحمد يحيى كثيرا لمقتل أخيه و قــرر أن يأخذ بثأره مــن هؤلاء الخونة، وممــا يرجــح مقتل القاضي مسعود مسمومــا هــو قيــام السلطات الفرنسيـــة بعزل الضابط كروزي**(Crouzet)** و تعييــن مكانــه جليز **(Gellez)** ، الذي أصــدر قرارا في 29 نوفمبر 1875 باعتقال أمحمد يحيى استجابة لرغبة بولخراص و سمح للقرار أن يطبق.[3]

---

[1] Charles Robert Ageron : **op.cit** ,p59.

[2] Charles Robert Ageron : **Ibid**,p258.

[3] عبد الحليم صيد: **أبحاث ودراسات في تاريخ الزيبان**، مرجع سابق،ص 62.

كما انه تحـــالف مع علي باي وبدأ بالتحضيـــر للثورة بشكل سري ، وقـــد أكد الجنرال كارتيري ،أن دافـــع الانتقام هو من بين أهم أسباب الثورة ، ولكـــن الحاكـــم العام شانزي لم يقتنـــع بهـــذا التحليل، وبرره إلى مـــيل الجنرالين إلى القبـــول برواية بن قانة والتي كان الهـــدف منها الإطاحـــة بعلـــي باي ، وهذا الاتهام يدخل ضمن حلقات الصراع بين العائلتين لا أكثر ولا أقل ،وما دعم شكوك الحـــاكم العام هو بقاء قوات علي باي في مكانها المحدد لها طوال فترة الثورة ،وهذا أكبر دليل على بطلان هذا التحالف[1].

7- الرسالة التي بعثها سكان بسكرة، و المناطق المجـــاورة إلى الحاكم العـــام الفرنسي بالجزائر في شهر جوان 1875 ،حيث اشتكوا له ظلم و غطرســـة بولخراص بـــن قانة، إضافـــة إلى تجبر الضابط الفرنسي كروزي فاتهـــم بولخراص بن قانة كاتبه أمحمد يحيى صاحب فكـــرة تحريـــر الرسالة للأهالي، و تم إلقاء القبض عليه و ترحيله إلى مركز القيادة ببسكرة ،أين حقق معه الضابط لوفروولكن نتيجة التحقيق أسفرت عن براءته، و على الرغم من براءتـــه إلا أن بولخراص ظل ناقمـــا عليه و طلب منه الاستقالة ، لكن الشيخ أمحمد يحيى أصـــر على مواصلة ممارسة مهامـــه و عندما دعا بولخراص أمحمد يحيى إلى بسكرة رفض الامتثال لأوامره خوفا من أن يلقـــى مصير أخيه[2].

[1] _ Charles Robert Ageron : **op. cit** , p 258

[2] – محمد العيد مطمر : **«مقاومة واحة العامري 1876»** ، الخلدونية ، الجمعية الخلدونية للأبحاث و الدراسات التاريخية لولاية بسكرة، الجزائر،عدد 03،ديسمبر 2004ص90.

المبحث الثالث: مجـــريات الثـــورة

بعد رفض أمحمد يحيى تلبية دعوة بولخراص إلى بسكرة ، وجه له هذا الأخير دعوة ثانية، بعد أن قدم له الضمانات الكافية لسلامته، فاتجه إلى بسكرة و اجتمع كل من أمحمد يحيى و بولخراص و الضابط جيليز ،و تناقشوا في العديد من المسائل التي كانت سببا في إشعال نار الخلاف بين القائد بولخراص و كاتبه، و بعد هذا الاجتماع تنفس جيليز الصعداء ظنا منه أنه قضى على الخلافات ،و أن الأمور ستعود إلى نصابها من جديد ، لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو لماذا لم يقم الحاكم العام الفرنسي باعتقال أمحمد يحيى عندما أتى إليه في بسكرة رغم إصداره قرار اعتقاله في 29 نوفمبر 1875؟

و لكن الذي حدث هو أنه بعد عودة أمحمد يحيى إلى أولاد بوزيد شرع في دعوة البوازيد إلى الوئام لأنه كانت هناك انقسامات في صفوفهم ، وقد تمكن أمحمد يحيى من التوفيق بين مختلف الأطراف ،و أصبح بحكم الأمر الواقع شيخ للقبيلة ، كما وجد أمحمد يحى في أحمد بن عياش قوة دعائية لثورته [2]، فاستطاع هذا الأخير أن يوحد صفوف الأهالي و يجندهم و يبدد خلافاتهم الهامشية ،هذه الخلافات التي زرعها الاستعمار من أجل بث التفرقة قصد إضعافهم ،وبعد تمكن محمد يحي من توحيد عرش البوازيد ،بدأ يحثهم على إعلان الثورة [1].

و عندما علمت السلطات الاستعمارية بأمر التحضير للثورة ،طلبت من بولخراص أن يرسل تقريرا يتضمن تفاصيل ما يحدث في واحة العامري ،من أجل الإسراع في القضاء على الثورة قبل أن يشتعل لهيبها و يصعب إخمادها، فعمل بن قانة في بادئ الأمر على سياسة التفرقة و ذلك بزرع الدسائس و الفتـــن في أوساط الأهـــالي و الإساءة إلى كل من أمحمـــد يحيى و بن عياش ،و إظهار نوايا فرنسا في القضاء عليهم و تدميرهم و السير بهم إلى مصير مظلم [3] ،كما أرسل تقريره إلى الحاكم العام جيليز ،

---

[2] _مصطفى حداد:« **انتفاضة البوازيد من سكان واحة العامري و المناطق المجاورة سنة 1976**»، الملتقى الوطني للمقاومة الشعبية بالزيبان، مديرية المجاهدين لولاية بسكرة ، الجزائر، ديسمبر 1998، ص 8.

[1] _ Hubert Cataldo , **op.cit** ,p.42

[3] _ http:// www-moudjahidine.dz/histoire/dossiers/81/htm le 08/06/2006

يقول له فيه :" **أن البوازيد مخلصون للسلطة الفرنسية و أن اجتماعاتهم كانت من أجل طلب الغيث(صلاة الاستسقاء) و ليس الغرض منها الثورة** "[1] .

إلا أن الضابط جيليز لم يقتنع بتقرير بولخراص ، وذلك بسبب ما أخبره به أحمد باي قائد أولاد زكري، عن تذمر أولاد بوزيد و عزمهم على إعلان الثورة و قد أخبر جيليز كل من الجنرال كارتيري و لوفرو **عن** مخاوفه قبل انطلاق الحملة على تقرت.

وعلى الرغم من استجابة أولاد بوزيد لطلب الجنرال كارتيري في المساعدة لاقتحام مدينة تقرت ،حيث وصلت قوات البوازيد إلى بسكرة في وقتها المحدد للمشاركة في الحملة(على الرغم من نيتهم للقيام بالتمرد).[2]

و في صباح 08 مارس 1876 توجهت القوات الفرنسية بقيادة كارتيري رفقة البوازيد إلى تقرت و ما إن وصلوا إلى منطقة "مراير" [3] حتى انفصلوا عنه و كان ذلك في 11 مارس 1876 و حاولوا استغلال فرصة انفرادهم بالجنرال و الهجوم عليه و على قواته في واد ريغ لكنه تفطن لنية البوازيد فاضطر للعودة أدراجه .[4]

وبعد هذه الحادثة أعلن الحاكم العسكري لتقرت أن عرش البوازيد في حالة عصيان ،ولابد على فرنسا أن تسرع في اتخاذ التدابير اللازمة لإخماد هذه الثورة ،قبل أن يمتد لهيبها إلى المناطق المجاورة لواحة العامري ،وتصعب السيطرة عليها [5] .

وفي 26 مارس 1876 ،وردت إلى مقر الحكومة العامة أخبار عن بداية انتفاضة قبيلة لبازيد البدوية ،وذلك بزعامة مرابط مجهول لدينا ،وقد عجز قائد المنطقة بن قانة في إحكام السيطرة على الوضع ، فالمنطقة إلى غاية هذه الفترة بقيت بعيدة عن التخطيط لأي ثورة وذلك بسبب القمع الشديد الذي تعرضت له ثورة1871 ،إلا أن العداء القائم بين آل بن قانة وعائلة بو عكاز (علي باي) ،هو الذي دفع بعودة الاضطرابات من جديد[6].

---

[1] _ المركز الوطني لوثائق الصحافة والإعلام : **مرجع سابق**، ص 35.

[2] _ صالح صالحي : حصة تلفزيونية .

[3] _ تقع هذه الواحة قرب المغير .

[4] _ يحيى بوعزيز: **ثورات الجزائر في القرنين 19و20**، مرجع سابق، ص203

[5] _ مصطفى حداد:« **انتفاضة لبازيد من سكان واحة العامري** »، مرجع سابق ،ص 222.

[6] _ Charles Robert Ageron , **op.cit** ,pp .56،57

و بعد هذه الحادثة تأكدت البداية الحقيقية للثورة ،خاصة بعد أن أكدها القائد بولخراص للضابط لوفرو و كان ذلك في 19 مارس، كما حمله لوفرو كامل المسؤولية، و اتهمه بالعجز عن رصد كل ما يحدث من حوله، كما أبلغ الجنرال كارتيري بالمستجدات التي حدثت في المنطقة و بالاستعدادات التي قام بها كل من الزعيمين أمحمد يحيى و أحمد بن عياش، و اتصالهما بشيوخ القبائل المجاورة لهم، و قد نجح في كسب دعم قبيلة المسالمية وسيدي سليمان[1] ،و الشيخ بن داح شيخ قبائل الجبابرة، والشيخ مبروك بن بريكة شيخ أولاد داود و الشيخ محمد بلحاج بن سالم و الشيخ علي بن ريش شيخ زاوية متليلي ، بهدف تحطيم نفوذ و سيطرة فرنسا وأعوانها من عائلة بن قانة[2] .

و بهذا قرر لوفرو اللجوء إلى الحيلة و الخداع مرة ثانية، فحاول استمالة الشيخ أمحمد يحيى و استدراجه إلى بسكرة، قصد القضاء عليه و التخلص منه و على انتفاضته متجاهلا و ككل مرة أن الثورة لا يقودها الأشخاص بل تقودها الأهداف و المبادئ.

فراسله يطلب منه القدوم إلى بسكرة، قصد التحاور معه ،لإيجاد حل للمشاكل العالقة بشكل سلمي، لكن أمحمد يحيى تنبه للمكيدة المدبرة ضده فرد عليه بالرفض، بحجة أن البوازيد يرفضون ذهابه خوفا على حياته [3].

كما أن بولخراص رفض التنقل إلى واحة العامري خوفا على حياته، لذلك قرر لوفرو التنقل بنفسه إلى الواحة في 28مارس 1876، قصد التفاوض مع أعيان عرش البوازيد ، أثناء مروره بطولقة على رأس فرقة صغيرة ،استقبله الأهالي ببرودة و تذمر شديدين ، فطلب من الشيخ عثمان بن علي، شيخ زاوية طولقة، مرافقته إلى واحة العامري قصد التوسط بينه و بين أمحمد يحيى.

وبمجرد اقتراب لوفرو من الواحة ، أحاط به مسلحون من البوازيد يتزعمهم أمحمد يحيى ، فطلب لوفرو من قائد عرش البوازيد التريث ومعالجة الأمور بطرق

---

[1] – وكان دعم هذا الأخير بشكل معنوي ،ويتبين ذلك في الرسائل التي عثر عليها بعد نهاية الثورة بحوزة أمحمد يحيى ،تحمل ختم الشيخ أولاد سليمان يحثه فيها على الصمود والمقاومة .مصطفى حداد :« **انتفاضة لبازيد من سكان واحة العامري** »، مرجع سابق، ص 225.

[2] _ يحيى بوعزيز: **ثورات الجزائر في القرنين 19و 20** ،مرجع سابق،ص 231.

[3] _**تاريخ الجزائر (1830،1962):CD-ROM**، مرجع سابق

سلمية ،لكن محمد بن يحيى طلب منه التراجع، وإعطاء له فرصة ليتشاور مع أعيان الواحة قائلا :"**اذهب إلى السهل مع فرسانك وسأجيبكم** "، وقد كان التهديد مستترا في كلام أمحمد يحيى ، وهذا الذي لم يستحسنه لوفرو لأنه بها أصبح يرى الأدوار تعكس[1] .

كما أنه تفطن لخطة أولاد بوزيد بمحاولة اغتياله ،حيث قاموا بمحاصرته،وقطع سبل العودة أمامه . فلجأ إلى زاوية طولقة واحتمى بها ،و قام بإرسال الرسل إلى القائد الحاج بن قانة الذي كان في أورلال [2] طالبا النجدة ،و بقي محتميا في الزاوية إلى أن وصلت قوات الإغاثة ،و عاد من مهمته تحت حراسة عسكرية مشددة ليلا.وعند عودته إلى بسكرة قدم تقريرا عن مهمته إلى الحاكم العام جيليز ،حيث طلب فيه من الحكومة عزل البوازيد عمن حولهم لتجنب إنتشار لهيب الثورة [3].

وفي 30 مارس1876 أرسل شيخ الزاوية رسالة إلى أمحمد يحيى ، يطلب فيها حضوره، لكن الرسول عاد ليخبرهم أن الوقت قد فات و أن الثورة قد اندلعت و اشتعل لهيبها ،و أنه لم يعد هناك أي مجال للتفاوض أو الحوار كما أنبأهم بأن بن عياش و رجاله قد أغاروا على المنازل و الخيام للمناطق القريبة من طولقة، و هم الآن متمركزون في السهل الممتد بين طولقة و فرفار . و في هذه الأثناء بدأ الجنرال كارتيري بتجهيز قواته للسير إلى واحة العامري ،ومن جهة أخرى قام الزعيم أمحمد يحيى بجمع السلاح و تعبئة كل الطاقات، كما أن داعيته بن عياش قام بحمل علم أخضر (رمز الجهاد) و بدأ يحث الناس على حمل السلاح و الصمود لتخليص البلاد من الأعداء ،فاستجاب البوزيد و المناطق المجاورة للنداء [4].

وفي 3 أفريل 1876منح لوفرو للبوازيد مدة 5أيام للعدول عن أمر الثورة ،كما كلف بن قانة بتبليغهم الرسالة التالية " **سوف أحاول إخبار السكان أنهم آيلون لا محالة إلى طريق مسدود وإنهم إذا استسلموا بدون قتال سينجون من 14قطعة مدفع مصوبة نحوهم وبنادق 2000جندي ستدك بيوتهم** "[5].

---

[1] _ Hubert Cataldo **, op.cit** ,p 42.

[2] _التي تبعد عن بسكرة بـــ 34 كلم

[3] _ مصطفى حداد:« **انتفاضة لبازيد من سكان واحة العامري** »، مرجع سابق،ص 225.

[4] _ أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية 1860–1900**، مرجع سابق، ص300.

[5] _ صالح صالحي :**حصة تلفزيونية** .

وصلت إلى بسكرة يوم 2 أفريل أربع سرايا مشاة بمجموع 440رجلا لتتوجه هذا الصباح من بسكرة ،ليصبح مجموعها 6 سرايا وكانت تحت قيادة كارتيري القادم من قسنطينة.أما قوات السيد (Dubuch) ،والمكونة من كتيبة للمشاة المقاتلين فوج لمدفعية الميدان و 3 فرق للفرسان ، وفوج للمقاتلين الجزائريين ، 44 من البغال التي تحمل الغذاء ،و122من الحيوانات التي تحمل الإمدادات والأمتعة، وفي 6 أفريل 1876 وصلت هذه القوات إلى مشارف واحة طولقة [1] .

وبعد انقضاء المدة التي منحت للبوازيد للعدول عن موقفهم ، تحركت هذه القوات و عسكرت في مليلي وفي 9 أفريل وصلت إلى بوشقرون وفي يوم 10 من نفس الشهر عسكرت بالقرب من الولي سيدي رحال ،بالقرب من فوغالة [2]

و في صباح يوم 11 أفريل 1876 اتجهت هذه القوات نحو واحة العامري الذي خرج فرسانها لرد الهجوم وعلى الساعة السابعة اندلعت المواجهة الحاسمة بين الطرفين ، بلغت قوات العدو 2200 جندي و حوالي 800 من المشاة و 200 خياله [3] و فرقة من مدفعية الجبال و عناصر من القومية بقياد بن قانة وكانت مكونة من عرب الشراقة وقد كانوا مترددين كثيرا في مهاجمة إخوانهم من البوازيد بالرغم من تشجيع رؤسائهم ولكن في الأخير قرروا الانضمام إلى صفوف البوازيد[4] .

وتمثلت أوامر الجنرال كارتيري فيما يلي : "**خذوا مواقع ممتازة ،دون أن تبتعدوا عن العامري مع بقاء الاتصال بمدينة بسكرة ،وحاولوا تجنب كل استعراض للقوة عند مروركم بالواحات ،حيث يتحصن العدو ويدافع وراء الجدران والنخيل وراقبوا دائما ضواحي العامري ،واطلبوا مساعدة القوات القومية الذين انتم متأكدون من ولائها ،،حيث يقوم هؤلاء القومية باستيلائهم على بعض ما سيصادر ،وأعلموا البدو والرحل**

---

[1] - Hubert Cataldo , **op.cit** ,p42

[2] – بوزيدي إسماعيل : (**حفيد بوزيدي عبد الله أحد مجاهدي ثورة العامري**)، **بسكرة** ، أجرى معه الحوار في بسكرة ، 13أوت 2008.

[3] _ Charles Robert Ageron , **op.cit** ,p 56

[4] _ Hubert Cataldo , **op.cit** ,p42

أنهم لا يمكنهم التنقل إلى التل حتى يعاد الأمن[1]. وهكذا لن يصمد هؤلاء الخارجون عن القانون طويلا، وهم متحصنون بالعامري" [2] .

و زحفت هذه العساكر صوب واحة العامري، و تمركزت بالقرب من القرية على مرتفعات تمكنهم من مراقبتها ،و هي كدية ميمون شرقا و طبانة شمالا و ذراع بلمسيس غربا و دام الحصار طويلا ،حيث قرر الثوار نقل المعركة بعيدا عن القرية حفاظا على الأهالي و المساكن و البساتين ،و قد قدرت قوات الثوار بحوالي 1000 فارس و 2000 من المشاة [3] .

و نشبت معركة طاحنة بين الطرفين، فيما ذكرت بعض المصادر أن الهجوم الفرنسي استمر من الساعة 8إلى الساعة10والنصف، وأكدت على أن القائد أمحمد يحيى قد استشهد في أولها[4] ،كما استشهد 50 آخرين من المجاهدين[5] و جرح الداعية بن عياش، كما تم جرح و قتل عدد كبير من القوات الفرنسية. و أمام هذه التطورات عقد مجلس حربي في الواحة ،حيث أصر الزعماء على مواصلة المقاومة، على الرغم من الخسائر التي مني بها الثوار، إلا أن أغلبيتهم صمموا على مواصلة الجهاد،حيث قال بن عياش "**أنا مستعد لأن أموت ألف مرة على أن أسلم علم الثورة للفرنسيين** ".[6]

كما أن العدو فرض عليهم حصارا فاعتصم الثوار داخل الواحة مدافعين عنها رافضين الاستسلام.

ويعود سبب الفشل إلى :

1. عدم احترام الثوار للخطة الموضوعة.
2. القصف العشوائي لفرنسا الذي أربك صفوف الثوار.

---

[1]-وهي سياسة مدروسة والهدف منها هو ضغط البدوا والرحل على ثوار العامري ،والامتناع عن تقديم لهم العون والمساعدة ،لأن منعهم من التنقل للتل سيضر باقتصادهم

[2] _ Hubert Cataldo **, op.cit** , p 43 .

[3] _ مصطفى حداد: :« **انتفاضة لبازيد من سكان واحة العامري** »، **مرجع سابق ، ص 9.**

[4] _ Charles Robert Ageron , op.cit ,p56.

[5] _**أنظر الملحق رقم :29.**

[6] توفيق قاسم :**انتفاضة العامري**،إذاعة الزيبان ،24 أفريل2007.

3. مساعدة الخونة والقياد لفرنسا وتزويدها بمعلومات هامة عن الواحة،وعن أساليب القتال عند البوازيد .
4. نجاح الحصار نظرا للموقع المفتوح للواحة ،مما أجبر الثوار على الاحتماء بقصر العامري [1] ،وتمكن فرنسا من السيطرة على مجريات المعركة[2].

أما أيام 12و13 أفريل فقد تضمنت نشاطا للدوريات التي قادها العدو ليتمكن من رصد الخسائر التي ألحقت بالثوار بعد الهجوم الأول عليهم .

و في 14 أفريل 1876 استغل الثوار فرصة هبوب عواصف رملية شديدة وقاموا بالهجوم مرة أخرى ،وذلك من الساعة السابعة عشر والنصف إلى الساعة الثانية والعشرون [3]،و اقتحموا مخيما للفرنسيين بكل عزيمة و إيمان، و تمكنوا من خلال هذا الهجوم من جرح 3 ضباط فرنسيين ،إضافة إلى جرح بن قانة قائد قوم بسكرة، و قتل 27 جندي فرنسي و 4 من الخونة و جرح ثلاثة آخرين،وقد عرف هذا الهجوم بليلة "**الزدمة**"[4] أو "**الخدعة في جنان الرومي**"[5] .

وفي 20 أفريل اشتبك الثوار مع القوات الفرنسية ، والتي فضلت التمركز في المعسكر في انتظار وصول المساعدات ،حيث استغل الثوار حالة الارتباك التي تخللت صفوف العدو، وقاموا بالهجوم عليهم وذلك في فترة تناولهم لوجبة العشاء ،وقد سهل سي المكي بن عيسى عملية الهجوم ،الذي كان يفرق بين نغمات الأبواق[6] وهذا بسبب خبرته حيث أنه كان مجندا في الجيش الفرنسي قبل عودته للواحة ،فما إن عزفت نغمة تناول الطعام حتى أمر الثوار بالهجوم،وقد تمكن الثوار من قتل أربع جنود،وجرح ثلاثة آخرون [7].

1_ **أنظر الملحق رقم :28.**

2– صالح صالحي:**حصة تلفزيونية** .

3_ Hubert Cataldo , **op.cit** ,p 42

4– توفيق قاسم : **انتفاضة العامري** .

5_ **أنظر الملحق رقم :30.**

6_ يعتمد الجيش الفرنسي على ثلاث نغمات للأبواق وهي (نغمة التدريب ،نغمة تناول الطعام ،نغمة إقتراب الخطر) ،فما إن عزفت نغمة وجبة العشاء حتى أمر الثوار بالهجوم : **شهادة بوزيدي إسماعيل: (حفيد بوزيدي عبد الله ، أحد مجاهدي ثورة العامري).**

7_ Hubert Cataldo : **op.cit** ,p 43.

كما أن قوات العدو قامت بفرض حصار على الواحة ،في انتظار وصول المساعدات العسكرية ،وأمام هذا الحصار رأى زعماء الواحة ، ضرورة طلب الإعانة من الواحات المجاورة و بدأ بن عياش الزعيم الروحي للثورة في كتابة الرسائل إلى زعماء القبائل المجاورة طالبا منهم العون و المساعدة. ووصلت النجدات من أنحاء الزيبان ،حيث بلغت 500 متطوع، و هذا ما بعث الخوف في نفس الجنرال كارتري من حدوث ثورة عارمة فأرسل في طلب تعزيزات من بوسعادة و قسنطينة ،فأحكم الحصار على الواحة في انتظار وصول النجدات،وقد دام هذا الحصار حوالي شهر كثفت فيه فرنسا من القصف العشوائي على الواحة [1].

و في 22 أفريل 1876 وصلت الإمدادات العسكرية للجيش الفرنسي الآتية من عدة مناطق، بما فيها القبائل الموالية للقوا ت الاستعمارية ،فوصلت قوات قسنطينة بقيادة العقيد ناروي **(Narrue)**.الذي تمركز شرق الواحـــة ،إضافة إلى القوات القومية القادمة من بريكة [2].

و في 24 أفريل وصلت قوات من بوسعادة بقيادة روكبرون **(Roquebrune)** [3] و عسكرت كل قوة في المكان المخصص لها حسب الخطة الموضوعة، و قد أحاطت هذه القوات بالواحة من الشمال و الغرب بينما من الجنوب حاصرتها قوات القومية،التي تضمنت 320من الخيول [4].

وفي 27 أفريل شرعت القوات الفرنسية بقصف الواحة من جهاتها الثلاثة للواحة باستعمال 14 مدفعا ، وقد استمر القصف العشوائي لمدافع العدو إلى غاية 29 أفريل، فتضرر الثوار المحتمين في القصر كثيرا من هذا القصف ، ولم يسلم منه شيء العباد و الدور وحتى أشجار النخيل ،وبعد ثلاثة أيام من القصف المتواصل أجبر المقاومون على الاستسلام ، وأصبح مطلبهم الوحيد هو النجاة بأرواحهم [5].

---

[1] _ صالح صالحي :**حصة تلفزيونية** .

[2] _ Hubert Cataldo **op.cit** ,p 42

[3] _**أنظر الملحق رقم :31.**

[4] _ عمار بوحوش: **مرجع سابق،** ص 149.

[5] _ Charles Robert Ageron : **op.cit** ,p57

المبحث الرابع : العقوبات التي فرضت على الواحة

بعد الهزيمة تكون وسائل الانتقام عند الاستعمار وأعوانه واحدة في كل زمان ومكان، وبعد كل انتفاضة يلجأ الاستعمار إلى السلب التدمير والتهجير والتشريد ،واستعمال جميع الوسائل التي يمكن أن تمنع المقاومة من الظهور مرة أخرى ،فباستسلام الثوار و انتهاء المعركة بدأت فرنسا بتسليط أبشع و أقسى العقوبات على الواحة و سكانها فقاموا بتخريبها بشكل كامل كما اقترفوا أبشع الجرائم من هدم المنازل[1] و حرق الأشجار و قطع النخيل ،على غرار ما فعله هربيون بواحة الزعاطشة،ولكن هذه المرة بشعار جديد " **الويل للمهزومين** " .ومن الإجراءات التي اتخذها الاستعمار مايلي :

1- فرض غرامة مالية مضاعفة بــ 8 مرات للضريبة السنوية المعتاد دفعها وذلك بموجب القانون الصادر في الجريدة الرسمية في 12اوت1876 والتي فاقت 150.000 فرنك. كما أرغمتهم على تسليم 1122 بندقية، لكنهم لم يتمكنوا من تسليم سوى 452 بندقية . و أمام عجزهم عن تسليم الكمية المحددة ألزمتهم بدفع غرامة مالية قدرها 45200 فرنك، كما شملت الغرامات بعض القبائل المساندة و المتعاطفة مع الواحة و قد قدرت بــ44200 فرنك [2] ،كما فرضت عليهم ضريبة حرب قدرت ب 000 100 فرنك ،تدفع في مدة لا تتجاوز 4 سنوات .[3]

أما قوات القبائل المجـــــاورة التي ساعدت الثورة فقد تقرر أن تدفع غرامـــــة قدرها 100 50 فرنك مقابل البنادق التي لم تسلم وعددها 501 بندقية . إضافة إلى دفع دية مقدرة ب6000فرنك للقوات القومية التي قتلت أثناء الاجتياح ودفع 3000فرنك مقابل ما قتل من الخيول .[4]

2- مصادرة الأملاك العقارية، و نهب الأثاث المنزلي و المؤن و المصوغات بمختلف أنواعها، والتي قامت السلطات الفرنسية ببيعها فيما بعد لأعوانها ، كما أمرت بمصادرة نخيل واحة العامري و فوغالة ،حيث قدر التقرير العسكري المؤرخ في

---

[1] _ **أنظر الملحق رقم :32.و33**

[2] - عبد الحليم صيد: **أبحاث و آراء في تاريخ الزيبان** ، مرجع سابق، ص ص 62 63

[3] _ Charles Robert Ageron : **op.cit** ,p57

[4] _ Hubert Cataldo : **op.cit**, p .43

21جويلية 1876 أن قيمة الممتلكات المصادرة لعرش لبوازيد تم استخلاصها كما يلي : العامري 337 نخلة و فوغالة 1810 نخلة والبرج 144 نخلة بإضافة إلى ما يزيد عن 4000 من الإبل و 5000 من الغنم والخيول [1]، فقدرت الأملاك المستخلصة بـــ72000 نخلة. كما استولت على 700 خيمة، وقد منحت بعض هذه الممتلكات المصادرة لعرب الغرابة أعداء لبازيد بعد مساندتهم للقوات الفرنسية ،في القضاء على الثورة ،كامتياز لهم [2].

3- استشهاد 400 مجاهد من بينهم قائد المعركة أمحمد يحيى و مصادرة سلاحه و جوداه و بيعها بالمزاد العلني أمام محكمة طولقة بثمن قدر بـــ4 دوروه، و قد اشتراها بولخراص شيخ قرية أوماش [3] .

4- تشريد و تشتيت فروع البوازيد الأربعة[4] قصد إضعافهم و التخلص من خطرهم فنفى الجبابرة إلى تيارت ،وأولاد إدريس إلى ولاية المسيلة [5]،وأولاد أيوب إلى تبسة وأولاد سعود إلى بريكة ، كما نفي البعض منهم إلى سبيطلة (تونس) شرقا و إلى تيهرت و التل الوهراني وفاس والدار البيضاء غربا و بمنطقة القبائل الكبرى يوجد هناك قرية البوازيد و سكانها يطلق عليهم ايبوزيدن –كما نفي البعض منهم إلى منطقة قرب جيجل ،ويطلق عليهم في الوقت الحالي بني فوغال ،كما نفيت جماعات أخرى إلى شاطودان [6]، و من بين الأعوان اللذين تولوا مهمة نقل البوازيد إلى الغرب الجزائري أوزلاقن و الباشا أغا ابن علي الشريف ،كما تم نفي قادة المعركة إلى كل من جزيرة

_[1] مصطفى حداد:« **انتفاضة لبازيد من سكان واحة العامري 1876** »، مرجع سابق ،ص 225.

_[2] مديرية المجاهدين لولاية بسكرة :**ثورة العامري 1876** ، مرجع سابق.

_[3] مصطفى حداد: :« **انتفاضة لبازيد من سكان واحة العامري 1876** »، مرجع سابق ،ص 10.

_[4] **أنظر الملحق رقم :06.**

_[5] عبد الحميد بو رايو : « **النزعة التاريخية التوثيقية والحس الملحمي في شعر الشعبي الجزائري في منطقة الجنوب الجزائري من خلال بعض النماذج محمد بن قيطون ،بالقاسم رغادة ،أحمد كرومي** »الموروث الشعبي،الملتقى الوطني للموروث الشعبي الوادي، الجزائر،2006 ،ص 87.

[6]- شلغوم العيد حاليا .

كيان وكورسيكا ،ولم يبقى في الواحة إلا 18 عائلة كان أربابها في سفر فلم تثبت ضدهم أي تهمة [1].

وقد تعرضت العائلات أثناء حملة تهجيرها إلى مجاعات قاسية و أزمات اقتصادية فتاكة[2]،حيث صرح قائد منطقة سطيف قائلا :"**منذ انتهاء حملة الحصاد أصبح المنفيون عاجزون في أغلب الأحيان عن الحصول على ما يسدون به رمقهم ،إلا ما يقدم لهم من صدقات ...ولهذا نقترح على الإدارة العسكرية ،استقدام هؤلاء إلى أقبوا (القبائل) للعمل كأجراء لدى الكولون هناك** "وقد تحدث أجرون (**Ageron**)عن دور هؤلاء في تخطيط لغليان شعبي جديد لرد الاعتبار بعد الإهانة التي تعرضوا لها فيقول "**وفور اعتقادهم أنهم في مأمن من الرقباء يتحدثون عن ثورة سوف تحطم المسيحيين في ظرف شهرين** [3] ".

كما أن أولاد سعود وأولاد زيد أحمد المنفيون إلى بريكة لم يكن بإمكانهما البقاء في بريكة ،وذلك بسبب فقر المراعي هناك وأيضا للقرب الكبير من العامري وفوغالة ،ولذلك تم إرسالهم إلى أولاد بوعون دائرة باتنة [4].

أما المنفيون لمنطقة القالة فإنهم وبعد نهاية موسم الحصاد لم يجدوا ما يسد رمقهم لذلك قام الحاكم العسكري للمنطقة بتوزيعهم في المناطق المجاورة ،أما الضابط المكلف بالشؤون الأهلية بجيجل فيقول حول هذه المسألة :"... **لم يظهر حتى الآن أي تصرف مشين من قبلهم وأن أوضاعهم المادية تحسنت فأغلبهم مستعملين كخدم من طرف الأعيان المكلفين بمراقبتهم**"[5].

أما عرش الجبابرة فكانت الوجهة المسطرة له هي منطقة الغرب ، حيث أنهم لم يتمكنوا من العيش في المنطقة ،وهذا ما دفع بهم إلى الفرار للمناطق المجاورة للقطاع

---

[1] _ مصطفى حداد :« **المقاومة الجزائرية في جبال الأوراس وتخومها الجنوبية خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر ،انتفاضة العامري (الزاب الغربي 1876و ثورة الأوراس الغربي 1879)**»مرجع سابق ،ص 168

[2] – عبد الحميد بو رايو:**مرجع سابق** ،ص 88.

[3] _ Charles Robert Ageron, **op.cit** ,p59

[4] – إبراهيم جغابة :**مرجع سابق**.

[5] - مصطفى حداد:« **المقاومة الجزائرية في جبال الأوراس**» ، مرجع سابق ،ص169.

الوهراني، ويقول في هذا الصدد الحاكم العسكري لوهران :"**إن بيوت لبازيد التي نقلت إلى الغرب ،قد فر البعض منها إلى موطنها الأصلي** "[1].وقد أحصى التقرير المؤرخ في 18جوان 1882 عدد العائلات الماكثة في منطقة وهران ب133 عائلة ،وهي موزعة كالتالي 54: عائلة في دائرة سعيدة و53عائلة في معسكر و6عائلات في تيارت[2].

وفي 10جوان 1879 استفاد البازيد من قرار الحاكم العام العفو على الأشخاص الذين كانوا يعملون في الجيش خلال حدوث التمرد أو يعملون في الخدمة العامة ،و الذين يملكون مبررا بعدم وجودهم في الجزائر خلال التمرد [3].

كما أنه في سنة 1879 تمت أول عملية بيع لواحة العامري ،وكانت المزايدة التي حدثت تشمل قطع منفصلة لكنها فشلت لعدم حضور أي مشتري ،وذلك تضامنا مع أصحاب الواحة الأصلين .

وفي 3 نوفمبر1879 أقيمت ثاني عملية بيع على أساس الواحة كاملة ،وتمت عملية البيع لصالح السيد **(Forciolle Treille)** و السيد **(Sarradin)** وهما من المعمرين [4].

وفي 7 أوت 1890 ، تم العفو عن مجموعات البوازيد المتواجدين في التل وسمح لهم بالعودة إلى الزيبان. ووزعت عليهم أراضي للحرث في منطقة الدوسن.[5]

و قد خيروا بين شراء البساتين أو الدور فاختاروا الثانية ، و بقيت البساتين بيد المعمرين اللذين سخروا الأهالي لخدمتها تحت الذل و الهوان كما أجبروا على ممارسة حياة الرعي و الخماسة في ممتلكاتهم ،كما أجبروا على ممارسة أعمال السخرة و المتمثلة في شق الطرقات و تعبيدها منها الطريق الرابط بين باتنة و بسكرة [6] .

وفي سنة l922، قدم البوازيد التماسا يطالبون فيه رفع الحراسة القضائية عليهم. وفي سنة 1917 قاموا بإجراء اتصالات مع السيد ترايل قصد إعادة شراء نخيلهم ، وذلك

---

[1] _ مصطفى حداد: :« **انتفاضة لبازيد من سكان واحة العامري 1876** »، مرجع سابق ،ص 226.

[2] _ إبراهيم جغابة : **مرجع سابق** .

[3] _ Hubert Cataldo : **op.cit**,p 43

[4] _ Hubert Cataldo : **op.cit**,p44

[5] _جمعية أول نوفمبر:**مرجع سابق**، ص 186

[6] _ يحيى بوعزيز: **ثورات الجزائر في القرنين 19و20**،مرجع سابق، ص 234 .

بواسطة بن قانة.وقد طلب السيد ترايل قيمة 150.000 فرنك ، لكن البوازيد لم يكن بإمكانهم جمع غير 100.000 فرنك، ويبدو أن العملية فشلت لأنهم لم يتمكنوا من الحصول على قرض 50.000 فرنك الباقية. وقد تم شراء واحة فوغالة من طرف نفس السيد ثم انتقلت الملكية إلى السيد (Bchère) وذلك بعد تصفيتها.[1]

5- إلقاء القبض على الزعيم الديني للمقاومة ابن عياش بعد إصابته بجروح خطيرة رفقة 91 مجاهدا آخر أين عرضوا على محكمة عسكرية فأصدرت حكم الإعدام رميا بالرصاص بحق ابن عياش ،[2] كما أمرت بسجن 68 ثائرا وتوزيعهم على سجون مختلفة في منطقة الشرق الجزائري.و أصدرت قرار النفي في حق 91 مجاهدا إلى كورسيكا[3] .

6- عزل الخائنين علي باي ومحمد ابن إدريس آغا تقرت و ورقلة ،الأول لعجزه عن الدفاع عن تقرت ضد بوشوشة 1872 ،وقد أصدر قرار تجريده من جميع وظائفه في أفريل 1877،[4] و الثاني رغم ولائه الأعمى لها و تمكنه من القضاء على حركة بوشوشة ووقوفه في وجه الزاوية التيجانية ،إلا أن العقيد نولا اتهمه بالخيانة و الكذب فتم إبعاده عندما انتصرت الزاوية التيجانية عليه و على أولاد بن قانة تخلت القوات الفرنسية عن حلفائها التقليديين وحاولت التقرب من الزاوية التيجانية تحت شعارها المعتاد" نحن مع الأقوى " [5] ،هذا بالإضافة إلى تقسيم أعراش لبازيد والزيبان والهدف من هذا التقسيم هو إضعاف سلطة بن قانة وتقوية نفوذ بن شنوف.[6]

7- بتاريخ 12أوت1876 أصدرت السلطات الفرنسية قرارا تم نشره في الجريدة الرسمية و يتضمن هذا القرار استخلاص الأموال المحصل عليها من واحة العامري و تتم كالآتي:

---

1 _ Hubert Cataldo : **op.cit** ,p 44

2 _ محمد العيد مطمر ، **مرجع سابق**، ص 65

3 _ مصطفى حداد:« **انتفاضة لبازيد من سكان واحة العامري** »، مرجع سابق ، ص 226.

4 _ Charles Robert Ageron : **op.cit** p57

5 _ أبو القاسم سعد الله: **الحركة الوطنية الجزائرية 1860* 1900** ، مرجع سابق، ص 303

6 _ مصطفى حداد:« **انتفاضة لبازيد من سكان واحة العامري** »، مرجع سابق ،ص 227.

أ. توضع الأموال المحصل عليها من سكان واحة العامري ،في صندوق خاص لصالح القوات الفرنسية .

ب. كل فرد من سكان واحة العامري اغتصبت أرضه و أصبح يطالب بها ما عليه إلا شراءها من جديد و بأسعار باهضة من السلطات الفرنسية و يتم دفعها للصندوق السابق ذكره و تصرف أمواله لتعبيد الطريق الرابط بين (توقرت وورقلة) و(بسكرة وباتنة) كما تستغل هذه الأموال لقمع الثورات ضد فرنسا [1].

كما طالب مجلس الجماعة للبوازيد من الإدارة الفرنسية في 1906 شراء ممتلكاتهم السابقة التي قامت فرنسا ببيعها[2] ، ولكن الحاكم العام رفض الطلب ، وعاود البوازيد المحاولة في 03أفريل1910 بمساعدة الحاكم العسكري لتوقرت فكان رد الحاكم العام "**إنه على لبازيد الرجوع إلى الذين اشتروا تلك الممتلكات والتفاهم معهم وإن الإدارة تمتنع مستقبلا عن تقديم أي رد حول هذا الطلب** ".[3]

8- تشتيت السكان على مناطق متباعدة وذلك بغرض تفكيك الرباط القبلي والاجتماعي، وتضرر الكثير من الأسر بفعل النفي الاضطراري وعدم قدرة أفرادها على التواصل، ومنهم من مازال حتى اليوم .

9- كما أنه صدر مرسوم في 30 جوان1876 لإنهاء حكم الجيش وسيطرته على المناطق الساحلية من الجزائر وإلحاق هذه الناحية بالوزارات المختلفة في باريس ،نتيجة عجزه في الكثير من المرات في القضاء على الثورات الشعبية لولا مساعدة فرق القومية له رغم التطور العسكري الكبير له.، ولكن الهدف الحقيقي من هذا التحويل هو إدماج الجزائر بفرنسا وجعلها مقاطعة فرنسية، وذلك لإتاحة فرصة للجالية الأوربية بالجزائر لتفرض وجودها على الحاكم العام بالجزائر، وتوجه أمور البلاد حسب مصالحها دون الظهور على الساحة.[4]

---

[1] _ Dorgeval : Recueil officiel des actes de la préfecture de Constantine 1878, Gouvernement General ,AB, p68

[2] _ **أنظر الملحق رقم :05.**

[3] _ مصطفى حداد:« **انتفاضة لبازيد من سكان واحة العامري** »، مرجع سابق ،ص 226.

[4] –عمار بو حوش :«**الأرض والهجرة** »،الأصالة ،وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، عدد16 ،1973،ص 87.

لقد تصدى سكان واحة العامري للاستعمار الفرنسي ولحملاته الشرسة وذلك على الرغم من الصعوبات والمضايقات التي تعرضوا لها ،كما أنهم حملوا لواء الجهاد وثورة بدء بزعيمها الروحي بن عياش .

وحقيقة أنه لم يكتب لها النجاح وتحقيق النصر وذلك لعدة ظروف إلا أنها تمكنت وبقلة حجمها من أن ترعب صفوف العدو في الكثير من المرات وأثبتت وبشكل لا يدعو لشك أنه عندما يتعلق الأمر بدفاع عن الأرض والعرض فإن الدفاع يكون مستميت .

الفصـل الرابـع

العلاقة بين ثورة واحة العامري و المقاومة الشعبية بمنطقة الزيبان في القرن التاسع عشر

المبحث الأول :السياسة الاستعمارية .

المبحث الثاني : العلاقة الدينية.

المبحث الثالث :العلاقة الاجتماعية .

المبحث الأول : السياسة الاستعمارية

إن الأحداث التاريخية للجزائر ، دلّت على أن جوهر المقاومة هو رفض الاستعمار، بمعنى عدم تجاوب غالبية الشعب الجزائري مع السياسة الاستعمارية الشرسة ، التي طبقها الاستعمار الفرنسي في كامل المناطق ، والتي كان لها نتائج وخيمة وعواقب خطيرة على جميـــع الأصعدة اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا . فقد كشفـــت هذه السياسة الاستعمارية ذات الطابع الاستيطاني ، حقيقية التواجد الفرنسي والمتمثل فـــي الاحتفاظ بالجزائـــر باعتبارهـــا مركـــزا تجاريا وحربيا يفتـــح أفاقـــا جديدة للفرنسيـيـــن لاستعمار إفريقيا .

لقـــد شملت سياستها الإدارية على النموذجين مدني وعسكري ، فكانت سلسلة القوانين التي قامت بإصدارها هي إحدى فصول هذه السياسة ، ومـــن أجل تطبيقهـــا قامت بالاستعانة بجهاز القضاء ، حيث وظفت المحاكم لتطبيق هذه السياسة الجائرة وبمختلف تناقضاتها للوصول إلى الهدف الاستنزافي الذي عمدت الإدارة الفرنسيـــة إلى تطبيقه بعد سيطرتها على جهاز القضاء ، قامت هـــذه الأخيرة بالاعتمـــاد على إدارة البلاد بأبناء الوطن ، لأنه كان على الإدارة الفرنسيـــة أن تعمل جاهـــدة على الاحتفاظ بالجزائر حـــيث يقـــول لويس بلانكي (**BLANQUI**) : " **إنه من المستحيل أن نتخلى عن أرض سقيناها بدمائنـــا ، إننا امتلكنا أكثـــر من 800 كلم من السواحل القريبـــة من فرنسا وإيطاليا وإسبانيا ، وغير بعيدة عن جبل طارق و مالطا في بحر يحتوي المشاكل الكبرى لأوروبا والعالم** " [1] .

1. الاستيطان

لقد كـــان الاستيلاء على أراضي الجزائيين وتجريدهم من ممتلكاتهم هو لب السياسة الفرنسية ، لأن الجزائر بموقعها الاستراتيجي الهام ، وإمكاناتها الاقتصادية الهائلة ، كانت دوما مطمعا للأوروبيين [2].

ولهـــذا ارتبطت سياسة الاستعمار الفرنسي في الجزائر بتشجيع الاستيطان الأوروبي ، حيث شجعت الإدارة الفرنسية الأوربيين بالهجرة إلى الجزائر، خاصة بعدما منحتهم امتيازا

1- أحميدة عميراوي :« **السياسة الإدارية الفرنسية في الشرق الجزائري من خلال مشروع لويس بلانكي** » ،المصادر ، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954،ع6،مارس 2002. ص 91.

2_ Charles robert AGERON: **France coloniale ou parti colonial**, paris, 1978, PP 8,9

أن يصبحوا ملاكا لأراضي وعقارات ، دون دفع أي مبالغ مالية ، فحملت هذه الرغبة في التملك أعدادا كبيرة من المستوطنين الذين نقلـــوا بنفقات الحكومة إلى أرض الجزائر، ولهذا ارتكزت الحركة الاستعمارية على ، استيطان الأراضي الجزائرية وجعلها ملكا خالصا للأوروبيين مع الإتيان بأكبر عدد ممكن منهم وتوطينهم في البلاد، لجعل الجزائر فرنسية[1].

وقد أكدت اللجنة الإفريقية هذه التجاوزات الفرنسية في نزع الملكية العقارية للجزائريين بقولها : " **لقد جمعنا في الدومين أملاك المؤسسات الدينية، ولقد صادرنا ممتلكات فئة من السكان كنا قد وعدنا باحتـــرام ممتلكاتهم ، وبدأنا باستعمال سلطتنا بفرض غرامات على الأهالي، ولقد ذهبنا أحيانا إلى أن أجبرنا الملاك السابقين على دفع نفقات هدم منازلهم، بل ونفقات هدم أحد المساجد، وانتهكنا دون خجل بيوت الله والمقابر**"[2].

كما عبر المارشال جيـــرار وزير الحرب الفرنسي سنة 1832 عن تأييده لهذه السياسة بقوله : " **ينبغي أن نقبل بأن تهجير السكان إلى نواحي بعيدة، وحتى إبادتهم وتخريب وحرق وتدمير زراعتهم قد تكون الوسائل الوحيدة لترسيخ سيطرتنا** "[3].

ومن أجـــل تحقيق فرنسا لمشروعها الاستيطاني في منطقة الزيبان ، قامت بإصدار سلسلة من القوانين العقارية التي كانت تحمل شعار: **طرد السكان الأصليين والاستحواذ على أراضيهم**. حيث شهـــدت منطقة الزيبان حركة استيطان أوروبي بطيئة في السنوات الأولى ، من الاحتلال الفرنسي لها . فكـــانت أول دفعة للمستوطنين الأوربيين سنة 1848 ،الذين تم إيواؤهم في حصن سان جرمان **(Saint Germain)** ، لتشهد المنطقة قدوم الفـــوج الثاني عام 1850 ، كان على رأسهم الكولونيل بيار ديفورغ **(Pierre Dufourg)**

---

[1]-شارل روبير أجرون: **الجزائريون المسلمون وفرنسا1870*1919** ،ترجمة مسعود حاج مسعود و _بكلي ،ج1 ،دار رائد للكتاب ،الجزائر ، 2007 ، ص131.

[2] –علي الشلقاني : **ثورة الجزائر**، القاهرة ، دار الهناء، 1956، ص20.

[3] – محمد العربي ولد خليفة:« **مؤسسة الزاوية خزان المقاومة وحصن العقيدة والتراث** » ، الملتقى الأول والثاني حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية ،وزارة المجاهدين ،2007، ص54.

والإيطالي **(Défur)** وزوجته كازناف كريستينا **(Cazeneve Christina)** ، كما حملت الدفعة جماعات يهودية منهــم سكوتو أبراهـام **(Scotto Abraham)** [1].

ولكــن بعد 1854 ارتفع عدد المستوطنين بشكل ملفت للانتباه، وقد تعددت جنسياتهم مابين إيطاليين ،كورسكيين و إسبان ، قبل صدور قانون كريميو **(Crémieux)**[2] في 24 أكتوبر 1870 حيث سمح هذا الأخير بحق التجنيس الفوري ليهود الجزائر ، فبدأت الأفواج اليهودية تستوطن منطقة بسكرة قادمة من مختلف مناطق الوطن ،فأتي إليها من قسنطينة عائلة عطلان أبراهام **(Atlan Abraham)**[3]، ومن بوسعادة عائلة مسلاتي شمويل**(Chemouil Mesellati)** ، ومن واد سوف عائلة إلياهو خلفة **(Eliahou Khalfa)**، ومن الطبيعي أن يكون استيطان هذا العدد الكبير من الأوربيين ،على حساب الممتلكات العقارية للأهالي[4].لأن فتح أبواب الهجرة الاستيطانية ، بهدف خلق قاعدة ديموغرافية لمناصرة القوة العسكرية ، لا يتم إلا بسيطرتها علــى أملاك السكان الأصليين، و من أجل تحقيق ذلك لا بد لها من تفكيــك البنية الاجتماعية لهم ، وفي الأخير الوصول إلى الهدف الأسمى وهو الانفصال عن البلد الأم وتكوين دولـــة استيطانية [5].

ولهــذا حرصت الإدارة الفرنسية على نزع هذه الممتلكات العقارية للسكان من خلال مجموعة من القوانين ، حيث قام الدوق دومال سنة 1844 بمنح ما قارب 156 ألف هكتار للقايد بن قانه ،كتقدير له على دوره الهام في احتلال بسكرة [6].

---

[1] _ Abdelhamid Zerdoum **: Histoire de Biskra 1844 *1962**, entreprise des arts graphiques et de bureautique de biskra ,1998, p 12.

[2] -هو أدوولف إسحاق كريميو **Adolph Issac Crémieux** ولد سنة 1796 ،سياسي فرنسي يهودي الأصل ،تولى منصب وزير العدل في الحكومة المؤقتة للجمهوريةالثانية 1848 ،إعتزل النشاط السياسي بعد إعتقاله إثر إنقلاب العسكري في 2ديسمبر 1851 ،وبعد سقوط حكومة لويس نابليون الثالث ،عين كوزير للعدل مرة ثانية ،ويعتبر مرسوم كريميو **Dècret Crémieux** أهم قانون قام بإصداره .

[3] _**أرشيف مدينة بسكرة**

[4] _ Abdelhamid Zerdoum : **Histoire de Biskra, op .cit** ,p p 16.17

[5] – أحميدة عميراوي: **من الملتقيات التاريخية الجزائرية** ،مرجع سابق ، ص 159.

[6] _أحمد حسين سليماني: **مرجع سابق** ،ص 120.

وفـــي سنة **1844** صدر مرسوم ينص على بطلان شراء الأراضي مع تحديد شراء الأراضي بين الأوروبيين والجزائريين ،والذي دعم بقرار **31 أكتوبر1845** و تعلق بمصادرة الأراضي المتروكة (الأراضي البور) ، بحجـــــة الإهمـــال.

و مرسوم سنة **1846** الذي فرض على كل فرد سندات ملكية. ثم قانون **1850** الذي ينص على أن الأرض ملك للدولة إلا إذا استشهد من يدعي الحق فيها بعقد مكتوب [1].

أما في سنة **1851** تم في مدينة بسكرة إنشاء مجموعـــــة من البساتين، وفتـــــــح مراكز لتدجين المزروعات المحلية على بعد نصف كلم من بسكرة ، وهدف المشروع هو القيام بمجموعة من التجارب الزراعية ، لإنتاج بعض المزروعات التي لا يمكن إنتاجها في فرنسا. كما سيرت هذه المراكز بأيدي عاملة بنظام الخماسة ، وقد اضطر هؤلاء الأفراد إلى دفع إيجار الأراضي التي كانت في السابق ملكا لهم [2].

وفي سنة **1863** صدر القانون الإمبراطوري **(Sénatus Consulte)** في عهد نابليون الثالث والذي مكن الأوروبيين من السيطرة على أجود الأراضي ، حيث نص هذا الأخير على : " **أن كل العقود وجميع قرارات التقسيم ،وكل عمليات مصادرة الأراضي السابقة والتي أبرمت بين الدولة والأهالي بخصوص ملكية الأرض، تبقى سارية المفعول كما تبقى حقوق الدولة مصونة فيما يتعلق بأملاك البايلك، وكذلك الأملاك العمومية المحددة في المادة 2 من قانون 16 جوان 1851 وكذا الأملاك التابعة لقطاع الدولة مثل الأخشاب والغابات** ".[3]

كما قدم إسماعيل أوربان **(Ismail Urban)** تفسيرا للأهداف الحقيقية لهذا القانون الإمبراطوري ،والمتمثلة في تثبيت الحدود الترابية لأراضي القبائل، وهذا التثبيت مجرد وسيلة لتحقيق الهدف الأساسي المنشود ألا وهو توزيع الأراضي بين الدواوير وإنشاء

---

[1] –علي تابليت :**مرجع سابق**، ص.33.

3 - بعض هذه المنتجات منها: الفول السوداني، الحنطة الخروع، القطن، الحنطة ، البن، وقصب السكر، والخيزران ، عبد الحميد زوزو : **الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي التطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية (1837*1939)** ترجمة مسعود حاج مسعود ،ج1، الجزائر ، دار هومة ،2005 ، ص275.

[3] _ عبد الحميد زوزو :**المرجع السابق** ، ص 286.

الملكية الفردية [1]. ففي منطقة مشونش ، التي يقطن بها **1441 فرد** تقرر جمعها في دوار واحد، ويضم المناطق التالية : مشونش، بنيان، أديسا ، كما استفـــــادت من **3170**عنزة و**805** خروف . أما الأراضي التي منحت لها، فجلها عبارة عن جبال صخرية قاحلة عارية من الغطاء النباتي، و بساتين النخيل والأشجار المثمرة المتواجدة على جانبي الوادي الأبيض.فكانت عبارة عن أملاك خاصة بلغت مساحتها **37317** هكتـــــارو**86**آر والباقي قامت اللجنة برسمه على النحو التالي[2] :

		المجموع
الأراضي البلدية	المراعي	9840 هكتار
	المقابر	
	المساجد	
	الدكاكين	2هكتار
الأراضي الحكومية	الأوقاف	65 هكتار
	الغابات	
الأراضي الزراعية الجماعية		399 هكتار
الأراضي العمومية : عيون ، ينابيع ، مجاري ، أبار مياه ، طرق		574 هكتار

1 – شاوش حباسي :**المرجع السابق** ،ص 287.

2- عبد الحميد زوزو : **الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي،مرجع سابق** ، ص288.

ومن خلال هذه التقسيمات الجائرة ، نكتشف أن الهدف الاستعماري من هذا القانون هو تفكيك الملكية الجماعية للأراضي الزراعية ، والقضاء على كل الأشكال التنظيمية السابقة وذلك بتحطيم العلاقات الاجتماعية[1]. كما أن الهدف الثاني الذي رسمه هذا القانون هو التجزئة العرقية بين العروش ، وهذا بالإضافة إلى تسهيل المراقبة والحماية[2].

وعلى الرغم من النتائج الباهرة التي حققها هذا القانون ،والذي وسع وبشكل قانوني ملكية الأراضي للمستوطنين إلا أن أجرون حمل المكاتب العربية فشل هذا القانون في إيصاله إلى الملكية الفردية بقوله: " **لقد أنشأ القانون الإمبراطوري تشريعا جديدا غير أنه لم يرق إلى مستوى الحق الفردي المعلن عنه والمراد الوصول إليه ، فإن الملكية الفردية لم تر النور، لأنها كانت تلك رغبة المكاتب العربية التي كانت تخشى تفتت الملكية وانقلاب ظروف الإنتاج** " [3].

كما ساعد قانون وارني (Warnier) الصادر في 26 جويلية 1873 في تدهور الأمور أكثر، إذ يعتبر تدعيما للمشروع السابق ، وقد كانت فرنسا تهدف من خلال هذا القانون إلى توفير أماكن جديدة للمهجرين ، والقضاء على بعض الحالات العدائية التي نشبت بين الأهالي حول توزيع الأراضي بسبب القانون الإمبراطوري.[4] ونتج عن هذه السياسة أن صرحت عن الخطر الذي أصبح يهدد الوضعية الزراعية في مقاطعة قسنطينة ، فقد أثبتت الإحصاءات الزراعية لسنتي 1876*1877 الوضعية السيئة التي آلت إليها الأمور [5].

---

[1] – مجاوي محمد:«**مقاومة قبائل بني عامر في عصر الأمير عبد القادر**»، المصادر،مركز الدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر ،الجزائر ،ع 9، 2004، ص 113.

[2]- مصطفى حداد:« **انتفاضة لبازيد من سكان واحة العامري** »، مرجع سابق ،ص 221.

[3]– شارل روبير أجرون: **مرجع سابق**، ص148.

[4]_ Charles Robert Ageron, **Les Algériens Musulmans et la France,** op.cit,p 78

[5]_ Guignard : **Recueil officiel des actes de la préfecture de Constantine 1878** , gouvernement général ,AB, p142

وعلى الرغم من العدد الكبير والمتنوع لهذه القوانين الاستيطانية، إلا أن عملية نزع الممتلكات لم تكن بالأمر السهل ، لأن السكان أظهروا كل مشاعر الرفض والعداء وعدم الخضوع، وقد كتب على بن الشريف إلى الحاكم ماك ماهون يشرح له هذا العداء والرفض للأهالي بقوله: " **لقد تمت السيطرة على البلد، غير أنه لم يستسلم ، فمشاعر الكراهية تجاهنا لم تبلغ أبدا الحد الذي هي عليه اليوم، حتى في سنة 1845، حيث بلغت الانتفاضة درجة كبيرة من الخطورة، إن أية انتكاسة تصيبنا، في أي منطقة كانت سوف تشعل فتيل الانتفاضة العامة، إن السبب الرئيسي في نظري هو السخط الذي لا يفتأ يزداد وسط العائلات الكبيرة، وهي تشاهد نفوذها يتقلص من يوم لآخر... فقد غدت قادرة على إثارة الناس ضدنا بتحريك مشاعر الدين والاستقلال**"[1].

إن اغتصاب الأراضي الزراعية من مالكيها أخذ أشكالا مختلفة وتم وفق إجراءات تعسفية قاسية ، وهو ما يثبت أن نزع الأراضي لم يكن سهلا ولا ناتجا عن استسلام فأصبحت للسياسة الاستيطانية أكثر من راية ، بل أصبحت آلة حرب مهمتها تدمير جميع أشكال المقاومة .[2]

والحقيقة هـــي أن اقتصاد سكان الزيبان كان يرتكز على الإنتاج الفلاحي،،وعليه فإن الأرض كانت دوما مورد رزق وحيد ورئيسي ، ولذلك فإن مصادرة أخصب الأراضي وأجودها ،بمثابة أزمة حقيقية وسبب جوهري في بؤسهم وإفلاسهم ، لأن الكثير منهم اضطر إلى بيع أملاكه والتضحية بأغنامه ، بل وحتى الاقتراض ورهن الغلال قبل حصادها ، إضافة إلى أن الأرض كانت رمزا للهويـــة بالنسبة لهم وعلى المسلم أن يدافع عنها [3] ، لأن الحضارة الفرنسية لم تنقل للمنطقة سوى أساليب التشريد والمصادرة الجماعية لأملاك العروش ، وجردتهم من أراضيهم الخصبة وعملت على طردهم إلى الجبال والصحاري ،فكانت كل هذه العوامل سببا للتفاف السكان وانسياقهم نحو رفع راية الجهاد ، وذلك للمحافظة على ذاتهم أولا وأملاكهم ثانيا [4].

[1] _ شارل روبير أجرون: **الجزائريون المسلمون وفرنسا**، مرجع سابق، ص19.
[2] _ جيلالي صاري و آخرون : **مرجع سابق** ،ص 124.
[3] - أحميدة عميراوي: **من الملتقيات التاريخية الجزائرية** ،مرجع سابق ،ص159.
[4] – يحيى بوعزيز: **كفاح الجزائر من خلال وثائق** ،مرجع سابق، ص184.

2. حـــرب الإبـــادة

لقد كان شعار قادة الحملة العسكرية في الجزائر يقوم على فكرة التقتيل الجماعي والتدمير الكلي، حيث عبر عن هذا الشعار المارشال بيجـــو بقوله : " **احتلال الجزائر بالسيف والمحراث، السيف على رقاب العرب، والمحراث بيد المستعمر الفرنسي** " . كما فسر أوربان **(Urbain)** السياسة الهمجية للقوات الفرنسية بقوله: " **إننا الآن، وسنظل مدة طويلة نواجه شعبا لا يتحمل هيمنتنا وهو يبحث بكل ما في وسعه عن أية وسيلة تمكنه من التخلص منا، إن جيشنا هو ملاذنا الوحيد لفـــرض هيمنتنا ما لـــم تواجهنا بعض التعقيدات على الساحة. و مهما يكن، فان مشاعر الاستقلال والتطرف الديني تبقى متربصة بنا** "[1].

لقد كان نمط الاستعمار الفرنسي استيطاني ، يعتمد على إحداث نظام حكم وإقامة سيادة على حساب الدول المستهدفة ، بغرض نشر المدنية في أوساط شعوبها ، لأنها كانت دوما في نظره متخلفة ، ولكن هذه الحقيقة لا يمكن أن تنطبق على الجزائر كما يؤكد ذلك مصطفى الأشرف : " **وجدت فرنسا وجها لوجه أمام مجتمع حسن التنظيم له حضارته الخاصة الشبيهة إلى حد ما بحضارات البحر الأبيض المتوسط ، وهذا المجتمع لا يخلو من عيوب ، ولكن حبه للحرية وتمسكه بالأرض ، وإتحاد كلمته ، وأصالة ثقافته ، وصدق وطنيته، وغزارة موارده الطبيعية ، ونبل مثله العليا ، كل ذلك أعطى البرهان الساطع والدليل القاطع على أصالته والحقيقة هي أن الأعمال الشنيعة والمجازر الرهيبة التي ارتكبها جنود الاحتلال في حق الأهالي ، لا تمت إلى الحضارة أو المدنية وفي وسيلة نقلها بأي صلة** "[2].

فبعد توقيع الداي معاهدة التسليم ، حولت القوات الفرنسية الجزائر إلى مجزرة حقيقية ، فرسم هذا الجيش بوسائله التدميرية أبشع الصور في الهدم وإراقة الدماء ، وهتك الأعراض. وأفضل مثال على ذلك ما قام به دورفيقو **(Duc De Rovigo)** في قرية العوفية عام 1832 ، حيث تم القضاء على القبيلة بأكملها ، بعد أن اتهم بعض أفرادها بقتل أحد أعوان النظام الفرنسي ، فواجهت القبيلة الموت على يد هذا السفاح وبجرم لم تقترفه .

---

[1] -شارل روبير أجرون: **مرجع سابق**، ص13.

[2] - مصطفى الأشرف :**مرجع سابق** ،ص 22.

و مجزرة العوفية تعتبر إحدى صور الإخضاع بالعنف والإبادة ، التي ميزت الاستعمار الفرنسي بالجزائر ولم تتوقف الجرائم الفرنسية عند هذا الحد بل واصلت سلسلة مجازرها ، فكانت هذه الوسيلة الدموية هي وسيلة ترهيب وإخضاع.[1]

وما يمكن أن يترجم هذه السياسة الهمجية والبربرية التي مارستها القوة العسكرية الفرنسية ضد الشعب الجزائري هو التقرير الذي نشرته اللجنة الإفريقية سنة 1833 جاء فيه : " **لقد قتلنا رجالا يحملون منا ورقة أمان ، وذبحنا سكان قرى عن آخرهم لمجرد الشك فيهم ، ثم تبين لنا فيما بعد براءتهم ، لقد حكمنا رجالا يعرفون بالتقوى في البلاد ، ورجالا محترمين لأنه كان لديهم الشجاعة الكافية ليأتوا إلينا ويتعرضوا لغضبنا لا لشيء سوى السعي من أجل إخوان لهم بائسين ، لقد جاوزنا في البربرية هؤلاء البرابرة الذين جئنا لتمدينهم** ".[2]

ومع وصول بيجو إلى السلطة زاد من القوة والبطش ، وشملت المخططاته العسكرية التدمير الشامل للشعب الجزائري بدءا بتدمير الاقتصاد وصولا إلى التدمير الجسدي ، وقد لعب الخونة وأصحاب الضمائر الميتة دورا بارزا في حرب الإبادة التي انتهجها الجيش الفرنسي في الجزائر ، و رسم بها أبشع صور القمع والاضطهاد ، وهذا ما أكده أحد قادة المنطقة في مقاطعة الشرق بقوله : " **ففي وقت قصير وفي مقاطعة قسنطينة أحرز حلفاؤنا المسلمون نصرا عظيما ضد أعدائنا من السكان والمناطق الجزائرية دون أن يدعموا من طرف قواتنا ، اليوم حلفاؤنا يتبعون عمليات جنرالاتنا ،وقد بعثوا إلى الجنرال قائد قسنطينة 500 أذن من الجهة اليمنى** " .[3]

وهذا نموذج حي وملموس للسلوك البربري الذي حمل على عاتقه رسالة نشر الحضارة في إفريقيا ، وعليه فإن التوسع الاستعماري في الجزائر كانت مراحله تتم بروح عدوانية تسلطية وبصبغة استغلالية من اجل الوصول إلى الهدف الحقيقي ، والمتمثل في

[1] _ سليمان الهادف قريري :مرجع سابق ، ص 23.

[2] – علي الشلقاني:**مرجع سابق**، ص20.

[3] _ أحميدة عميراوي :« **السياسة الإدارية الفرنسية** » ، مرجع سابق ،ص 94.

إقامة دولة فرنسية على الأرضي الجزائرية . وعليه فإنه من المنطقي والمتوقع أن ترى السياسة الفرنسية القمعية الجزائريين الذين لم ترحمهم يطالبونها بحقهم في الحرية .

3- القضاء

لقد أثبتت الإدارة الفرنسية من خلال هذا الجهاز الذي كان دوما ' **رمزا للعدالة** '، على أنه وسيلة من وسائل الضغط والقهر ضد الأهالي لإرغامهم على الاستسلام ، ويعتبر قرار 9 سبتمبر 1830 التاريخ الذي قرر فيه القائد العام تأسيس مجلس القضاء ، والذي يتكون من رئيس وقاضيين ووكيل مالكي ، ودعم بقرار 22 أكتوبر 1830الذي أكد الشروع في التنفيذ الفعلي للقرار السابق .

كما تعتبر الأوامر الملكية الصادرة في 28 فيفــري 1841 ، التي ألحقت بأوامر 1842 التاريخ الحقيقي لتأسيس جهاز العدالة الفرنسي في الجزائر، وذلك من وجة نظر الإدارة الاستعمارية ، فإضافة إلى جهاز العدالة المعمول به منذ العهد العثماني ، قامت فرنسا بإنشاء مؤسسات قضائية فرنسية ، متمثلة في محاكم من درجة أولى ومحاكم جماعية إضافة إلى محاكم الاستئناف[1].

وقد عملت هذه المؤسسات بعد أن منحت لها مطلق الصلاحيات في الحكم ، في جميع القضايا التي تتعلق بالجزائريين ، كما لها كل الحق في النظر في جميع أحكام الجنايات والجنح، ولكن وفق أحكام القانون الفرنسي ، كما قام مرسوم 1866 الذي ينص على أن مهمة القضاة المسلمين أصبح مقتصرا على تنفيذ أحكام الصلح فقط ، والنظر في قضايا الأحوال الشخصية (الزواج والطلاق والمواريث).

والحقيقة أن السياسة الاستعمارية من الناحية القضائية كانت تهدف إلى تقليص وإلغاء المنظومة القضائية الجزائرية لصالح المنظومة القضائية الاستعمارية ' حسب رأي **دو قيدون** : " **إن العدالة تدخل في إطار السيادة وعلى القاضي المسلم الانحناء أمام القاضي الفرنسي وعلى كل واحد أن يفهم أننا الغالبون** "[2].

---

[1] _شارل روبير أجرون: **مرجع سابق**،ص378.

[2] – **تاريخ الجزائر CD-ROM، مرجع سابق.**

إن رفض الجزائريين التخلي عن القوانين الإسلامية وامتناعهم عن عرض قضاياهم أمام المحاكم الفرنسية ، دفع بهذه الأخيرة إلى تطبيق قسوة القضاء وروحه غير العادلة على الأفراد الجزائريين حتى وصل بها الحد إلى إصدار أحكام بالسجن ضد أشخاص بتهمة اختلاس العنب[1].

ومن جهة أخرى طالب المستوطنون بضرورة تسليحهم خوفا على مصالحهم ، مطالبين الإدارة بإيجـــاد قانون يزرع الرعب في نفوس الأهالي بسبب ارتفـــاع الجرائم والجنح التي تسببت فيها السنوات العجاف ، فـــأصدر الحاكـــم العام قرارا عام 1879 ينـــص على : « **الأشخاص الذين لا يمكن تقديمهم للمحكمة نظرا لعدم توفر الدليل على إدانتهم، يجب معاملتهم كمجرمين خطيرين، كما تقرر اتخاذ تدابير جديدة منها التغريم الجماعي والعقوبة بالنفي إلى خارج الجزائر** »[2].

والحقيقـــة أن تلاعب الاستعمار الفرنسي بجهاز العدالة لم يقتصر على القوانين فحسب بل تعداها إلى ممثلي هذا الجهاز ، حيث أصبح تعيين القضاة يخضع لشروط ، جوهرها خدمة فرنسا ومصالحها ، هذا بالإضافة إلى المستوى التعليمي والنزاهة وأهمها الوفاء لفرنسا.

أما في منطقة الزيبان نجد أن الدوق دومال أمر بتعين قاضي دائرة بسكرة عام **1844**، وهو الشيخ على بن عمر، شيخ زاوية طولقة الذي انطبقت عليه ولحد كبير هذه الشروط ، حيث صرح قائـــد الدائرة بمناسبة تعيينـــه بقوله : " **أنه ينتمـــي لعائلة عريقة ومخلصة جدا ، وهـــو ذو طبع مشرف وذهنية صارمة وعادلـــة وذو ثـــروة وحســـن تقديـــر** "[3].

كما اعتمدت هذه السياسة القضائية على :

* إثبات تبعية القضاء الإسلامي الجـــزائري للقضـــاء الفرنســـي .

---

[1] _شارل روبير أجرون: **مرجع سابق**، ص431.

[2] –عبد الحميد زوزو : **الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي**،مرجع سابق، ص221.

[3] –عبد الحميد زوزو : **المرجع السابق** ،ص 221.

* تحديد صلاحيات القضاء الإسلامي فيمـــا يقع بيـــن الجزائرييـــن .

* الحرص على كسب العلماء والقضاة كوسيلة لإخضاعهم وامتصاص غضب الشعب واعتماد أسلوب الترغيب والترهيب معهم .

وبهـــذا فإن الاستعمار الفرنسي قد استعمل ســـلاح العدالة لقمـــع الجزائريين ، حيث يعتبر إلغـــاء القانون الإسلامي بمثابة تعدي على حقوق الجزائريين ، ووسيلة ضغط عليهم دفعتهم للثورة ، وقد قامت الإدارة الاستعمارية بإحداث نظام جديد من القضاء في المناطق الثائرة التي وصف سكانها بالطبع العنيد [1].

ولهذا عانت منطقة الأوراس الكثير من هذا القضاء اللاعادل لأن سكانها وجدوا أنفسهم مجبرين على تطبيق عقوبات فاقت الجرم المرتكب من الحبس والغرامة والحجز، وقد أوكلت مهمة إصدار الحكم النهائي للحاكم العام الذي يرسل أوامر مختومة منه بتهمة أن هذا الشخص يمثل خطرا على فرنسا كما فعلت مع الشيخ بوزيان قائد ثورة الزعاطشة وأمحمد يحيى قائد ثورة واحة العامري.

وما زاد الطين بله الأوامر التي تصدرها في حق من يشكل خطرا على السيادة الفرنسية حيث تراوحت أحكامها ما بين السجن المؤبد أو النفي إلى مناطق بعيدة مثل كورسيكا أو كاليدونيا الجديدة أو كايان أو سانت مارغريت ، كما فعلت مع أبطال ثورة الصادق بن الحاج، و واحة العامري ، وقد تحدث بعض العائدين عن حياتهم في المنفي وعن الظروف الصعبة التي عاشوها ومعاناتهم الحقيقية في العيش في بلد أجنبـــي[2].

ويتأكد أن هذه السياسة القضائية كانت وسيلة من وسائل الإخضاع وبسط الهيمنة، خاصة إذا كان القمع الجماعي هو شعارها ، لأنها الوسيلة الأنفع والأصلح للحفاظ على أمن فرنسا واستقرارها والأهم بقائها ، كما أثبت هذا الشعـــار على أنه أداة ردع ورعب وقهـــر لا نظير لها.

[1] –عمار بوحوش : **مرجع سابق** ،ص 62.

[2] عبد الحميد زوزو : **الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي**،مرجع سابق،ص 280.

4. الضرائب

تعتبر الضريبة من بين أهم الأساليب الاقتصادية التي اعتمدت عليها الإدارة الفرنسية بقصد الضغط على السكان وإجبارهم على الخضوع والاستسلام ، ولذلك تميزت الضرائب التي فرضت على السكان بالجور والقسوة خاصة إذا تعلق الأمر بالعائلات الفقيرة ، لأنها لم تكن تتوافق مع مقدورها المالي والمادي ، وذلك بسبب أن قيمتها كانت تقدر بضعفي ما كان يدفعه الأوروبي .

كما يعتبر تنوع الضرائب من بين الخصائص التي يتميز بها النظام الضريبي في الجزائر. حيث صرح عن ذلك رئيس المكتب السياسي للشؤون العربية لمقاطعة الشرق " **لقد تمثل دورنا ، إلى حد اليوم، في التمسك الشديد بالضريبة التي وجدناها سارية أثناء احتلال البلاد ولقد احتفظنا في الشرق القسنطيني بالتنظيم الذي وضعه أحمد باي**"[1].

وهذا دليل على أن النظام الضريبي الفرنسي هو وريث النظام العثماني ، الذي كان يعتمد على استخلاص الضرائب بشكل عيني والمتمثلة في كمية من الحبوب مع مراعاة لأهمية و جودة الأرض ، حيث أن الضرائب في عهد أحمد باي كانت تدفع نقدا وعينا وتقدر بقيمة صاع من الشعير وصاع من القمح [2].

وتتمثل الضرائب العربية فـــــــي تلك الفترة ب :

الحكـــــــور :كراء أرض العزل .

العشـــــــور: ضريبة الحبوب .

الزكـــــــاة : ضريبة الأنعام.

اللزمـــــة : تدفعها القبائل الصحراوية وألغيت من طرف راندون في 18 جوان1858.

---

[1]_شارل روبير أجرون: **مرجع سابق**،ص465.

[2] _ ناصر الدين سعيدوني :«**مذكرة حول إقليم قسنطينة**» ،الأصالة ،عدد 70.71 ،جوان 1979، وزارة الشؤون الدينية ،ص ص11.12

وكانت تتم عملية جبايتها في العهد العثماني بواسطة المحلــة التي يقودها فرسان المخزن ، وقــد كانت الكثير مــن القبائل تتهرب من دفعها ، فأصبحت سببــا في إعلان الحرب ضد النظام العثماني أو الهجــرة إلى المناطق النائيــة والجبليــة [1].

وبعد الاحتلال الفرنسي للجزائر أبقت الإدارة الفرنسية على النظام القديم ولكنها قامت بمجموعة من التعديلات أهمها الأوامر التي قام كلوزيل بإصدارها عام 1830 ومفادها مصادرة أراضي الأوقاف ، التي كانت منتشرة في جميع أنحاء القطر الجزائري حيث كانت هــذه الأراضي تكرى للفلاح مقابــل تقديمه لضرائب عينية آو نقدية ، والتي تسلم للجباة كل آخر سنة ، والمقدرة ب 12 صاعا من القمح و12 صاعا من الشعير علــى الجــابدة أي بنسبــة أقل من50 % مما زرعه الفلاح ، أما الخسائــر التي تتعرض لها المزروعات تكون على حسابه وحــده لأن الإدارة الفرنسيــة كانت تتهمه بالإهمــال .[2]

والحقيقة هــي أن الإدارة الفرنسية كــانت تنتهج مبدأ اللامبالاة بمصــير السكان لأن هدفهــا هو إحكام السيطرة عليهم حيث يقول أحد قادة الجيش الفرنسي حول الموضوع " **ليس هناك أي شيء يدل دلالة قاطعــة على تقدم سيطرتنــا، ســوى ارتفــاع الضريبــة** " .[3]

وبهــذا عمدت الإدارة الفرنسية إلى إثقال كاهل السكان بالضرائب المتنوعة ، فمع مرور الوقت وجد السكان أنفسهم مجبرين على دفع نوعين من الضرائب ، فبالإضافة إلى ضرائبهم التي تعودوا دفعها مــن قبل نقدا ، أصبحوا مجبريــن على دفع الضرائب الفرنسية وقــد قامت الإدارة بتقسيمها إلى قسمين[4] :

- الضرائب المشرعــة بالقوانين الإسلامية أو مــا يعرف بالضرائب العربية (الأهلية) والممثلة فــي : الزكاة ، العشور ، الحكور ، اللزمة.[5]

---

[1] _ أحميدة عميراوي:**من الملتقيات التاريخية الجزائرية** ،مرجع سابق ،ص 48.
[2] _ أحميدة عميراوي: «**السياسة الإدارية الفرنسية** »،مرجع سابق ،116،
[3] ـصالح فركوس :**إدارة المكاتب العربية** ،مرجع سابق ، ص 143
[4] _ Charles Robert Ageron **Les Algériens Musulmans et la France, op.cit**,p 707.
[5] _ عبد الحميد زوزو :**نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830*1900)**،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1984،ص 117.

- الضرائب الخاصة بالقانون الفرنسي، أو الضرائب الأوروبية والتي حددها مرسوم 28 أكتوبر 1847 تدفع من قبل الفرنسيين والأهالي والأجانب وأهمها :

ضريبة المساكن و كانت مقتصرة على البلديات ، ومتمثلة في قيمة الكراء لا تتعدى عشر قيمة السكن وضريبة الخدمات ، ضريبة المناجم ، ضريبة خاصة بغرفة التجارة وضريبة عائدات قنوات الـــري [1].

والواقع أن سبب تمسك الإدارة الفرنسية بالضرائب العربية يعود إلى الأهمية البالغة ،حيث صرح بذلك المندوب **جاروه** فـــي تقرير لـــه أمام مندوبية المعمرين يوم 13نوفمبر 1844 " **إن مسألة الضرائب العربية تأخذ أهمية من الدرجة الأولى لأن هذه الضرائب تشكل أحد مصادرنا الأساسية ، وهي تقدم من 17 إلى 18 مليون فرنك من أصل 54 مليون فرنك** " [2].

وأمـــام هذا الوضع القاسي الذي أصبح فيه السكـــان مجبرين على دفـــع ضرائب أملاكهم ، فقد وصل معدل ما يدفعه الفرد عند نهاية الستينات من القرن التاسع عشر إلى 75.8 فرنك مقابل 1.5 فرنك يدفعه الفرد الأوروبي ، وحجـــم هذه الضرائب لا يفسر وحده المأساة الحقيقية لأن عملية جبايتها كانت أدهى وأمر حيث وصل الأمر ببعض الأفراد إلى بيع أسقف منازلهم بسبب عملية الحجز التي كانت فرنسا تتبعها للضغط على أفراد العائلة بالتسديد وبيع كل ما يملكون [3]. كما أصبح لا وجود للأهالي في نظر الإدارة الفرنسية فيما عدا دفع الضرائب.

وفيما يتعلق بالسياسة الضريبية الفرنسية فقد بدأ تطبيقها في منطقة الجنوب القسنطيني سنة 1844 ، بعـــــد احتلال منطقة الزيبان ، حيث أجبر السكان على دفع كميات من الحبوب . وقد بلـــــغت قيمة ضريبة العشور 4440 فرنك .

---

[1] _ أحمد توفيق المدني : **مرجع سابق** ،ص 284

[2] _ صالح عباد :**المعمرون والسياسة الفرنسية في الجزائر 1870.1900**، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،1984، ص 119

[3] _ جمال قنان :« **التوسع الاستعماري ظاهرة عدوانية تسلطية واستغلالية** »،أعمال الملتقى الدولي حول الاستعمار بين الحقيقة والجدل السياسي ،جويلية ،منشورات المجاهدين ،2007،ص 64.

كانت الإدارة الفرنسية تصدر قرارات عشوائية لم تكن تخضع لدراسة حالة السكان ووضعيتهم القاسية ، بل عمدت إلى إلزام السكان بدفع مبالغ طائلة وهذا ما رفضه الأهالي لأن الضرائب المفروضة عليهم كانت تفوق إمكانياتهم المادية [1].

ورغم علم السلطات الفرنسية بتدهور محصول التمور بسبب الأزمات المتعاقبة على الزيبان منها ، زحف الجراد سنة 1845 ، و موجة الجفاف التي شهدتها المنطقة سنة 1847 ، والتي دامت ما قارب 3 سنوات ، فعجز الفلاحون في المنطقة عن إنتاج قوت يومهم[2]. كما تضاعف سعر القمح ليصل إلى 40 فرنكا والشعير إلى 25 فرنكا .

و في سنة 1848 أصاب النخيل مرض أطاح بالإنتاج إلا أن الضرائب المحصلة عام 1848 بلغت 1446350 فرنك[3] ، كما تقرر في شهر مارس 1849 الزيادة في الضرائب المفروضة على بساتين النخيل والتي قدرت بـ15 إلى 45 سنتيم أي ضعفي ما كانت عليه ، لهذه الأسباب جاءت دعوة بوزيان للأهالي إلى الامتناع عن دفع الضرائب لأن فرنسا لن تتوقف عند هذا الحد ، بل إنها ستقوم برفع قيمتها إذا كان هناك استجابة[4].

كما أن هذه السياسة ساهمت وبشكل كبير في إصابة المنطقة بمجاعات قاسية أهمها مجاعة 1867 ، والتي كانت نتيجة الجفاف الذي حل بالمنطقة ، حيث أصبح الفلاح لا يستطيع أن ينتج ما يضمن له قوت يومه ، فبمرور الوقت تضاعفت مأساة الفلاحين ، هذا ما اضطرهم إلى الهجرة لمناطق تتوفر على بعض الينابيع ، ومع حلول عام 1866 بدأت أسراب الجراد تتوافد لتزيد الطين بله ، وليتحول الوضع من سيئ إلى أسوأ .[5]

---

[1] _ عبد الحميد زوزو : **الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي**،مرجع سابق،ص 233.

[2] _ أندري برنيان وآخرون : **مرجع سابق** ،ص ص 336،337.

[3] _صالح فركوس :**إدارة المكاتب العربية** ،مرجع سابق ،ص312

[4] _ جلال يحيى: **تاريخ المغرب الكبير للعصور لحديثة وهجوم الاستعمار**، ج3، دار النهضة العربية، بيروت، ص 184
انظر أيضا، Abdelhamid Zouzou : , **op_cit ,** p 236.

[5] _ يحيى بوعزيز :**موضوعات وقضايا في تاريخ الجزائر** ،دار الهدى ،2004،ص 454.

وقد استغل لا فيجري (**La vigerie**) مجاعة سنة 1867 ، والظـــروف الصعبة التي نتجت عنها ليشن حملة تبشيرية قوية في المنطقة أسفرت على إقامة بعض الجمعيات التبشيرية في الزيبان منها [1] ، جمعية الآباء البيض والأخوات البيض سنة 1867 و أخوات **القديس فانســـون دي بول بنات الإحسان (Le Sœurs de st Vincent de Paul)** سنة 1868 .[2]

و قد أعتبر المبشرون بمثابة جيش ثاني ، لأن هدفهم كـــان مقاومة الـــدين الإسلامي الـــذي كـــان المحـــرك الأقـــوى للجهـــاد[3].

ومن قسوة ما عاش سكان المنطقة أصبحوا يطلقون على هذه السنـــوات " **بسنوات الشر** " ، ولعل ما زاد في تفاقم هذه الأزمة هو حشد العرب في محتشدات لعزلهم عن الأوربيين خوفا من انتشار المرض[4] ، و استمر الحال على وضعه إلى غاية1868 حيث عم بلاء الطاعون [5] .

ونـــفس الشيء يمكـــن ملاحظته فـــي واحة العامري حيث عمدت الإدارة الفرنسية إلى سياسة ضريبيـــة قاسية أوكـــلت مهمة استخلاصها إلى القايد بولخراص ، الذي مارس بهـــذه السلطة كل صور السلب والنهب والاستنزاف ، وقـــد عبرت جريـــدة (**La Vige Algérienne**) الصادرة في 23 مارس 1882 ، عن ثقل هذه الضرائب بمقال بعنوان صرخة إنذار بقولها : " **لن نكون مبالغين إذا قلنا أنه لو طبق هذا الأسلوب الإستنزافي ، على بلد أوروبي ،ولو كان من أغنى البلدان ،فإن مرور سنوات قليلة يكفي لإحلال البؤس التام به** " [6].

_[1] المهدي بو عبدلي :« **الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الشعب له في المجال الروحي** »،الأصالة ، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ،الجزائر ، ع8، 1978،ص 312.

_[2] محمد الطاهر وعلي : **التعليم التبشري في الجزائر 1830 – 1904** دراسة تحليلية تاريخية ،،منشورا ت دحلب ،1997، ص 42

_[3] محمد الطاهر وعلي: **مرجع سابق** ،ص 36.

_[4] Djilali Sari :' op- cit .p 157.

_[5] مصطفى حداد :« **المقاومة الجزائرية في جبال الأوراس** ، ص 167.

_[6] Charles Robert Ageron **Les Algériens Musulmans et la France, op_cit**,p 258.

وعليــه فإن السياســة الضريبية القاسيــة التي اتبعتهــا الإدارة الفرنسيــة في المنطقــة كانت مـــن الدوافع الحقيقيــة لإعلان الثورة ضدها وكوسيلــة رفض لــهذه السياسة . كما صرح بذلك لويس بلانكي بقولــه : " **إن فرنسا بسياستها الضريبية في مقاطعة قسنطينة أصبحت نائمة على بركان** " [1].

و يقول **فاران** فــي هذا الــمعني " **يجب أن نستولي على مــرا تعهم ومراعيهــم ونثقل كواهلهم بضرائب مــرهقة حتى تتعذر عليهــم الحياة ، عنــد ذلك إمــا أن يثوروا ، أو ينخرطــوا فــي جــيش فــرنسا للدفــاع عنهــا** " [2].

---

[1] _ أحميدة عميراوي :« **السياسة الإدارية الفرنسية** » ،مرجع سابق ،ص 104.

[2] _ سليما ن الهادف قريري :**مرجع سابق** ،ص 23.

المبحث الثاني : العــلاقة الدينية

1 . دور الطرق الصوفية

لقد برهنت الطرق الصوفية على مساهمتها الكبيرة والفعالة في تدعيم ومساندة ومؤازرة الانتفاضات الشعبية بالمنطقة وذلك من خلال العديد من الأشكال سواء عن طريق الدعاية لها أو الانخراط فيها . ولهذا أصبح الأوروبيون ينظرون إلى هذه الطرق على أنها جماعات سرية ذات مآرب سياسية [1].

فالزوايا بهذا المفهوم الأوروبي أصبحت تشكل خطرا على الفرنسيين لأنها لم تعد مكانا لتحفيظ القرآن أو مأوى للمحرومين ، ولكنها تحولت إلى مراكز للثورة ، لأن الزاوية وعلى مر المراحل التاريخية للمجتمع الجزائري استطاعت أن تحافظ على قيمه العربية والإسلامية ، فقد كانت هذه الأخيرة حصنا منيعا ضد الشوائب الدخيلة على عادات وتقاليد الشعب الجزائري ،[2] وهذا ما يفسر حملها لراية الجهاد بعد دخول المستعمر، وقد تفطنت إدارة الاحتلال لخطورة هذا التنظيم ، ولمست دوره الهام في تأجيج نار المقاومة وقيادتها رغم غموض تنظيمها[3].

وما يؤكد ذلك هو التقارير والدراسات التي قام بها قادة الاحتلال حول تنظيم الزوايا ونفوذها حيث يقول الباحث الفرنسي **إمري** : " **بالرغم أن لهذه الطرق الصوفية صيغة دينية، فإنها كانت بالنسبة لدورها الاقتصادي والاجتماعي أشبه بأحزاب سياسية تستند إلى نظام غامض وتدريج محكم إنها منظمات سرية تؤجج العداء ضدنا** "[4].

أما النقيب دونوفو(**Deneveu**) ، فقد وصف الأشكال التنظيمية في الزاوايا بقوله : " **إن الزوايا هي مراكز للتآمر وإشعال فتيل التمرد ، وهي معادية للوجود الفرنسي وتحظى بكثير من الاحترام بين الأهالي**" كما وصفها أيضا **قائلا** : " **إن تجمعات الإخوان هي هيئات**

---

[1]– شارل روبير أجرون: **مرجع سابق**، ص 549

[2]_عميراوي أحميدة: **من الملتقيات التاريخية الجزائرية** ،مرجع سابق ، ص 32.

[3]- صالح فركوس :**إدارة المكاتب العربية** ،مرجع سابق ،ص 9

[4]_محمد العربي ولد خليفة : **مرجع سابق** ، ص55.

يكون أعضاؤها هيكلا مترابطا تم تشكيله من قبل ، تسكنه طاقة هائلة وتدفعه إدارة واحدة تجعله يتحرك بطريقة جماعية" [1].

وهذا ما جعل الضباط الفرنسيين يعمدون إلى شلها وتحطيم بينتها ، وكان ذلك عن طريق ضربها في مواردها المالية ، حيث تمكنوا من معرفة المنابع المادية لهذه الزوايا والتي كانت في الغالب متمثلة في الزيارات والهبات والأوقاف ، فأنصب اهتمامهم على تجريدها من تلك الموارد وذلك بهدف جعلها مرتبطة به [2].

و رغم هذه الآراء إلا أن هناك من يرى أن الزوايا لم تكن تشكل خطرا كبير كما يرى البعض حيث تحدث ماك ماهون (**Mac Mahon**) [3] حول هذا الموضوع في 11جانفي 1874 بقوله : " **لعلنا نبالغ في تحميل الزوايا مسؤولية اندلاع الانتفاضات ونشوب الحرائق ووقوع الكوارث،إن معرفتنا بحقيقة الإخوان لا ينبغي أن تدفعنا إلى فرض الرقابة للتضييق بها على كل تصرفاتهم، نعم إن للطرق الدينية نفوذا كبيرا ولكن ليس إلى الحد الذي يدفعنا للغلو في تقدير أهميتها ووزنها** "[4].

ولكن الحقيقة التي أصر المؤرخون الجزائريون على إيضاحها هي الدور الهام الذي لعبته الزوايا في قيادة المقاومة الشعبية ضد العدو الفرنسي ، على الرغم من المحاولات الفرنسية للتشكيك في هذا الدور.

إلا أن الزوايا استطاعت " **أن تحقق انتشار جغرافيا وزمنيا كبيرا، وذلك بسبب انضمام فئات المجتمع وبمختلف مراتبهم وأجناسهم إليها فانضم إليها الأشراف والأعيان وحتى العامة من الناس** "[5].

---

[1] _محمد العربي ولد خليفة: **المرجع السابق**، ص 60.

[2] _عبد القادر بوعرفة: **مر جع سابق** ، ص 109.

[3] _ هو Marie Edme Patrice Maurice ولد في 12 جوان 1808 ب Sully EN Saâne ، قدم إلى الجزائر من سنة 1830 كملازم أول في مجلس القيادة ،ثم نقيب سنة 1833، أصيب في أكتوبر1837 إثر احتلال قسنطينة ،بقي في مجلس القيادة إلى غاية 1840،وفي سنة 1848 أصبح جنرال ، وفي فترة 1852-1855 عين قائد على مقاطعة قسنطينة، شغل منصب جنرال ولمدة 40سنة ، تقلد منصب مارشال ،عندما بلغ من العمر 51سنة،وفي 24 ماي 1875 عين كرئيس للجمهورية ، وفي 1864 عين حاكم عام للجزائر ،توفي في 17 سبتمبر 1893.أنظر: Jeanne et Andre Brochier :,**op.cit** , p 207.

[4] _شارل روبير أجرون: **مرجع سابق**، ص 562.

[5] _أبو القاسم سعد الله : **تاريخ الجزائر الثقافي**، مرجع سابق ، ص 169.

لقد كانت الزوايا في الجزائر تشكل شبكة بسبب انتشارها عبر القطر الجزائري ، وأغلبها كان منتشرا في الأرياف ، وينتسب الكثير منها إلى القادرية و الدرقاوية و الرحمانية التي انطلقت منها الانتفاضات ضد الاحتلال بقيادة شيوخها ومريديها وتعتبر الطريقة الرحمانية من أقوى الطرق الصوفية في الجزائر، حيث أنها عملت منذ تأسيسها على تقديس الجهاد والثورة ضد الغزاة وربطه بالواجب الشرعي[1].

وقد وصف أجرون هذه الطريقة بقوله : " **الرحمانية تبدو في شكل جمعية قوية بل في صورة حلف سياسي، كما نسب إليها حقا أو باطلا وقوفها وراء جميع الحركات المتمردة على النظام، ما من انتفاضه وقعت في الجزائر إلا وكان الإخوان التابعون لمختلف الزوايا قد لعبوا فيها دورا حيويا** "[2]. وتحدث الجنرال (**Hanoteau**) من جهته عن نفوذ الرحمانية حيث قال : " **من غير المسموح به أن نخطئ في تحديد طبيعة التقدم الذي عرفه نفوذ الرحمانية، حيث يعود سببه إلى ارتداد مشاعر الاستقلال ضد الهيمنة الأجنبية، إن الروح الوطنية ، التي لم ترض باستسلام غير مشروط تحاول دعم طموحاتها بسند جديد اعتقدت أنها قد وجدته في المجتمعات السرية** "[3].

كما شرح (**Léon Roches**) سنة 1844 أهمية قادة الطرق الصوفية في تفجير الانتفاضات الشعبية بقوله : " **يتسرع كثير من الناس إلى القول بأن العرب ينفرون من الأشراف ...هذا اعتقاد خطأ ، والحقيقة أن ارتباط الأتباع بأسيادهم لا يزال قائما, وما انتفاضة الجزائر برمتها ضد فرنسا إلا استجابة لنداء أولئك الأشراف**"[4] .

أما بالنسبة لمنطقة الزيبان فإن كل زواياها تنسب إلى الطريقة الرحمانية وأشهرها: زاوية بوزيان وعبد الحفيظ الخنقي وصادق بن الحاج ، وزاوية طولقة وزاوية الشيـــخ

---

[1] _عبد القادر بوعرفة: **مرجع سابق**، ص 100.

[2] _شارل روبير أجرون: **مرجع سابق**، ص 550.

[3] _ شارل روبير أجرون: **المرجع السابق** ص 552.

[4] _ Charles robert AGERON : **Les Algériens Musulmans et la France**, op . cit , p8

المختار الجيلاني بأولاد جلال[1].

وقد أرجع عبد الحميد زوزو كثرة الزوايا في المنطقة إلى كثرة رجال الدين بها من ناحية والموقع الجغرافي من ناحية أخرى بقوله : " **أما القنطرة بحكم موقعها الجغرافي كانت مركزا حضاريا ومحطة ترحيل متصلة بالقبائل المجاورة ، وكانت منطقة عبور بني فرح ، أولاد زيان ، وبني معافة ، من التل والصحراء كما أنها كانت مقر إقامة رجال الدين الذين تجاوزت شهرتهم وسلطانهم الحدود المحلية** "[2].

كما أثبتت الطريقة الرحمانية في الزيبان توفرها على طاقة معنوية عظيمة في عدة مناسبات أهمها ثورة الزعاطشة 1849 وثورة الصادق بن الحاج 1858 وثورة العامري 1876 ، وإن انتماء هؤلاء القادة الرحمانيين إلى نفس النطاق الجغرافي ، كما أن التقارب الزمني لهذه الثورات ، يدل على أن هناك علاقة تجمعهم خاصة إذا علمنا أن الهدف كان واحدا تمثل في رفع راية الجهاد .

وعليه فإن حجم التضحية التي قدمها أنصار الطريقة قد بلغ أوجه ، ولهذا أدرك العدو مدى روح التضحية التي يمكن للتربية الإسلامية أن تؤسسها في النفوس ، ونظرا لهذه الأهمية فقد اتبعت السلطات الاستعمارية مع هذه الطريقة وغيرها أسلوب الترغيب والترهيب لشل دورها وذلك من خلال :

- معاقبة القادة الذين يرفضون التعامل معها ولا يلتزمون الصمت والحياد تجاه سياستها القاهرة .
- الإساءة إلى سمعة بعض الشيوخ وذلك بمنحهم تعويضات مالية.
- اعتبار الزوايا بؤرة تعصب ولا بد من مراقبة نشاطها وضرورة استبدالها بالمدارس الفرنسية.

وقد نجـــح الاستعمار الفرنسي بهذا الأسلوب إلى حد بعيد ، في تحقيـــق أهدافه .

---

[1] _هذه الزاوية شيخها هو سي علي بن عثمان الذي تعاون مع فرنسا وأظهر لها الطاعة والخضوع وتعتبر الزاوية الرحمانية الوحيدة في المنطقة التي أظهرت هذا الموقف المتخاذل، هذا التخاذل التي اعتمدت عليه فرنسا في إحلال القطيعة وزرع العداء إلى غاية وصول هذه الزوايا إلى الصراح فيما بينها، عبد الحميد زوزو : **الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي**، مرجع سابق، 356.

[2] _ عبد الحميد زوزو : **المرجع السابق** ص 77.

2.الـــوازع الديني

إن المقاومة التي أبداها الجزائريون واستماتتهـــم في الدفـــاع عـــن بلدهم مردها إلى الدور المميـــز و الفاعـــل الذي لعبه الزعماء الدينيـــون في استنفـــــار الهمـــم وإحياء الحماس الديني في نفوسهـــم ، إضافة إلى نشـــر روح الصمود والإصـــرار على النصر أو الاستشهـــاد في سبيل الله ، وهذا ما جعل المقاومـــة الشعبية للزيبان في القرن التاسع عشر تتسم بطابع الحرب الجهادية ، خاصة وأن مفهوم الوطنية المتعارف عليه لم يكن قد تبلور حيث كان الجزائريون ، في تلك الفترة لا يفرقون بين مفهوم الوطن والدين خاصة إذا تعلق الأمر بهجـــوم مسيحي صليبي حاقد[1].

و هذا ما يفســـر عجز القادة العسكريين الفرنسيين في فهـــم ذاك التعصب الديني الذي نعت به المجاهـــدون ، وأن عجز فرنسا عـــن تقديم مبررات لسبب هـــذه الثورات هو عدم قدرتها على التمييز بين الديـــن والتعصب ، لأن الوطنية والدفاع عـــن أرض الأجداد والجهـــاد كان السبب الأقوى لاندلاع تلك الثورات . والذي لم يكـــن في حقيقة الأمـــر سوى التمسك بالقيـــم الدينية والحضارية العربية الإسلاميـــة وهي القيـــم التي سوف يستمـــد منها الشعب الجزائري قوتـــه وعزيمتـــه ، طوال مسيرته النضالية [2].

لقد كـــان هذا التعصب الديني كمـــا يدعـــون سببا في فشـــل الأساليب الاستعماريـــة في الإبادة والتنصيـــر رغـــم حشد الإدارة الاستعمارية كـــل الإمكانيات لذلك وقـــد أكد الدكتور أبو القاسم سعد الله في تعريفه للتعصب الديني الـــذي ميز المقاومـــة الشعبية حيث يـــرى بأنه يحمل المعنى الدينـــي المحض أي الجهـــاد في سبيل الله وطلب الشهادة أمـــلا في العيش الكريم وابتغاء الحريـــة[3].

---

[1] – شارل روبير أجرون: **مرجع سابق**،ص 295.

[2] –عبد الحميد زوزو : **الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي**،مرجع سابق،ص 162.

[3] _أبو القاسم سعد الله:**الحركة الوطنية الجزائرية**، ج2، مرجع سابق، ص92 .

ويعتبر البعد الروحي الـــذي وحـــد السكان ودفعهـــم لمحـــاربة العـــدو الفرنسي هـــو الشعـــور الذي كان سائدا لدى كل الشعب رغم الإصرار الفرنسي على نكرانها ونعتها التعصـــب الديني" **إن لقب شريـــف كفيل بأن يؤثـــر في القبائل ويقـــوم بدفعها إلى الثورة** "[1].

فالجهاد كـــان صبغـــــة رجال ملهمين حقـــا و لكن بسواعد الشعـــب ، وســـبب ارتباط المقاومـــة المسلحة بشيوخ الزوايا ومقدمي الطـــرق يعـــود إلى أن معظمهم علمـــاء دين ، كما أنهم كانوا يحتلون مكانة خاصـــة في المجتمع الجزائري لأنهـــم ينتمون إلى الزوايـــا ،التي أدرك الناس مكانها و وعوا دورها ، وقـــد عبر حمدان خوجة عـــن هذا الموضوع بقولـــه : " **إن شيوخ الطرق الصوفية أمروا جميع المواطنين الجزائريين أيـــام الغزو الفرنسي بالتعبئة العامة وبالوقوف صفـــا واحد لمقاومة الغزاة المحتلين**"[2] .

إن المكانة والاحترام التي كان يحظى بها هؤلاء القادة ، ليست بسبب ثروتهم أو سلطتهم، ولكن حصولهم على تلـــك المهابة كان بواسطة ورعهم ودعوتهم للخير والترغيب في المعروف ، والنهي عن المنكر من جهـــة ولتنظيمهم الداخلي الجيـــد المتفتـــح علـــى المجتمع الجزائري ، وعلاقاتهم الجيـــدة مـــع الناس من جهـــة أخـــرى .[3]

كمـــا أن القـــادة العسكريين كانـــوا على الدوام ينظرون إلى الإســـــلام على أساس أنه الموجـــه الأول والأقوى للانتفاضات الشعبيـــة ، لذلـــك عمـــدوا إلـــى التضييـــق على العلماء والقادة إلى أن وصل بهم الأمـــر لمنعهم من أداء فريضة الحـــج ، وهـــذا ما قـــام به الأميرال **دي قيدون** سنوات 1873، 1874 ، 1879 بحجـــة دعوتهم الناس إلى الامتنـــاع عن حـــرث الأرض وزراعتها حتـــى لا يستـــفيد منها الكفـــــار[4].

لقـــد فرضت رقابة صارمة التي فرضت على شيوخ الزوايا ، كان فيهـــا نوع كبير مـــن المبالغة والتعسف ، حيث أصبح لا يمكنهم إحيـــاء مناسبـــة دينيـــة أو تنظيـــم

---

[1] _صالح فركوس :**إدارة المكاتب العربية** ،مرجع سابق ، ص 71.

[2] _نفس المرجع ، ص 51.

[3] _محمد العربي ولد خليفة :**مرجع سابق** ، ص 55 .

[4] _ عبد القادر خليفي : «**دور الطرق الصوفية في المحافظة على الهوية الوطنية** »، الملتقى الوطني الأول والثاني حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية ، وزارة المجاهدين ، الجزائر ،2007،ص 141.

"**وعدة** " دون التفاوض مــع الإدارة الفرنسية للحصول على إذن ، وقد كانت هذه الأخيـــرة تضع شروطا عديدة منها منع ضــرب البارود مع دفعهم لبعــض الرسوم [1].

وقــد تمثلت قوة الــردع الفرنسية لهــذه الروح الجهادية في عمليات القتــل كما حدث مع بوزيان قائــد ثورة الزعاطشة و يحى بن محمد قائد ثورة العامري أو النفــي كمــا حدث مع الصــادق بــن الحاج قائــد الانتفاضـــة الكبرى بجبــل أحمر خدو.

لقد تعمدت نفيهم إلى بلدان غير إسلامية لأنها كانت ترى في نفيهم لبلد إسلامي خدمة لهــم ومــن ثمــة لا بد من قلع هؤلاء القادة مــن جذورهــم بنفيهــم إلى بلــدان أوروبيــة.

وعلى الرغم مــن كل هــذا فقد برهنت السياســة الفرنسيــة كعادتها على فشلها وذلك بسبب تجذر روح المقاومة في الشعب الجزائري ،رغم محاولاتها المتعددة في القضاء عليها .

4 _.صالح فركوس :**إدارة المكاتب العربية** ،مرجع سابق ، ص 84.

المبحث الثالث :العلاقة الاجتماعية

1. دور المكاتب العربية

تعتبر مشكلة إدارة الأهالي من بين أهم الأسباب التي حرصت الإدارة الفرنسية على تجسيدها ، فقد حاولت إيجاد حلقة وصل بين القيادة العسكرية والجزائريين لأن قوات العدو عندما حاولت أن تتوغل في الجزائر قصد بسط السيطرة والنفوذ على مختلف المناطق ، واجهتها صعوبات جمة بسبب رفض السكان التعاون معها ، لأن الإدارة الفرنسية كانت تنقصها معلومات تخصهم ، فتمت الاستعانة ببعض الشخصيات المحلية ذات النفوذ الكبيرة ولهذا قررت السلطات الاستعمارية إنشاء هيئة رسمية في سنة 1833 تتكفل بمراقبة السكان وجمع معلومات عنهم [1] .

ولتحقيق هذه الغاية عملت على تسهيل عملية الاتصال برؤساء القبائل والتفاوض معهم ، وإقناعهم بقبول مبدأ التعاون مع فرنسا مقابل التزام هذه الأخيرة باحترام أساليب عملهم والعادات والتقاليد الموجودة عندهم ، وتوفير الأمن والطمأنينة في مناطق نفوذهم وحماية مصالحهم ، وأطلق على هذه الهيئة اسم " **مصلحة الشؤون العربية** " بقيادة لاموريسيير Lamoriciére [2].

وقد أثبتت هذه الهيئة عجزها عن تسيير شؤون الأهالي ، ومرد ذلك إلى اهتمامها بمحاولات إخضاعهم وبسط النفوذ الفرنسي عليهم . كما تبين أن الشخصيات المختارة لم تقم بدورها كاملا في تزويد الإدارة الفرنسية بالمعلومات الضرورية ، فلهذا سعت هذه الأخيرة إلى إيجاد أسلوب جديد ، وذلك بعد التزايد الكبير لعدد العملاء ، فصدر مرسوم وزاري في 1 فيفري 1844 يعلن عن تأسيس **المكاتب العربية** ، كما وضع لها هياكلها الإدارية بحيث أصبحت هذه المكاتب هي الوسيلة الأنجع التي سيعتمد عليها الجيش الفرنسي لإخضاع الجزائريين،والقضاء على ما بقى من مؤسسات الدولة الجزائرية . [3]

---

[1] _ صالح فركوس :**إدارة المكاتب العربية** ،مرجع سابق ، ص ص 12، 13.

[2] _ Foucher (v) **: les bureaux arabes en Algérie**, paris, 1858, pp12،13.

[3] _صالح فركوس : **المرجع السابق** ، ص 13.

و سنورد بعض التعريفات لهذا التنظيم الإداري الجديد ، فقد عرفها النقيب **(hugonnet)** : " **المكتب العربي هو حلقة وصل بين الجنس الأوروبي الذي استوطن بالقطر الجزائري منذ 1830 والجنس الأهلي والذي يقطــن البلاد من قبــل ولا يـــزال إلى الآن**[1].

أما **شارل ريشارد (charle Richard)** فعرفها بقوله " **إن مؤسسة المكتب العربي وسيلة عمل وهي أساس تفكيرنا، قبل أن تكون وسيلة لتعبيرنا** "[2].

أما فيما يخص القيادة العسكرية فقد تم تأسيس إدارات فرعية لها على مستوى المقاطعات الثلاث الموجودة بالجزائر ، وفي كل مقاطعة توجد وحدات للمكاتب العربية من الدرجة الأولى ، و وحدات ثانوية من الدرجة الثانية . وفي سنة 1865 وصل عدد المكاتب العربية إلى 46 مكتبا ،منها 15 مكتبا في عمالة قسنطينة ، وكان يشرف على هذه المكاتب حوالي 200 من الضباط على مستوى المقاطعات الثلاث[3].

وقد كانت المؤسسة العسكرية الفرنسية تهدف من وراء إنشاء المكاتب العربية إلى :

- التركيز على تحقيق التهدئة الدائمة في أوساط القبائل وذلك بمراقبتها وحراسة المشبوه فيهم.
- إخضاع القبائل للسلطة الفرنسية.
- مراقبة رجال الدين والعمل على قمع الثورات ، حيث أن مراقبة هؤلاء الأشراف الذين كانوا في الأصل مجموعة من الطلبة تربطهم علاقة واحدة أو زاوية واحدة ، ولهذا قام الضابط **دنـــــفو** بإعداد دراسة تستهدف معرفة أصول وطرق انتماءات هؤلاء الأشراف ، الذين كانوا دائما محل إزعاج للعدو ومعرفة العلاقة التي تربط هؤلاء الثوار وهدفهم . كما فرضت مراقبة دائمة ومستمرة على المساجد والزوايا وكل اللذين ينتمون إليها [4].
- مساعدة القادة العسكريين بالبلاد في إدارة الأهالي.

---

[1] _شارل روبير أجرون: **مرجع سابق**، ص 249.

[2] _شارل روبير أجرون : **المرجع السابق** ، ص 19

[3] _ collot clod : **les institution de L'algérien durant la période coloniale (1830- 1962)**, paris, 1987, p38-39.

[4] _صالح فركوس :**إدارة المكاتب العربية** ،مرجع سابق، ص 61.

- استخلاص الضرائب.
- ترسيخ فكرة الجزائر فرنسية[1].

ومن أجل تحقيق هذه الأهداف أعطيت لهذه المكاتب كل الإمكانيات المادية وذلك من أجل أن تقوم بنشاطها الفعال ، وتسير مهامها في أحسن الأحوال . ونظر للأهمية العسكرية للمكاتب العربية ، فقد عملت المؤسسة العسكرية الاستعمارية على توسيع مهامها ليزداد نفوذها حتى أصبحت هذه المكاتب هي المركز الحقيقي للسلطة ، كما أنها أصبحت تكون إدارة مستقلة عن الجيش الفرنسي ، وأصبحت المهمة الرئيسية لرؤساء المكاتب بصفتهم أحد عناصر السلطة العسكرية ، هي جمع المعلومات التي تخدم الجيش الفرنسي، وتساعده على مد نفوذه في البلاد وتتمحور طبيعة هذه المعلومات حول.

- إحصاء الأراضي الزراعية ودراسة الموارد المائية لها.
- دراسة التنظيمات القبلية.
- تزويد موظفي الغابات بمعلومات تتعلق بهذه الثروة.

ومع مرور الوقت تطور دور المسئولين في هذه المكاتب من جمع المعلومات ومراقبة القبائل إلى تعيين وخلع الزعماء المحليين من العرب ، كما وصلت مهامهم إلى جهاز القضاء وذلك بعدة أشكال أهمها:

- استصدار قرارات في المسائل الإدارية والقضائية .
- القيام بدور القضاة والإشراف على تنفيذ الأحكام .
- فرض العقوبات والغرامات على الجزائريين .[2]

وعلى هذا الأساس ، فإن المكاتب العربية أصبحت هي الوسيلة الأكثر فعالية التي استطاع من خلالها ضباط المقاطعات والدوائر والنواحي من فرض سيطرتهم ، حيث قال عنها **ياكون (yacono) : " إن سلطة رؤساء المكاتب كانت في بعض الأحيان تتجاوز وتفوق السلطات التي يمارسها أعضاء الحكومة نظرا للإمكانيات التي كانت تحت تصرفهم**

[1] _صالح فركوس : **المرجع السابق**، ص 20.

[2] _ عبد الحميد زوزو : **الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي**، مرجع سابق، ص ص 219-221.

من ميزانيـــة وعساكر وموظفين إذ تمتعوا بمطلق الحرية في فرض سلطتهم على الأرض والسكان معا "[1].

وقد ذكر الكولونيل(**pein**) حاكم مقاطعة باتنة (1859، 1863) عن الرفاهية المترفة وحرية التصرف التي كان يتمتع بها رؤساء هذه المكاتب واصفا فترة حكمه على أنها أسعد أيام حياته " **أنا بدوري كنت ملكا وكنت أتمتع بحرية لا حد لها لأن كبريات القبائل من فرسان الحضنة والقبائل الرحل من أولا نايل لا تعترف بقائد غيري، ولا تطيع سواي** " [2].

كما لم يقتصر دور هذه المكاتب على ما سبق ذكره فقط ، بل تطور دورها إلى مراقبة رجال الدين والعمل على قمع الثورات الشعبية ، هذا الهدف الذي كان من بين أقوى العوامل المساهمة في القضاء على هذه المؤسسات . ومع مرور الزمن آتهم ضباط هذه المكاتب بأنهم هم من كانوا يعملون على التحريض على تفجير الثورات المحلية وذلك في محاولة منهم للظهور بمظهر المنتصر[3].

كما اتهموا أيضا بأنهم كانوا يبحثون عن الفوضى بشن الغازات على القبائل دون أي مبرر للحصول على ترقية في المناصب وقد اعتمد اتهام هذه المكاتب على أن فترة حكمهم من سنة 1844 إلى سنة 1870 كانت هي فترة المقاومة الشعبية .وقد نقص لهيب هذه الثورات بزوال هذه المؤسسات[4].

كما جاء في جريدة **(indépendant)** حول هذا الموضوع مايلي : " **لقد تحالفت المكاتب العربية مع الزعماء الأهالي للدفاع بالطرق الشرعية وغير شرعية، عن امتيازاتهم ونفوذهم ومستثمراتهم فلا هم فرنسيون ولا هم عرب وإنما هم تشكيلة سياسية** "[5].

ولهذا فإن هذه المكاتب أصبحت لا تشكل سوى دوائر سلطوية لا جدوى منها. وأمام هذه الاتهامات التي وصلت إلى حد تحميلها مسئولية كل ما يحدث ، وكرد فعل ومن أجل استيعاب هذا الغليان الذي ساهم المستوطنون في تأجيج لهيبه .

---

[1] _ collot clod : **op cit**, p 40

[2] _ عبد الحميد زوزو : **الأوراس إبان فترة الإستعمار الفرنسي**،مرجع سابق، ص 204.

[3] _ Agerom **: op cit**, p 21.

[4] _ صالح فركوس **:إدارة المكاتب العربية** ،مرجع سابق ، ص 411.

[5] _ شارل روبير أجرون: **مرجع سابق**، ص 44.

كما علق الجنرال (**AUGERAUD**) عن هذه السياسة بقوله : " لم **تخرج سياستنا تجاه الأهالي ، حتى ذلك التاريخ عن إطار تسيير وإدارة محمية إقطاعية من طرف ضباط المكاتب العربية ويصدق ذلك بصفة أخص على القطاع القسنطيني أكثر من غيره** "[1].

ولعل هذا ما حمل جريدة (**Le Temps**) على تحميل هؤلاء الرؤساء مسؤولية الانتفاضات ، كما احتوى المقال على شهادة أحد المستوطنين **Béz**iy الذي قال : " **في حالة اندلاع أي حركة عصيان فما عليكم إلا أن تستخرجوا ،عن طريق القرعة عشرة من ضباط المكاتب العربية ، وتقدموهم أمام مجلس المحلفين وأن تنتظروا النتيجة ... أضمن لكم أنها ستكون نتيجة جيدة** " .[2]

ونتيجـــة لهذا السخــط العام والتذمر الشديــد من هذه المكــاتب صدر قرار فـــي 4 أكتوبر 1870 ينــص بإلغاء هــذه المؤسسة العقابيـــة بالإضافة إلى إلغــاء الحكم العسكـــري[3].

والحقيقة أن دور هذه المكاتب في منطقة الزيبان كان لا يقل بطشا وقسوة عن دورها في بقية المناطق ، ولذا فإن السياسة التي انتهجتها هذه المكاتب كانت أحد أهم أسباب اندلاع هذه المقاومة الشعبية، كمثال على ذلك هو أن السياسة الضريبية لهذه المكاتب كانت تقوم على تكليف القياد بإحصاء القطعان وتقدير الغلة ، وتقوم مصلحة الضرائب بتسجيل القوائم للأشخاص المعنيين بالدفع ، وفي الأخير يقوم القياد والأغوات تحت رقابة المكاتب العربية بجمع المبالغ وفي هذه المرحلة يمكن لضباط المكاتب أن يتحصلوا على ما يمكنهم من مبالغ زائدة عن قيمة الضريبة وقد عبر المستوطنون عن هذه السياسة بالقول : " **ضباط المكاتب العربية ، أولئك تجار المعابد الذين يستمرون في إفقار الأهالي البائسين** "[4].

_[1] Charles Robert Ageron : **Les Algériens Musulmans et la France,** op.cit ,pp44 .45

_[2] Abdelhamid Zerdoum : **Histoire de Biskra , op.cit** p p 207.

[3] _صالح فركوس :**إدارة المكاتب العربية** ،مرجع سابق، ص 412.

[4] _ شارل روبير أجرون: **مرجع سابق**، صص 247، 248

وبعد إلغاء المكاتب العربية في بلدية بسكرة أسندت الإدارة إلى لجنة مشكلة من قايد الدائرة وقاضي الشؤون العامة يساعده خمس نواب وضباط الأحوال المدنية .

2. دور العائلات الكبرى

بعد فشل السياسة العسكرية الفرنسية ، وذلك بسبب رفض الجزائريين لهذه السياسة ، كان لابد على فرنسا أن تغير من أسلوبها لذلك عمدت إلى إتباع سياسة التفرقة من جهة وتقريب بعض الزعامات المحلية لها من جهة أخرى ، فسعت جاهدة في البحث عن من يعترف لها بالسيادة ويظهر لها الطاعة والولاء ، حيث وضح بعض الضباط الفرنسيين أهمية الاستعانة بهذه الفئة من أجل التحكم في الأوضاع الأمنية وقد عبر عن ذلك الضابط لاباسي **(Lapasset)** قائلا : " **إن استهداف شريحة معينة من الشعب الجزائري ، وذلك بقصد خلق شرح في المجتمع الجزائري وتفكيكه و ذلك عن طريق التفرقة والتجزئة حتى تتمكن فرنسا من ترتيب شؤونها** " . حيث أن هذه الشريحة ستقتصر مهامها على:

- مشاركة القوات الفرنسية في حملاتها العسكرية.
- مراقبة القبائل الثائرة.

والحقيقة أن مبدأ " **فرق تسد** " الذي اعتمدت عليها الإستراتيجية الفرنسية يهدف إلى تحطيم النظام الاجتماعي وتكسير العلاقات العائلية ، وبهذا تكون مهمة إقامة نظام جديد مكان هذا النظام المحطم أمر يسير ، وقد صرح أحد الضباط الفرنسيين قائلا : " **إن ما سهل في انتهاج هذه السياسة والمتمثلة في تقديم الدعم لشيوخ المعارضة ، هو روح العداوة المتأصلة منذ غابر الأزمنة بين تلك العائلات الإقطاعية ، وكذا الكراهية المتبادلة بين هذه العائلات فالشعار السيادي لم يفرضه منطق الاحتلال بقدر ما كرسته العداوات التقليدية السائدة في المجتمع الأهلي** "[1].

والأهداف الحقيقية لإتباع فرنسا هذه السياسة هي إحداث القطيعة بين القبائل وبين الثورات الشعبية وذلك من أجل ضرب الموارد الاقتصادية للثوار، بإحداث القطيعة هذا من جهة أما من جهة أخرى فإن الأهداف الفرنسية كانت منصبة حول التخلص من الزعامات

[1] _ Charles robert AGERON : « **l'Algérie Algérienne** » de Nopoléon ɯà Degaulle paris, 1980 pp59-71.

الوطنية لأنها تشكل خطرا على التواجد الاستعماري ، وفقا لمنطق تقسيم السكان إلى فئتين متصارعتين ، يمكن فرنسا من وضع حد فاصل للفئات المتضامنة والموحدة لمحاربتها.

وهذا ما سعت إليه فرنسا في منطقة الزيبان ضد ما أسمته " **الأرستقراطية الإقطاعية** "، حيث يرجح بعض المؤرخين أن سبب الانحطاط الذي عرفته منطقة الزيبان مرده إلى التنافس الكبير والشديد بين العائلات الكبرى (بن قانة و بوعكاز) . فقد كانت الرغبة الجامحة في تولي الزعامة ، والفوز بلقب شيخ العرب والذي تعود جذوره إلى ما قبل الاحتلال الفرنسي، أحد العوامل التي ساهمت في تأزم الوضع في المنطقة هذا من جهة .[1]

كما أن منطقة الزيبان كانت مسرحا لتصفية بقايا المقاومة الشعبية وأهمها التنافس بين أنصار أحمد باي والأمير عبد القادر من جهة أخرى .[2]

وعليه فإن الدور الذي لعبه هؤلاء الحلفاء من ذوي الجاه والسلطان حسب قول لويس رين **(louis Rinn)** كان سببا رئيسيا في إنهاك وإحباط المقاومة الشعبية لأن التقارير التي كانت ترصدها هذه الزعامات المحلية عن مصادر تموينهم ، و جميع تحركاتهم وأهم تحالفاتهم ، حيث قال عن ذلك **بيجو:** " **إن استعانتنا بهذه العائلات الكبيرة، يعد وسيلة ناجحة لتعيين مواقع الثوار، وبذلك نتمكن من حصارهم والقبض عليهم بكل سهولة، وكذلك فإن الوسيلة تدخل في إطار المحافظة على الأمن** "[3].

وقد عمدت الحكومة الفرنسية على منحهم الامتيازات و التكريمات حيث كانت تدفع لهم مبالغ هامة من أجل أن يردوا العدوان عليها وقد قدر فارني هذه المبالغ بـــ 21 فرنكا، كما أن الإدارة الفرنسية كانت تدفع لهذه الزعامات قسما من الضرائب بقدر تعاونهم مع السلطة الاستعمارية[4].

3. العامل الاجتماعي

[1] _ Agerom R : **op.cit**, p251.

[2] _ وأهم محطات هذا التنافس هو معركة "مراح جازيه" قرب بسكرة جانفي 1831 عبد الحميد زوزو : **الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي** ،مرجع سابق، ص 80 .

[3] _ نفس المرجع ، ص 79.

[4] _ Agerom R : **op.cit** ,p 253.

لقد لعب العامل الاجتماعي الدور الفاعل والبارز في هذه المقاومات التي تميزت بالطابع الشعبي ، والتعبئة الواسعة إضافة إلى الدفاع عن الأرض والملكية، وتعود أسباب قوة العامل الاجتماعي إلـــى:

أ. البنية الاجتماعية

حيث نلاحظ أن البنية الاجتماعية التي اعتمد عليها قادة المقاومة في المنطقة ، ساهمت وبشكل كبير في تحقيق انتصار على أبرع القواد العسكريين في ذلك الزمان بل ربما في التاريخ ، وبديهي أن الإمكانات العسكرية لم تكن متكافئـــة بين الطرفين بالمـــرة ، فالقوات الفرنسية كانت تمتلك أحدث وسائل القتال من مدافع وغيرها من الوسائل العسكرية وعليه فإن هذه الجماهير الشعبية بإيمانها وإرادتها حققت نجاحا أقوى من المدافع والدبابات الفرنسية ، ومن هنا نستخلص أن الضعف كان في الوسائل العسكرية في ظل وجود بنية اجتماعية أصلية أقوى منها.

ب. الإصرار على المقاومة رغم القمع الفرنسي

رغم الفشل الذي أصاب المقاومة الشعبية بمنطقة الزيبان ، والذي أرجعه بعض الدارسين إلى عدم القدرة على الاستفادة من تجارب الماضي وتراكمات الأجيال ، حيث ظلت هذه المقاومة عبارة عن محاولات لم ترق إلى المستوى الذي يحقق أهدافها ، إلا أن هناك حقيقة تاريخية هامة حول رد الفعل الجزائري التي يمكن أن نخلص إليه وهي سمة الاستماتة التي أبداها سكان الزيبان وما جاورها من قرى و مداشر ، وإلى مشاركة باقي المناطق الأخرى باختلاف الزمان والمكان ضد المحتل ،وعليه فإن سكان الزيبان لم ييأسوا ولم يملوا من رفض التواجد الفرنسي مستعملين كل الوسائل والإمكانيات المتاحة لهم رغم ضعفها ، حيث أن الاختلاف في العدة والعدد جعل الهزيمة تكاد تكون منطقية ، وقد عبر عن ذلك رئيس مقاطعة قسنطينة كارتري قائلا : " **إن الأهالي يملكون القدرة على الصمود و تفشيـــل العدو ومنعه من تحقيق أهدافه بوسائل تقليدية اكتسبها الثوار على مدى الصراع ،وأن قـــوة فرنسا ليست قادرة على مواجهتها أو منعها على الأقل من تحقيق أهدافها** " [1].

[1] – عبد الرحمان الجبلالـــــي: **تاريخ الجزائر العام**، ج 4.ص 82.

والحقيقة التي لا يمكن نفيها هي أن القمع الفرنسي لهذه المقاومة كان رهيبا ، وتجاوز في نظـــر الكثير مقدار الجرم المرتكب بل هو أشبه بعمليات انتقام منه إلى معاقبة تتناسب مع ما ارتكب من جرائم .[1]

كما أن القادة العسكريين أصـــروا دوما على إضمار روح الكراهية والاحتقار ضد المقاومة والزعامات وقد عبرت جريدة **l' Echo d'oran** عن هذه المشاعر بـــ : " **يجب أن نجعلهم على الأقل عاجزين عن الإساءة ،وأن نجعلهم ضعفاء وفقراء ونقلص أعدادهم لكي لا يكونوا خطرا دائم علينا**[2]"

إن بسط الذعر وزرع مشاهد الرعب وحرق الواحات لضمان أمن المستوطنين هو هدف السياسة الفرنسية وذلك بشهادة أحد القادة بقوله : " **يجب أن يبسط الذعر جناحيه في أجواء الأوكار التي تأوي القتلة وموقدي النيران ، ويجب تصعيد القمع حتى يرسخ في ذاكرة القبائل ، مشاهد رعب دائم لضمان الأمن للمهاجرين** "[3].

وكـــــرد على هذه الهمجية الاستعمارية ، جاء على لسان أحد مجاهدي ثورة الصادق بن الحاج بعد مثوله للمحاكمة: " **حقيقة كنا نتألم كثيرا من جراء ذلك القمـــع ولكن كنـــا قادرين على إنزال الألم بهم رغـــم وسائلنا العسكرية البسيطة ، وذلك بسبب أن أملنا في القدرة الإلـهيـــة كان كبيرا ، كما أن رجاءنا هو الجنـــة وهذا هـــو عامل قوتنـــــا** ".

وقد أبرز لنا ثوار الزيبان حقيقة مواجهة القوى الاستعمارية وسياساتها القاهرة والظالمة مهما كانت قوتها ، ورفضهم التام والمطلق لمبدأ القعود عن الجهاد و المقاومة ، بدعوى عدم تكافؤ القوى ، وهي الحجة التي ظل الثوار يرفضونها ويمقتونها ، لأن للجهاد قدسيته خاصة عند المسلمين ، الجهاد يشجب الشرعية من المتخلف والمتقاعس ويدخله في دائرة الجرم . كما اعتبروا القعود عنه وسيلة للهروب وهو تبرير للهزيمة قبل اندلاع المعركة . إن إيمان هذه الجماهير الشعبية بفكرة عدم الخضوع والاستسلام والطموح بالفـــوز هو القاسم المشترك لكل هذه الثورات.فكانت مواجهتهم للخوف والإقبـــــال على

---

[1] _ **المرجع نفسه** ، ص 84.

[2] -شارل روبير أجرون: **مرجع سابق**، ص 50.

[3] _ شارل روبير أجرون: **المرجع السابق** ص 51.

نيل الشهادة ورفض فكرة عدم تكافؤ القوى ، هـــي الدافع الحقيقي والأسمى في هــذه الثورات ، وما الهزائم التي ألحقها الثوار بوسائلهم التقليدية على القوة العسكرية الفرنسية إلا دليل على قوة الدافع الإيماني لــدى الثوار لأنـــه التفسيـــر الوحيد لتلك الانتصارات[1].

أمام الإصرار الفرنسي على إلحاق العقاب بهم لأن العقاب الذي يستحقه هؤلاء السكان وبالمنظور الفرنسي لا يمكنه أن يؤجل . وأكـــد أجرون على أن السياسة الفرنسية في قمع الثورات كانت دوما بذرة الأمل لإعادة الكرة والنهوض من جديد . إن معالم الاحتقار و الإهانـــة التي كان يلمسها الجزائريون في نظرات وعبارات ، المنتصرين والتجاوزات والعنف الممارس من طرف الأفراد، هي بركان الانتقام الذي حمل السكان على إعادة الكرة من جديد ورفض منطق التخاذل والخوف [2].

---

[1] _عبد القادر بوعرفة:**مرجع سابق** ، ص 88.

[2] _ شارل روبير أجرون: **مرجع سابق**،ص 108.

نستخلص من هذه الدراسة التي تناولت في عمومها أحداث المقاومة الشعبية بمنطقة الزيبان أنها لم تكن انتفاضات عشوائية منطلقها الدفاع عن العرش أو اقتصادية بسبب الجوع والفقر كما يدعي الكتاب الفرنسيون ، بل كانت مقاومة نابعة من وعي الشعب بأصالته ورفضه للاستعمار الفرنسي .

وهكذا تصدى أهالي الزيبان لهجمات الفرنسيين الشرسة وأعوانه الخونة الذين حاولوا أن يمهدوا لها الطريق نحو أعماق الصحراء ، لكن ذلك جوبه بعزيمة وتضحية من قبل المجاهدين عوضت التفوق المادي والعسكري للاستعمار وأذنابه . وقد التف الأهالي حول القيادات التي حملت لواء الجهاد وعبرت عن رفضها المطلق لوجود قوة كافرة انتهكت الدين والعرض وأرادت تغيير معالم المجتمع بما حملت من عادات وتقاليد بعيدة كل البعد عن قيم الجزائريين وقناعاتهم ، بالنظر إلى شكل المقاومة في الزيبان وأهدافها يمكن استخلاص النتائج التالية :

- ✓ منذ احتلال مدينة بسكرة سنة 1844 شهدت المنطقة مقاومة عنيفة للغزو الفرنسي ولكنها سرعان ما خفت لأسباب مختلفة لعل من أهمها الوسائل الوحشية التي استعملها الفرنسيون في قمع الانتفاضات المتتالية ، وما أن جاءت سنة 1876 حتى قامت ثورة العامري كتعبير عن روح التحدي والمقاومة وكذا كرمز لروح الرفض للاستعمار مهما كانت وسائله وأساليبه .
- ✓ الدور الكبير الذي لعبته الطريقة الرحمانية في مقاومة العدو الفرنسي في المنطقة ، حيث أن زعماء هذه الثورات كان معظمهم من أتباع هذه الطريقة ، أمثال الشيخ عبد الرحمان بوزيان قائد ثورة الزاب الشرقي ، و أحمد بن عياش الزعيم الديني لثورة العامري ، حيث أن أتباع هذه الطريقة يعتبرون أن رفع راية الجهاد ضد المستعمر من بين أهم مبادئهم التي يجب الدفاع عنها، كما أن الزوايا كانت تمثل المدرسة التقليدية لسكان

الزيبان ، وساعدت بشكل كبير على رفض الثقافة الدخيلة والتمسك بالشخصية العربية الإسلامية .

✓النظرة المحدودة لقادتها وانعدام التنسيق فيما بينهم والذي كان من الممكن أن يزيد المقاومة قوة وصلابة ، إضافة إلي نقص خبرتهم العسكرية والتخطيط المحكم والخداع والمراوغة ، وربما يعود ذلك إلى أن قادة هذه الثورات كانوا ينتمون إلى عائلات دينية و وأرستقراطية ، فمثلا نجد أن الشيخ بوزيان أعلن الثورة ضد المستعمر وهو يعلم جيدا التفوق العسكري الكبير للعدو ، وهذا بشهادته عندما قال للقائد سيروكا " **أنه وأهل الواحة سيقاتلون إلى آخر رجل** " ، كما أنه قد عايش القمع الوحشي للمستعمر في سنوات جهاده مع الأمير عبد القادر وعلى الرغم من ذلك فقد خاض ضمار المعركة دون دراسة معمقة لوسائل العدو ولخططه ، ولعل ذلك يعود إلى أن هدفه لم يكن في تحقيق النصر أو الهزيمة وإنما انصب اهتمامه كزعيم للمنطقة حول رفع الظلم الاستعماري الذي كانت تعانيه المنطقة في تلك الفترة ، ومن هذا المنطلق استمدت ثورته ذلك التضامن الجماهيري الذي لم يسبق أن شوهد في انتفاضة أخرى .

أما بالنسبة للشيخ عبد الحفيظ الخنقي فإن فشل مقاومته لا يعود إلى قلة التضحيات الجسام التي قدمها الثوار أو ضعف قواتهم أمام العدو ، ولكن سبب الفشل يعود إلى عدم درايته وبصورة دقيقة لأسلحة المستعمر ومحاولة وضع خطط تكتيكية قابلة لتغير في أي وقت وتحت أي ظرف ، بل إن أسلوب المواجهة بقى نفسه من بداية المعركة لنهايتها وهذا ما سهل على العدو القضاء عليها .

أما مقاومة الشيخ الصادق بن الحاج ما يعاب عليها أن الطاقة البشرية المفجرة لها اكتفت بعنصر القرابة أو الجوار ، وهذا ما أدى بالأمر إلى التأزم عند اشتداد لهيبها و وجد مفجروها أنفسهم معزولين عن باقي

المناطــق التي كان من الممكــن أن تساعدهــم لــتحقيــق الأهداف المــرجوة من الثورة .

- ✓ نلاحظ أن جل الثورات كانت في المنطقــة قد رسمت معالمهــا في الأرياف وهذا بسبب الارتبــاط الوثيق للجزائري بأرضــه واعتبار الاستيلاء عليهــا بمثابــة الخط الأحمــر الذي لا يمكن السكوت عليه . وعليه فإن الحافز الوطني قد لعب دوره في قيام هذه الثورات ، حيث أن سياسة مصادرة الأراضي الزراعية التي اعتمدت عليها الحكومة الفرنسية ، قصد توطيــن الأوروبيين ، ساعدت على تفجير الثورات بالمنطقــة و برهنت على التعلــق الراســخ للسكان بأرضهم .
- ✓ القوات التي اعتمدت عليها هذه الثورات ،كانت متكونة من الفلاحين المتطوعين ،ولهذا استطاعت الجيوش الفرنسية القضاء على هذه الثورات نظر لتنظيم جيوشها ووحشية الاضطهاد الذي مارسه الجيش الفرنسي ،وضعف التنظيم والتسليح لدى الثوار .
- ✓ إن التشتت و الصراعات الداخلية والفك الإقطاعي والقبلي الذي كانت تعيشه منطقة الزيبان كانت كلها عوامل حاسمة في فشل هذه الانتفاضات .

- ✓ الأسباب التي قامــت من أجلها هذه الثــورات أبرزت فــكرة الوطنيــة عندهم ، وكذبــت الإدعاءات الفرنسيــة التي كانت تقــول أن هــذه الثورات كانت تقوم لأسباب اقتصادية ، و هذا بهــدف إفراغها مــن محتواها وأهدافهــا .

- ✓لقد لعبت السياسة الاستعمارية الفرنسية المتمثلة في فرض سلسلة من القوانين القمعية والإجراءات التعسفية ،على سكان الزيبان لتحقق جملة من أهدافها الدنيئة ، والمتمثلة في تفقيرهم وتجويعهم ومحاولة إذلالهم وتجهيل أبنائهم ورغبة في القضاء على الإسلام وتنصير هم ،دورا بارز في اندلاع هذه الثورات .

- ✓ رغم تمكن الفرنسيين من احتلال كثير من المواقع الساحلية مع بداية الغزو ، إلا أنهم لاقوا صعوبات كبيرة أثناء توغلهم في الداخل بسبب المقاومة العنيفة ، ونتيجة لهذه المقاومة العنيفة حاول الفرنسيون فرض سيطرتهم على البلاد بإتباع عدة أساليب منها :
  - استمالة بعض العائلات وإعطائهم مناصب قيادية مثل ما حدث مع عائلة بن قانة و وعكاز .
  - جذب القبائل الموالية لفرنسا في محاولة لنشر نفوذ ها .

- ✓ إن المقومـــات الجغرافية لمنطقة الزيبان بصفة عامة ، حيث المناخ الصحراوي الجاف و القاسي وكثـــرة المسالك في واحات النخيـــل الكثيفـــة والتي كان القادة العسكريين لا يعلمون عنها شيئا ، أهم أسباب التفوق لدى الثوار قبل أن تحطم القوات الفرنسية هذه التحصينات الطبيعية بدباباتها وتعكس بها موازين القوى.

- ✓ إن نتائج هذه الثورات جـــاءت لتثبت للعالم أن المجـــازر الفظيعـــة والأعمال الشنيعة التي ارتكبـــها الجيش الفرنسي في حـــق الأهالي ، لا تمثـــل أي حضارة ولا أي مدنية كما يدعي ، إنما مثلـــت نفوس أشبه مـــا تكون بذئاب متعطشـــة لسفك الدماء وقتـــل الأرواح وتخريب كل ما تلمحه عين ، فقد كانت الخسائر عظيمة عظمة وصمود سكان المنطقة .

- ✓ هذه الثورات ، رغم إمكانياتها المحـــدودة مقـــارنة بإمكانات العدو فإنها استطاعت أن تحقق انتصارات كبيرة على قواتـــه ، و كلفتـــه أعداد ضخمـــة من القتلـــى خاصـــة في صفوف الضباط مثـــل معركتـــي

مشونش 1844 و واد براز 1849 ، إلا أنه في معظمهـــا كانت الكلمـــة الأخيرة دائمـــا للعـــدو ولأساليبـــه الشرسة في القمع ، ولكن رغم كل ذلك فإن ثوار الزيبـــان قدموا تضحيات جســـام على الرغم من فشلهم في تحقيق النصر العسكري ، إلا أنهـــم حققـــوا نجاحـــا معنويـــا رســـخ في نفـــوس السكان الروح الثوريـــة الرافضـــة للاحتلال .

وأخيرا يمكنني القول أن المقاومة الشعبية التي قادهـــا أهالي الزيبـــان كانت تمثـــل إرادة شعب ، ولذلك لم يكـــن اضطرارهم إلى التسليم بل استمرت شعلـــة الكفاح تتقد بدم الشهداء عبر الواحات ورمال الصحـــراء .

قائمـــــة المـــراجع

1- الأرشيـــــف

- أرشيف مدينة بسكرة .

- **Guignard : Recueil officiel des actes de la préfecture de Constantine 1878 , gouvernement General ,AB.**
- **Dorgeval : Recueil officiel des actes de la préfecture de Constantine 1878 , gouvernement General ,AB.**

2_ المراجـــــع

❖ العربيـــــة

1. أجرون شارل روبير: الجزائريون المسلمون وفرنسا1870*1919 ،ترجمة مسعود حاج مسعود و بكلي ،ج1 ،دار رائد للكتاب ،الجزائر ، 2007.
2. الأشراف مصطفى:الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
3. الإفريقي ليون : وصف إفريقيا ،ج 2 ،دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1983.
4. باي أحمد و خوجة حمدان و بوضربة : مذكرات، ترجمة محمد العربي الزبيري، ط2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر،1981.
5. برنيان أندري ، نوشي أندري ، لاكوست إيف : الجزائر بين الماضي والحاضر ،ترجمة إسطنبولي رابح ومنصف عاشور ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،1984.
6. البكري أبي عبيد الله:المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، دار الكتاب الإسلامي،القاهرة، (ب ت ط).
7. بوحوش عمار:التاريخ السياسي للجزائر منذ البداية ولغاية 1962، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1997.
8. بورنان سعيد:شخصيات بارزة في كفاح الجزائر(1830،1962)، ج1،ط2، دار الأمل، الجزائر ، 2004.
9. بوعزيز يحيى: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر، 1999.
10. (ـــ،ـــ): ثورات الجزائر في القرنين 19و20،ط1،دار البعث ،الجزائر ،1980.
11. (ـــ،ـــ):موضوعات وقضايا في تاريخ الجزائر ،دار الهدى ،2004
12. تبرماسين عبد الرحمان:سي الصادق بن الحاج الانتفاضة الكبرى (1844*1859)، ط1، جمعية الشروق الثقافية، الجزائر،2004 .
13. الجبلالـــــي عبد الرحمان : تاريخ الجزائر العام، ج 4.

14. حباسي شاوش: من مظاهر الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي بالجزائر 1830 * 1962 ، دار هومة ، الجزائر ، 1998 .
15. حبة عبد المجيد العقبى لمغيري : تذكرة أولى الألباب بملخص تاريخ بسكرة و الزاب، مخطوط، موجود بمكتبة عبد الحليم صيد، بسكرة،.
16. حثروبي محمد صالح :قطف الجنان في تاريخ الزيبان ،دار الهدى ،الجزائر ،2000.
17. ابن خلدون عبد الرحمان: كتاب العبر و ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر.ج6 ، دار العلم للنشر، بيروت، 1965.
18. خمار أحمد : تحفة الخليل في نبذة من تاريخ بسكرة النخيل ، مطبعة الفجر ، الجزائر ،2008 .
19. خير الدين محمد: مـــــــذكرات، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، (ب ت ط).
20. الزبيري محمد العربي:مقاومة الجنوب للاحتلال الفرنسي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1976.
21. زوزو عبد الحميد : الأوراس إبان فترة الاستعمار الفرنسي التطورات السياسية و الاقتصادية والاجتماعية (1837*1939)، ترجمة مسعود حاج مسعود ،ج1، الجزائر، دار هومة ،2005.
22. (ـــــ،ــــــ): ثورة الأوراس 1879، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
23. (ـــــ،ــــــ) :نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830*1900)،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1984
24. سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية(1830*1900)، ج 1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1992 .
25. (ـــــ،ــــــ) : محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، ط3 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
26. (ـــــ،ــــــ) : الحركة الوطنية الجزائرية (1860*1900) ، ج1، القسم 2، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 2000.
27. (ــــ،ــــ): تاريخ الجزائر الثقافي ،ط1، ج3، دار الغرب الإسلامي ، 1998.
28. سعيدوني نصر الدين : دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر (الفترة الحديثة والمعاصرة) ،ج2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.
29. الشارق عبد الله بن محمد :سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول ،المطبعة التونسية،تونس ،1929.
30. الشلقاني علي :ثورة الجزائر ،دار الهناء ،القاهرة ،1956.

31. صاري جيلالي ، قداش محفوظ ، بن حراث عبد القادر : الجزائر في التاريخ المقاومة السياسية 1900*1954 ،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر ، 1987.

32. صديق محمد الصالح : الجزائر بلد التحدي و الصمود ،موفم للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1999.

33. صيد عبد الحليم: أبحاث في تاريخ الزيبان ، ط1، مطبعة سوف الوادي،الجزائر، 2000 .

34. عباد صالح:المعمرون والسياسة الفرنسية في الجزائر(1870*1900)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

35. عثماني مسعود : أوراس الكرامة أمجاد وأنجاد ، دار الهدى ، الجزائر ،2008.

36. عميراوي أحميدة : محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر ، مطبوعات جامعة منتوري، ، الجزائر 1999 .

37. (ـــــ،ـــــ): من تاريخ الجزائر الحديث ، ط2، دار الهدى، عين مليلة ، الجزائر ، 2004.

38. (ـــــ،ـــــ):من الملتقيات التاريخية الجزائرية ،ط2،دار الهدى ،الجزائر ،2007

39. العنتري محمد صالح:فريد منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها (تاريخ قسنطينة)، مراجعة وتقديم :يحيى بوعزيز،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر.(ب ت ط)

40. عوض صالح : معركة الإسلام والصليبية في الجزائر (1830* 1962) ،ج1،ط1، مطبعة دحلب ، الجزائر ،1989.

41. فركوس صالح: الحاج أحمد باي قسنطينة (1826*1850) ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،2007.

42. (ـــــ،ـــــ):إدارة المكاتب العربيةوالإحتلال الفرنسي للجزائر في ضوء شرق البلاد 1844 م*1971م ،منشورات جامعة باجي مختار ،الجزائر ،2006 .

43. (ـــــ،ـــــ):أصالة وتعريب،مشروع فرنسا الصليبية والمجابهة الإسلامية ،دار الكوثر للنشر ،الجزائر ،1991 .

44. قنان جمال: دراسات في المقاومة والاستعمار ،المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار ، الجزائر ، 1998.

45. (ـــــ،ـــــ):قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر ، الجزائر ،1994.

46. منور العربي:تاريخ المقاومة الجزائرية في القرن التاسع عشر ،دار المعرفة ،2006.

47. المدني أحمد توفيق: كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر،1984.

48. مياسي إبراهيم: الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934، دار هومة ، الجزائر ،2005.

49. (ـــــ،ـــــ): من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1999.

50. وعلي محمد الطاهر : التعليم التبشيري في الجزائر 1830 * 1904 دراسة تحليلية تاريخية ، منشورات دحلب ، 1997 .

51. يحيى جلال: تاريخ المغرب الكبير للعصور الحديثة وهجوم الاستعمار، ج3، دار النهضة العربية، بيروت.

52. (ـــــ،ـــــ):السياسة الفرنسية في الجزائر 1830*1960،ط1،دار المعرفة ،القاهرة، 1959 .

❖ الأجنبيـــــة

1. AGERON Charles robert: France coloniale ou parti colonial, paris, 1978.
2. (___ ,____): l'Algérie Algérienne de Nopoléon ш à De gaulle , paris ,1980.
3. (___ ,____): Les Algériens Musulmans et la France1871 -1919, thèse t.i.p.u.f ,1968.
4. Ageromain R : la politique indigène de Bugeaud ,paris ,1955.
5. _Ben Gana Bouaziz :LE CHIEKH EL ARAB , étude historique sur la famille Ben Gana , Algérie, 1930.
6. Bidichon, Projet d une exploration Politique commerciale Et Scientifique d Alger a Tambouctou par le Sahara, 1849.
7. collot clod : les institution de L'algérien durant la période coloniale (1830-1962),Paris,1987.
8. Foucher (v) : les bureaux arabes en Algérie, paris, 1858.
9. Hubert Cataldo : Biskra Et Les Ziban, collection français d Afrique, France, 1988.
10. Halim Cherfa : l héroïque bataille de zaatcha , l imprimerie el maraaf , Alger ,2007.
11. Jeanne et André Brochier : Livre d'or De L'Algérie , Baconnier Frères Alger, 1937.
12. _Rinn Louis:Marabouts et Khouans ,étude sur L Islam en Algérie, Alger – Jordan ,1884 .
13. _Sari Djilali :A La Recherche De Notre Histoire ' casbah Editions , Alger, 2003.
14. Stora Ben jamin : Algérie histoire Contemporaine 1830*1988 , Casbah édition,2004.
15. Thiriez Philippe : En Flânant les aurés ,éditions numidia ,Alger,1986
16. Zerdoum Abdelhamid : Les turcs a Biskra 1660- 1844, entreprise des arts graphiques et de bureautique de Biskra ,1998.

17.(____,____): Histoir de Biskra 1844 -1962 , entreprise des arts graphiques et de bureautique de Biskra ,1998.
18. (____, ____): leçons d'histoire et polémique a Biskra 1830*1962, entreprise des arts graphiques et de bureautique de Biskra, 2000.
19. (____, ____): Les français a Biskra 1844-1962, entreprise des arts graphique et de bureautique de Biskra, 1998.
20. (____, ____): Les Biskris et la France, entreprise des arts graphiques et de bureautique de Biskra, 1998.
21. Zou zou Abdelhamid AURES AU TEMPS DE LA France COLONIALE EVOLUTION POLITIQUE ECONOMIQUE ET SOCIALE 1837*1939, tom 1, DE, édition d distribution Houma, Alger, 2002.

3_الملتقيـــــات

1. الإبراهيمي أحمد طالب : «مقاومة الأوراس في عهد أحمد باي »،الملتقى الوطني الأول حول مقاومة الأوراس في عهد أحمد باي ،الجمعية الثقافية لتخليد المعركة الكبرى فرغوس أكباش،الجزائر ،2006.
2. بو رايو عبد الحميد : « النزعة التاريخية التوثيقية والحس الملحمي في شعر الشعبي الجزائري في منطقة الجنوب الجزائري من خلال بعض النماذج محمد بن قيطون ،بلقاسم رغادة ،أحمد كرومي »،الموروث الشعبي ،الملتقى الوطني للموروث الشعبي الوادي، الجزائر،2006.
3. بوزيد بومدين: «الطرق الصوفية والاحتلال ، جدل الرفض والقبول ورمزية صاحب الوقت » الملتقى الوطني الأول والثاني حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية ، وزارة المجاهدين ، الجزائر ،2007.
4. بو عرفة عبد القادر: «جهاد شعبي أم مقاومة قراءة في المرجعيات الفكرية لحركة الجهاد في الخطاب الصوفي » الملتقى الأول والثاني حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية ، وزارة المجاهدين ،2007.
5. تلمساني يوسف: «موقف الزاوية التيجانية من الاحتلال والمقاومة »، الملتقى الوطني الأول والثاني حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية ، وزارة المجاهدين ، الجزائر ، 2007.
6. حداد مصطفى: « انتفاضة البوازيد من سكان واحة العامري و المناطق المجاورة سنة 1976» ، الملتقى الوطني للمقاومة الشعبية بالزيبان ، مديرية المجاهدين لولاية بسكرة ، الجزائر، ديسمبر ،1989 .

7. خليفي عبد القادر : «دور الطرق الصوفية في المحافظة على الهوية الوطنية »، الملتقى الوطني الأول والثاني حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية ، وزارة المجاهدين ، الجزائر ،2007 .
8. سويسي محمد الصغير: " المقاومة الشعبية في الزاب الشرقي بقيادة عبد الحفيظ الخنقي"، الملتقى الوطني للمقاومة الشعبية بالزيبان ،مديرية المجاهدين لولاية بسكرة ،الجزائر ،ديسمبر1998.
9. قنان جمال :« التوسع الاستعماري ظاهرة عدوانية تسلطية واستغلالية»،أعمال الملتقى الدولي حول الاستعمار بين الحقيقة والجدل السياسي،منشورات المجاهدين ،2007.
10. مزهودي مسعود :« تاريخ بلاد الزاب »، ملتقى "تاريخ بلاد الزاب، مديرية المجاهدين لولاية بسكرة، 1989.
11. ولد خليفة محمد العربي: « مؤسسة الزاوية خزان المقاومة وحصن العقيدة والتراث »، الملتقى الأول والثاني حول دور الزوايا إبان المقاومة والثورة التحريرية، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007.

4_ الرسائل الجامعية

1. أوجرتي محمد :«أسرة بن قانة ومكانتها السياسية و الاجتماعية خلال العهد العثماني »، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث ، قسم التاريخ،جامعة قسنطينة، 2005/2004 .
2. عمراني معاذ :« أسرة بني جلاب في منطقة واد ريغ خلال القرنين 19و20م،دراسة سياسية اجتماعية »،رسالة ماجستير،التاريخ الحديث و المعاصر،جامعة الأمير عبد القادر ،الجزائر، 2003.
3. قا سي فريدة : «الدولة في فكر الأمير عبد القادر 1832*1847» ، رسالة ماجستير،التاريخ الحديث والمعاصر ، قسم التاريخ ، جامعة قسنطينة ، 1999.
4. قريري سليمان الهادف: «القوى الوطنية في الجزائر و مقدمات الثورة التحريرية 1945-1954»، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث و المعاصر، قسم التاريخ، جامعة الإسكندرية، 1988.

4_المقالات

❖ العربية

1. بالغيث الأمين ، "ثورة الزعاطشة في المصادر الفرنسية " ، مصادر، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954 ، الجزائر ، ع2، 1999.

2. برو توفيق : «جذور الاستعمار وجرائمه في الجزائر »، سيرتا ،دار البعث قسنطينة ،الجزائر ،ع 6،7 ،1982.
3. بو حوش عما ر:«الأرض والهجرة »، الأصالة ، ،وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ،الجزائر ، ع16، 1973.
4. بوعبدلي المهدي:« الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الشعب له في المجال الروحي »، الأصالة ، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ، الجزائر ، ع8 ، 1978.
5. بوعزيز يحيى : « مظاهر المقاومة وروادها في الشرق القسنطيني ضد الاستعمار الفرنسي في القرن19» ، الأصالة، وزارة الشؤون الدينية ، الجزائر، ع79، 1980.
6. (ــــــ، ــــــ):«من تاريخ كفاح الجزائر في القرن التاسع عشر أربعة أحداث في ثلاث وثائق» ،المجلة التاريخية المغربية ، سير مدي _زغوان ،تونس ، ع2، 1974.
7. (ــــــ، ــــــ):« اهتمامات الفرنسيين بجنوب الجزائر والصحراء من خلال ما كتبوه ومدى استفادتهم من طرق القوافل في غزوها »، الأصالة، وزارة الشؤون الدينية ،الجزائر، ع خ ،1979.
8. تابليت علي : «مصادرة أملاك أهل زعاطشة»، مجلة الثقافة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ع115 ، 1982.
9. جعنيط عيسى : « مقاومة سكان الواحات للاحتلال الفرنسي في القرن 19 ثورة الزعاطشة أسبابها وتطوراتها » ، مجلة الدراسات التاريخية ، وزارة التعليم العالي و البحث العلمي معهد التاريخ ، الجزائر، ع 9 ، 1995.
10. حداد مصطفى:« المقاومة الجزائرية في جبال الأوراس وتخومها الجنوبية خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر ،انتفاضة العامري (الزاب الغربي 1876و ثورة الأوراس الغربي 1879)» ، المجلة التاريخية المغربية، سير مدي – زغوان ،تونس ،ع 65،66، 1992.
11. (ــــــ، ــــــ): « انتفاضة لبازيد من سكان واحة العامري والمناطق المجاورة سنة 1876 »،الثقافة،وزارة الإعلام والثقافة،الجزائر ،ع81، 1984.
12. راشد أحمد إسماعيل: المقاومة الوطنية الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي»، البيان ، جامعة آل البيت، عمان، ع04، 2002.
13. الزبيري محمد العربي :« المقاومة في الجزائر1830*1848 »، الأصالة، وزارة الشؤون الدينية ، الجزائر، ع31، 1976.

14. سعيدوني ناصر الدين:مذكرة حول إقليم قسنطينة،الأصالة ، وزارة الشؤون الدينية،الجزائر، ع 70.71 ،جوان 1979.

15. سليماني أحمد حسين:«نزع الملكية العقارية للجزائريين 1830*1871»، مصادر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر1954، الجزائر، ع 06، 2002

16. سويسي محمد الصغير:« ثورة الزعاطشة دوافع وأسباب الفشل»، الخلدونية ،الجمعية الخلدونية للدراسات و الأبحاث التاريخية لولاية بسكرة، الجزائر، ع3، 2004.

17. الطاهر الإبراهيمي: «نظرة في مشهد وصفي خلدوني لزاب بسكرة»، الخلدونية، الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية لولاية بسكرة ، الجزائر، ع2 ،2003.

18. العربي إسماعيل: « الترتيبات التاكتيكية لحصار قرية الزعاطشة أكتوبر نوفمبر 1849»، مجلة الدراسات التاريخية ، وزارة التعليم العالي و البحث العلمي معهد التاريخ، الجزائر، ع 9 ، 1995.

19. عميراوي أحميدة: « السياسة الإدارية الفرنسية في الشرق الجزائري من خلال مشروع لويس بلانكي » ،المصادر ، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954،ع6،مارس 2002.

20. فيلالي مختار :«الطريقة الرحمانية ودورها في مقاومة الاستعمار » ، التراث ، ،جمعية التاريخ والتراث الأثري لمنطقة الأوراس، ع 12، 2004.

21. كرام سليم: « الشيخ عبد الحفيظ الخنقي فارس مقاومة الكرامة في وادي إبراز»، الخلدونية ، الجمعية الخلدونية للأبحاث و الدراسات التاريخية لولاية بسكرة، الجزائر، ع3، ديسمبر 2004.

22. مجاوري محمد: «مقاومة قبائل بني عامر في عصر الأمير عبد القادر»، المصادر ، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر ،ع 9، 2004.

23. المريوش أحمد:« التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري وردود فعل سكان الهقار1916»، المصادر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر1954، الجزائر، ع 11، 2005.

24. مصمودي فوزي: « معركة مشونش ببسكرة 1844 الخالدة » ، الخلدونية ،الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية لولاية بسكرة، الجزائر ، ع 03، ديسمبر 2004.

25. (ـــــ،ـــــ) : « بسكرة عروس الزيبان و بوابة الصحراء »، الفيصل ،ع 31، ديسمبر، 2002.

26. مطمر محمد العيد: «مقاومة واحة العامري 1876 »، الخلدونية ، الجمعية الخلدونية للأبحاث و الدراسات التاريخية لولاية بسكرة، الجزائر،ع 03،ديسمبر 2004.

27. (ـــــ،ـــــ):« الإحتلال الفرنسي للأوراس»،أضواء الأوراس التاريخية،ع ت،2006.

28. محمد البشير المغيلي :التكوين الاقتصادي لنظام الوقف ،المصادر ، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر ،ع 6، 2002.

29. مياسي إبراهيم : «ثورة الزعاطشة 1849»، مجلة الدراسات التاريخية ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ومعهد التاريخ، الجزائر، ع 11 و12 ،2000.
30. (ـــــ،ـــــ):« احتلال بسكرة 1844 » ، الخلدونية ، الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية لولاية بسكرة، الجزائر ،ع02، 2003 .
31. يعقوب صالح:« البوازيد عبر التاريخ شجرة سيدي بوزيد »، الخلدونية ، ،وزارة الاتصال والثقافة ،الجزائر،ع ت ،2000.

❖ الأجنبية

1. FERAUD (Charles):« Notes Historique sur la province de Constantine, les bendjellab sultans de Touggourt », RA, n°23, 1879.
2. Feraud (ch): LE SAHARA DE CONSTANTINE Note et Souvenirs ,Alger, 1886.
3. (___ ,____):« Notes Historique sur la province de Constantine, les bendjellab sultans de Touggourt », RA, n°26, 1882.
4. (___ ,____): « Notes Historique sur la province de Constantine, les ben bendjellab sultans de Touggourt », RA, n°28,188
5. (___ ,____):« Notes Historique sur la province de Constantine, les bendjellab sultans de Touggourt », RA, n° 30, Alger ,1886.
6. Feraud(L) :Les Descendants D un Personnage des mille et une nuits en Algérie , RA,n°32,1878.
7. Geneviève Désiré Vuillemin : «Les premiers projets du transsaharien et lafrique du nord 1878*1881», R. H. M, n° 7.8, Tunis,1977.

6_الصحـــــف

1. الشروق اليومي، الجزائر، ع330، 2001 .
2. النبأ، الجزائر، ع164، 1994.
3. دنيا الإسلام،الجزائر ، فيفري1989.

7_المنشـــورات

1. جمعية أول نوفمبر: تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الاجتماعية والإدارية في أثناء فترة الاحتلال الفرنسي (1837، 1954)، دار الشهاب باتنة، الجزائر، 1980.
2. جمعية الناصرية للتنمية الثقافية و الاجتماعية لخنقة سيدي ناجي: الذكرى المئوية الرابعة لنشأة خنقة سيدي ناجي (2002/1602) بحوث في تاريخها و سكانها و ترجمات لبعض من أعلامها، شركة دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2002.
3. الخيذري عبد القادر بن الحاج : شجرة الأشراف الفاطميين من سيدي بوزيد بن علي ،1947.

4. زوايا ولاية بسكرة : مديرية الشؤون الدينية والأوقاف ،الجزائر ،2003.
5. المركز الوطني لوثائق الصحافة والإعلام:كيف تحررت الجزائر (الذكرى 35 لثورة أول نوفمبر)، الجزائر، 1989.
6. مديرية المجاهدين لولاية بسكرة ، ثورة العامري 1976 حقائق تاريخية حول ثورة البوازيد ضد الإستعمار الفرنسي، أكتوبر 1996.
7. مديرية المجاهدين لولاية بسكرة :قاموس الشهيد من ولاية بسكرة (1954،1962) ، جويلية 2005.

8_المراجـــع الإلكترونية والتلفزيونية

- http:/www.m-moudjahidine.dz/histoire/Biographie/b123.htm e08/06/2006 10:00
- تاريخ الجزائر (1883*1900): CD-ROM، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر .
- صالح صالحي : ثورة البوازيد ضد فرنسا في العامري 11أفريل1876، حصة تليفزيونية،إخراج عبد الحميد هويملي
- توفيق قاسم :انتفاضة العامري، إذاعة الزيبان ،24 أفريل2007.

9 _ الروايات الشفوية

1. شهادة إبراهيم جغابة :أحد مجاهدي ثورة العامري ،شريط مسجل ،بمناسبة الذكرى المئوية لثورة العامري 1976.
2. شهادة بوزيدي إسماعيل: (حفيد بوزيدي عبد الله أحد مجاهدي ثورة العامري)، بسكرة ، أجرى معه الحوار في بسكرة ، 13أوت 2008.
3. بن عيسى سعيد : (نقلا عن السيدة بن عيسى يمينه عمته : إحدى سكان واحة الزعاطشة 1849)، ليشانة ،أجرى الحوار معه في ليشانة يوم 4أوت 2008.

فهرس الموضوعات

الصفحة